كراچا

رواية

تأليف

رنا وجيه

طبعة ٢٠١٩

شمس الدين، رنا وجية

كراجا : رواية / رنا وجية شمس الدين؛- الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٨ .

٢٤٠ ص, ٢٠ سم

تدمك: ٨ ٦٨٨ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية

أ- العنوان

٨١٣

كراچا

رواية

تأليف

رنا وجيه

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٨/١٤٦٦٠

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٦٨٨-٨

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٩

الكتاب : كراچا

المؤلف : رنا وجيه

الغلاف : أحمد الصباغ

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

sales@atlasdic.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكـس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

إهداء..

إلي أبي وأمي وعمتي وروح جدتي رحمة الله عليها..

شكرًا لأنكم علمتموني أنَّ الإنسان بلا حبٍ وعلمٍ ناقصٌ، أنَّ أغلى إرث يُترك هو فنٌ أو عطاءٌ.

شكرا لأنكم آمنتم بكل حلمٍ راودني يومًا، بكل هدفٍ سعيت لتحقيقه مهما بدا غريبًا أو صعبَ المنالِ، ليتني أستطيع أن أرد جميلكم لكن هيهات..

ثمة آلالام أقسى من أن يحتملها قلبك للأبد؛ فلتبحث عن طريقة ما لاستئصالها منه مهما كلفك هذا من ثمن.

الفصل الأول
غيبوبة!

مرت ثلاث ساعات منذ عودتها، وما زالت تجلس على الأريكة المجاورة لباب منزلها، عيناها تنظران إلى أعلى، شفتاها يابستان، وجسدها متصلب، تود أن تصرخ، أن تحطم كل شيء تقع عليه عيناها أو تطوله يداها، لكن لم تعد تقوى على الحركة؛ فقد أصبحت جثة هامدة تنتظر على أحر من الجمر اللحظة التي تعود فيها إلى حضن الأرض حيث الراحة الأبدية، بدأت يداها ترتعشان وتغزو سيول العرق جبينها، حتى غطى العرق وجهها كله، ثم غابت عن الوعي. ثمة حقائق نتمنى أن تمحوها ذاكرتنا، بل ربما تمنينا أن نفقد سمعنا وأن تغشي أبصارنا قبل أن تصل إلينا.

شهقت أمها عندما رأتها على هذه الحالة، ثم خاطبتها قائلة: مالك يا رهف لحد امتى هتفضلي سيبه نفسك للزعل كده.

بيد أنها لم تنبس ببنت شفة، اقتربت أمها منها أكثر ثم هتفت باسمها مجدداً، لكن بلا جدوى، وعندئذ خطر ببالها فكرة، ربما تكون في النوم مستغرقة، لا بد أن توقظها حتى تطمئن أنها بخير، ولتعدل جلستها المعوجة حتي لا تصاب رقبتها أو ظهرها بأذى، لكن عندما حاولت أن تهز كتفها برفق سقطت على الأرض،

صرخ قلبها خوفًا على وحيدتها التي تعلم جيدًا أنها ليست على ما يرام، وأن الأزمة التي تمر بها أقسى بكثير من أن يتحملها قلبها البريء أو تصمد أمام عنفوانها روحها الرقيقة.

لا وقت الآن لمثل هذا التفكير، يجب أن تطلب سيارة الإسعاف، إنها المرة الخامسة خلال هذا الأسبوع التي تغيب فيها ابنتها عن وعيها، لكن لماذا كل هذا العرق الذي يتصبب من جبينها؟ ولماذا صارت كل قطعة من جسدها في بحر العرق غارقة، لن تنتظر سيارة الإسعاف، ربما تتأخر، ستأخذها في سيارتها وتركض صوب أقرب مشفى، حملتها بين ذراعيها، ثم وضعتها برفق على المقعد الخلفي، وقادت بسرعة جنونية، استغرق الطريق إلى هناك عشر دقائق، لم يكف فيها قلبها عن الدعاء مردداً: «اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه».

تركت ابنتها في السيارة، ثم توجهت إلى الاستقبال، طالبة المساعدة لإسعاف ابنتها.

ليلى، امرأة في منتصف الأربعينات، ذات قامة طويلة، وجسد ممشوق، لجمال عينيها الزرقاء سحر أخاذ، يجعلك إذا التقيت بها تناجي الله سائلاً: كيف خلقت تلك العيون الفاتنة! أنفها دقيق كحبة عنب يمني، وشفتاها ورديتان طبيعيًّا، كل قطعة في وجهها كانت تشع جمالاً فريدًا.

كان قلب ليلى يرتجف، وروحها تعتصر من فرط خوفها على رهف، يا ترى ماذا عساه يخبرها الطبيب؟ هل هي مجرد إغماءة بسيطة كالمعتاد، لعلها تكون كذلك، ليتنا نستطيع أن نحمي أولادنا من خبايا القدر ونكبات الزمن، ليت في مقدرونا أن نجعل كل السعادة التي وزعها الله في هذا الكون حكرًا لهم دون غيرهم، ليتنا نستطيع أن نسقيهم منها شربة لا يشقون بعدها أبدًا، لأجلك يا قرة عيني تتبعت السعادة لآلاف الأميال، لكنها كانت دومًا أسرع من قدرتي على اللحاق بها، يا الله ابتليني أنا كيفما تشاء، ولكن يكفيها ما عانت حتى الآن.

هناك دقائق تمر علينا وكأنها دهر بأكمله، ظلت ليلى تراقب غرفة الطوارئ في انتظار خروج الطبيب ليخبرها أن ابنتها استعادت كامل وعيها، ومن الممكن أن تغادر بعد قليل، بيد أن الطبيب خرج مهرولاً يأمر أحد الممرضات أن تصطحبها إلى غرفة الأشعة، وأن تجري لها أشعة مقطعية على المخ، جرت ليلى خلفه قائلة: خير يا دكتور بنتي فاقت ولا لسه؟

ادعى أنها بخير، وطلب منها أن ترتاح قليلاً حتى يعود ويخبرها بكل شيء، فردت ليلى بصوت أضعفه الدمع والألم: من فضلك قولي مالها.

همس ببعض الكلمات المطمئنة، ثم ربت على كتفها وغادر قاصدًا غرفة الأشعة، وحين وصل إلى هناك كانت الأخصائية قد أنهت إجراءها وبدأت تفحصها.

سألها: إيه أخبار الأشعة؟

فأجابت: في حاجة غريبة، جزء من خلايا المخ مش ظاهر في الأشعة.

فاستطرد: اختفت؟ قصدك إيه ورم وتم استئصاله ولا إيه.

فردت: مش عارفة، بس الخلايا دي استؤصلت من مدة قريبة، هيكون أحسن لو استفسرت من عيلتها عن الموضوع ده.

غادر الطبيب الغرفة، وقد تخالجته مشاعر التخبط والحيرة، طلب من الممرضة أن تنقل رهف إلى غرفة العناية المركزة، ثم اتجه نحو صالة الانتظار حيث تجلس والدتها، باذلاً قصارى جهده ليخفي علامات الخوف التي اعتلت وجهه.

ثم قال: بعد إذن حضرتك كنت عايز أسأل عن حاجة.

ليلى: اتفضل، لكن ممكن بس تقولي الأول بنتي كويسة؟

فأجاب الطبيب: من فضلك بس قوليلي، هو بنتك عملت جراحة في المخ قريب؟

هـزت رأسـها نافيـة، وأردفـت أن ابنتهـا لـم تـخضـع لأي جراحـة مطلقًـا.

بزغـت ملامـح الدهشـة علـى وجـه الطبيـب ثـم قـال: في جـزء مـن خـلايـا المـخ اختفـى، ده اللـي ظهـر لنـا لمـا عملنـا أشـعة مقطعيـة.

صرخت ليلى من صدمتها: مستحيل أكيد جهاز الأشعة بايظ.

سـكت الطبيـب لدقائـق، وفكـر مليًّـا في كلام ليلـى، هـل يمكـن أن يخطـئ جهـاز هـو الأكثـر تطـورًا والأحـدث عالميًّـا، يصعـب ذلـك، في هـذه الأثنـاء كانـت ليلـى حسـمت قرارهـا سـتأخذ ابنتهـا وتغـادر هـذا المشـفى اللعـين، وتذهـب إلـى أفضـل مشـفى في الإسـكندرية، هنـاك لـن تكـون لا الأجهـزة ولا عقـول الأطبـاء عطبـة.

ثـم قالـت في حسـم يقطـع علـى الطبيـب أي محاولـة لإثنائهـا عـن رأيهـا: قولهـم يجهـزوا سـيارة إسـعاف فـورًا، أنـا هاخـد بنتـي ونمشـي مـن هنـا.

أعطـت ليلـى ١٠٠ جنيـه إلـى حـارس الجـراج الملحـق بالمشـفى، وطلبـت منـه أن يعتنيـى بالسـيارة حتـى تعـود؛ فهـي لا تعلم متى سـتعود، كمـا أنهـا لا تقـوى علـى تـرك ابنتهـا وحيـدة في سـيارة الإسـعاف، فهـي لا تسـتطيع أن تبتعـد عنهـا ولـو حتـى لأمتـار قليلـة، سـتضمها إلـى صدرهـا وتداويهـا بروحهـا، يـا زهـرة العمـر أفيقـي، أعلـم يـا

صغيرتي أن ألم الروح أعنف من ألم الجسد، أعلم أنك تشعرين أنك غادرتي الحياة رغم أن نبض قلبك ما زال يملأ جنباتك، يا قلب ابنتي اصمد فلأجلها وحدها يدق فؤادي.

تذكرت ليلى أنها وابنتها وحيدتان في هذه الحياة، لا أب ولا أخ ولا زوج، ولكن حتى في أصعب مواقف حياتها لم تتمن وجود «علي» إلى جوارها؛ فوحده وجوده يحدث إعصارًا من المصائب، وسيلاً من الأزمات، كيف لهذا «العلي» أن يوصف؛ فجميع معارف ليلى كانوا يرونه أوسم الرجال، بل ربما فاقت وسامته نجوم المسرح والتلفزيون، فهو مفتول العضلات، ذو بشرة برونزية وعينين زرقاوتين، وشفتين مكتنزتين، وطابع حسن يزين ذقنه، وشعر بني ناعم وغزير يصل طوله إلى كتفه، لكن على قدر وسامة ملامحه، كان قبح خلقه، غلاظة طبعه، جفاء قلبه، وبرودة مشاعره، فهو يرى أن الله لم يخلق المرأة سوى للمتعة، لتكون تابعًا للرجل، أو بالأحرى لتكون جزءًا من مقتنياته، كان يخبرها دومًا أنه لم يتزوجها سوى لجمالها، ولا يكترث لأكثر من ذلك، عنه كانت غريبة، ومنه كانت تخاف، كانا مجرد اثنين جمعتهما ورقة ليحيا في المكان نفسه، لكن هيهات لورقة أن تقرب، أن تخلق حبًّا أو تبعث في الروح أملاً، وهل تولد المشاعر بين ثنايا الأوراق؟

بسببه كرهت شكلها أو جمالها، كل كلمات الإعجاب والإطراء التي كان يرويها على مسمعها كانت تشعرها بالاشمئزاز أكثر وأكثر منه، أحمق من يعتقد أن النساء يقعن في حب من يتغزل في جاذبية أجسادهن؛ فهن بشر ولسن دمى.

٦ سنوات عاشتها ليلى مع «علي»، لكنها لم تكن أبدًا معه؛ فجسدها وحده كان هناك، أما روحها فكانت تأبى أن تقبع في مكان يجمعهما سويًّا، لكن ماذا لو صفعها القدر صفعة جديدة وجعلها تنجب من رجل علمها كيف يسكن الكره قلبًا لم يعرف أبدًا معناه، كيف ستنجب طفلاً منه؟ كيف تضمن أنه لن يحمل جيناته، أنه لن يشبهه في قسوته وظلمه وعجرفته، لا تريد أن تحمل في أحشائها نطفته، وهل يمكن لشخص بهذا القبح أن ينجب جمالاً؟

فلتنس إذن أن «عليًا» والده، ولتتدبر فقط حكمة الله من أن يبعث بهذا الحمل في ثناياها، ربما يمنحها حياة جديدة، ربما يكون بصيص النور الذي يقشع كل سنوات الظلام هذه، لم تشعر ليلى بآلام المخاض كسائر النساء، بل كانت تشعر بمتعة وسعادة غامرة، فهي تعلم جيدًا أنها منذ هذه اللحظة لم تعد وحيدة، فقد وهبها الله إياها لتكون القوة التي تنتشلها من أيادي الطوفان الآثم الذي اجتاح كيانها لسنوات طوال.

يقولون إننا نرى أبناءنا الأجمل على الإطلاق، ولكن لم تكن ليلى وحدها من ترى رهفًا بهذا الجمال الملائكي، بل كانت كل عين تقع عليها ترى فيها نورًا وجمالاً لم تر مثليهما قط، لم تكن رهف طفلة باكية شاكية، بل كانت هادئة باسمة، وكأن الله قد فطرها على ألا تحمل أمها أي مشقة أو تعب أكثر، أرسلها دواءً لآلامها وجزاء على حسن صبرها على سوء خلق زوجها، كلما كبرت رهف أدركت أن لا علاقة حقيقية تجمع بين والديها، لا حب ولا تفاهم ولا حتى رحمة، كانت تتمنى أن تعرف لماذا تستتر والدتها في غرفتها كل ليلة لتبكي حتى تجف مقلتاها وتتورم عيناها، ولماذا لم يضمها أيضًا من يطلقون عليه والدها ولو لمرة واحدة، لا تتذكر أنه قبلها يومًا أو حنى عليها، في عالمه كان منعزلاً، وفي عالمها الصغير كانت تحيا رهف حياة مبتداها ومحورها ونهايتها ليلى.

مرت أطياف كل هذه الذكريات في رأس ليلى، وهي ممسكة بيد ابنتها داخل سيارة الإسعاف، وحده صوت الباب الذي فتحه السائق عند وصولهم ليحمل رهف إلى داخل المشفى أعادها من شرودها، دخلت ليلى إلى الاستقبال، وأخبرتهم أن ابنتها غائبة عن الوعي منذ عدة ساعات، حملت رهفًا داخل غرفة الطوارئ، ولم تمر دقائق حتى خرج الطبيب مسرعًا يأمرهم أن يأخذوها إلى غرفة الأشعة، فصاحت ليلى: انتوا ليه خرجتوا بنتي قبل ما تفوق؟! وواخدينها ورايحين على فين؟!

فأجاب الطبيب: استريحي شوية يا فندم إحنا بس محتاجين نعملها شوية أشعة.

فباغته قائلة: بنتي ماعملتش أي جراحة في المخ، إيه لازمة الأشعة بقى.

فأردف الطبيب: بنتك مش مغمى عليها، من فضلك سيبيني أشوف شغلي وبعدين نبقى نتكلم.

بعد إجراء الأشعة المقطعية على المخ، اكتشف الطبيب اختفاء جزء من خلاياه، فخرج متوجهًا صوب ليلى وحين دنا منها قال: من الواضح انك كنتي على علم مسبق أن في جزء من خلايا المخ مبنش في الأشعة قبل كده.

فردت نافية واستطردت أنهم مروا على مشفى آخر قبل قدومهم، وهناك أخبروها بذلك، بيد أنها ظنت أن خطأ ما أصاب جهاز الأشعة هناك، فابنتها لم تجر أي جراحة قط، أكد لها الطبيب صحة كل المعلومات التي أخبرها بها الطبيب السابق، ثم أخبرها أن رهفًا ستوضع في وحدة العناية المركزة حتى ظهر الغد، إذ سيأتي رئيس قسم المخ والأعصاب، فهذه الحالة هي سابقة من نوعها، وليس بوسع أي من أطباء الطوارئ أن يعالجها.

بكت ليلى وكأن عينيها لم تبك من قبل بكاء نزفت فيه الروح، وارتعش على إثره قلبها رعشة كادت أن توقف دقاته إلى الأبد، وظلت تتمتم: رهف مش هتتحمل خلاص دي النهاية .

طلب منها الطبيب أن تغادر وتعاود في الصباح، ولكنها رفضت، وأخبرته أنها لن تغادر هذا المشفى إلا برفقة ابنتها، قال لها إنه لا توجد أي فائدة من مكوثها هكذا؛ فقالت له يكفي أن تراها عيناي، ربما فاقت من هذه الإغماءة في أي وقت، لا بد أن تجدني بجوارها، ثم تساءلت ليلى لماذا يحمل الرجال بين ضلوعهم قلوبًا، طالما أنها عقيمة لا تلد حبًا أو رحمة، هل خلق الله كل الرجال يشبهون هذا «العلي»؟ أم أنها لم تقابل بعد ذلك الرجل الذي يداوي حبه كل نكبات الدهر وأوجاعه؟ بيد أنها لم تعد تنتظر أن يجمعها القدر به، بل ما تتمناه حقًا وتصلي وتدعي وتتضرع من أجله هو أن يجمع الله ابنتها به يومًا ما.

كلما أرادت ليلى أن تغمض عينيها لترتاح قليلاً، تشعر بوخزة في صدرها تأمرها ألا تفعل، وقد سيطر على فكرها هاجس أن رهفًا لن تكون بخير إلا لو بقيت عيناها تحرسها، غادرت مقعدها وظلت واقفة أمام زجاج غرفة العناية المركزة حتى أشرقت شمس اليوم التالي، شعرت أنها في حاجة قصوى إلى تناول جرعة من الكافيين لتوقظ ذهنها الخامل، وتستعيد بعضًا من قدرتها على التركيز، من يدري ماذا سيحمل لها اليوم الجديد، توجهت إلى

الكافاتيريا الملحقة بالمشفى حيث تناولت كوبًا من قهوة الاسبريسو، وعندما أنهته قصدت الاستقبال، وأخبرتهم أنها تود أن تدخل إلى غرفة العناية المركزة لتطمئن على ابنتها، كثيرًا ما كانت تشاهد في الأعمال الدرامية أن الشخص فاقد الوعى قد يفيق من غيبوبته لو شعر بلمسة من يحب أو سمع صوته، ستجرب ما شاهدته لعله كان حقيقيًّا، ولم يكن جرعة تشويقية يضفيها المؤلف على أعماله لتزداد إثارة وتشويقًا.

وبالفعل سمحوا لها أن تدخل إلى غرفة العناية المركزة، ولكن لمدة ثلاث دقائق فقط، على ألا تحدث ضجيجًا، وإلا ستغادر على الفور، ولن يسمح لها بالدخول ثانية، وقفت ليلى أمام سرير رهف ونظرت إليها نظرة طويلة، تعلم جيدًا أن الأزمات التي مرت بها زلزلت كيانها، لكنها لم تتصور أبدًا أن يصل الأمر إلى غيبوبة، ربما احتاجت زيارة لطبيب نفسي، هذا على أسوأ الفروض.

جلست على الأرض بجوار سرير ابنتها، واحتضنت يدها بين كفيها، ثم اقتربت من أذنها وأخذت تهمس كم تعشق روحها وضحكتها، أخبرتها أنها لولاها لكانت في تعداد الأموات منذ زمن بعيد، وأنها وحدها مكافأة الله لها على صبرها على عذاب الليالي والسنين، ثم أخذت تتوسل إليها أن تفيق من هذه الغيبوبة اللعينة، يكفيها يومًا عاشته بدونها.

من وراء زجاج الغرفة لمحت ليلى إحدى الممرضات تلوح لها بالخروج، فأومأت لها برأسها ووضعت على جبين رهف قبلة امتزجت بالدمع والأمل والرجاء، ثم غادرت الغرفة.

عادت ليلى إلى الاستقبال مرة أخرى، وسألت عن الطبيب الذي فحص ابنتها بالأمس فأخبروها أنه لن يأتي اليوم، ولكنه ترك تقريرًا مفصلاً بالحالة لرئيس قسم المخ والأعصاب سيعرض عليه فور وصوله، فسألتهم عن موعد قدومه، فأخبروها أنه يأتي في الثانية عشر ظهرًا، نظرت ليلى في ساعة الحائط المعلقة خلف مكتب الاستقبال، فوجدت عقاربها تشير إلى السابعة، كيف ستمر هذه الساعات؟ ظلت تنتظر قدومه على أحر من الجمر، لعله يثلج صدرها بأنباء مطمئنة.

تأخر الطبيب عن موعده، كما هو معتاد في معظم المستشفيات والعيادات المصرية، فلم يصل إلا في الواحدة والنصف ظهرًا، حينها طلبت منها إحدى موظفات الاستقبال أن تتوجه إلى غرفته، في البداية همت بإسراع خطاها؛ فهي في أمس الحاجة للاطمئنان على ابنتها، لكنها سرعان ما مشت في تثاقل ملحوظ؛ حينما أدركت أن الأنباء أيضًا قد تكون صادمة، إذن لن تتعجل القدر.

طرقت باب الطبيب طرقة واحدة ثم دخلت.

ليلى: مساء الخير يا دكتور.

الطبيب: مساء النور، اتفضلي ارتاحي، الدكتور النبطشي امبارح كلمني وشرحلي حالة بنتك بالتفاصيل، والحقيقة إني استغربت كلامه جداً وقتها، لكن لما جيت وشوفتها اتأكدت أن اللي قالهولي صحيح، لكننا مش عارفين ازاي ده حصل، محتاجين نودي بنت حضرتك مستشفى متخصصة في جراحات المخ والأعصاب، وللأسف الشديد حالتها شائكة وصعب نلاقي مكان يقدر يعالجها هنا، من الأفضل تروح لندن، لو ده يناسبك أنا ممكن ابتدي أتواصل معاهم من دلوقتي.

فقالت ليلي بصوت خفيض مخنوق: طبعًا مستعدة، ابتدي في عمل الترتيبات من فضلك.

في غضون استعداد ليلى لمغادرة المشفى سمعت هاتفها يرن، في البداية لم تذعن له، ولكن عندما رن ٥ مرات متتالية أخرجته من حقيبتها لتعلم من المتصل، فوجدتها نورًا صديقة رهف وعشرين مكالمة فائتة منها، ولم تلبث ليلى أن تعيد الهاتف داخل الحقيبة حتى اتصلت نور مجددًا.

«نور» فتاة ذات وجه طويل وبشرة حنطية، شعرها بني كثيف، تجعيده فرض عليها أن تقصه دومًا منذ طفولتها، حتى اعتادت

على شكلها هكذا؛ فلم تفكر يومًا أن تدعه يتخطى حدود كتفها، عيناها السوداوان كانتا واسعتين وتظللهما رموش كثيفة وطويلة، شفتاها كانتا نحيلتين؛ لذلك كانت تضع دائمًا قلم شفاة فاقع اللون لتجعلهما تبدوان كبيرتين وممتلئتين، شامة بنية زينت الجزء الأيسر من ذقنها فزادتها جاذبية وجمالاً.

نور: جود مورينج ماما ليلي هي رهف ليه مش بترد على موبيلها؟

ليلي: رهف مغم عليها من امبارح ولسه مفقتش لحد دلوقتي

نور: ليه اغمى عليها وامتى قوليلها تبطل هزار.

لم تستطع ليلى أن تكمل حديثها معها، وكان نحيب بكائها الدليل القاطع على جدية حديثها

فقالت نور: انتوا في مستشفى ايه؟

فأجابت ليلي: النيل

فقالت نور: أنا جاية حالاً

موجة حزن عاتية هزت وجدان نور، وتساءلت كيف يمكن لهذا الحديث أن يكون صحيحًا وقد كانت رهف في كامل وعيها أمس، لا، لم تكن بخير، بل كانت غريبة الأطوار حقًّا، تتذكر جيدًا

حين حادثتها لتخبرها أنها تود أن تتناول طعام الإفطار معها في مقهاهما المفضل؛ فسألتها عن أي مقهى تتحدث، فطلبت منها أن تكف عن المزاح، وأنها ستنتظرها في «ستاربكس» متسائلة وهل يذهبون لمقهى آخر. لم تر نور رهف في مثل هذه الحالة مطلقًا، وجه شاحب، عينان زائغتان، وقد فقدت كثيرًا من وزنها، وكان حجابها غير محكم حول وجهها، بل كان مبعثرًا ، وكانت ترتدي ملابس ثقيلة على الرغم من أن الجو لم يكن بهذه البرودة، كانت تعلم أن لأزمتها أذرعًا كثيفة قادرة على أن تلتف حول حياتها فتودي بها، بيد أنها موقنة بأن إيمان رهف باللّه وقضائه خيره وشره، هو وقودها للصمود أمام طوفان هذا المصاب.

لكن ثمة شيء أغضبها من رهف حقًا حينما قابلتها، إنها لم تهتم أبدًا لعناقها، بل سلمت عليها بطريقة فاترة لم تعهدها من قبل، حينها شعرت بوخزة شديدة في قلبها، فربما كان ألم برودة لقاء صديقتين مقربتين موجعًا، لكن الأكثر إيلامًا هو إدراكها أن رهفًا ليست على ما يرام.

وهمت لتتحدث معها في أي موضوع، فلتسألها عن طوكيو فلم ترها منذ عودتها من السفر، لكنها شعرت بالكلمات تحتبس داخل روحها، يا لقسوة أن تتحول صديقتان كان شغف حديثهما لا ينتهي، إلى غريبتين تمامًا حتى عينيهما لا تتلاقى. تناولت كلتاهما الطعام

في سرعة وصمت وكأنهما اتفقتا ضمنيًّا أن ينتهي هذا اللقاء سريعًا، فما جدوى أن يطول شوق مفتعل أكثر من ذلك.

أحرقت نور ساعات طويلة بعد عودتها أمس تفكر ما خطب رهف، ربما هو تأثير تغيير الساعة البيولوجية في جسدها، ولكنها لم تبق في طوكيو سوى ثلاثة أسابيع، هل لهذه الفترة القصيرة أن تؤثر سلبًا على الجسد، من المؤكد أنه كذلك، فما عساه يكون سبب تغييرها إذن.

استرجعت نور تفاصيل لقائها الأخير برهف أثناء ارتدائها لملابسها؛ فهي لم تستوعب بعد ما أصاب صديقتها، وحين همت لتغادر المنزل شعرت بواعظ إنساني يلح عليها أن تحادث عليًّا والد رهف وأن تخبره عما أصابها، تعلم جيدًا أن مثل هذا التصرف من شأنه أن يشعل غضب ليلى، لكنها لا تستطيع أن تقاوم رغبتها في محادثته؛ فهو وبالرغم من كل شيء أبوها، ولا بد أن يتحمل مسئوليته تجاهها ولو لمرة واحدة على الأقل، حتى لو كان أسوأ رجال الأرض، سمعت صوت أبيها يناديها ليتناولا طعام الإفطار.

كان إبراهيم والدها ذا قامة متوسطة وجسد رياضي، فهو لم ينقطع يومًا عن ممارسة الرياضة منذ شبابه، إذ كان يمارس رياضتي السباحة والفروسية بانتظام، وجهه الأسمر صغير ونحيل، له وجنتان بارزتان وأنف دقيق، عينان ناعستان لونهما أسود، ما

كان للشيب سلطان على شعر رأسه؛ فعم السواد جل شعره، سوى شعيرات قليلة، فتحت نور باب الغرفة وفرت إلى حضنه وبدأت تتساقط سيول دموع حارة من مقلتيها، كادت سخونتها أن تكوي وجنتيها.

سيطرت مشاعر الحزن والارتباك على قلب إبراهيم، ولكنه حاول جاهدًا ألا يظهر لها أثر على وجهه ثم قال:

مين اللي قدر يزعل نوني؟

فأجابت نور: ماما ليلى قالتلي إن رهف في العناية المركزة من إمبارح.

حينما يسمع إبراهيم اسم ليلى شيء ما يتغير في ملامحه، وجهه يشرق، عيناه تومضان بسعادة غامرة، لكن قلبه في هذه المرة يرتجف خوفًا عليها، ففي بداية لقائه بها مال إليها إعجابًا بتلك القوة التي تملأ كيانها، ثم مال إليها عشقًا في تلك الروح الحانية، وفي حضرة المحبوب يبذل إبراهيم قصارى جهده كي يدفن ولعه بها بين ضلوعه، فلا يظهر له أي أثر ولو طفيف، طبع إبراهيم قبلة على جبين نور وطلب منها أن تنتظره حتى يرتدي ملابسه ويأتي معها.

وفي طريقهما إلى المشفى سألته نور إن كان بإمكانها أن تأخذ رأيه في أمر ما، فأجابها بكل تأكيد يا حبيبتي.

فاستطردت نور: بابا كنت بفكر أتصل بعمي «علي» أنت عارف إني حلقة الوصل الوحيدة بينه وبينهم، حاسة إنه آن الآوان أنه يتحمل مسئوليته كأب، ماما ليلي تعبت جدًّا وبقت محتاجة لحد يخفف عنها شوية، مين يعرف ممكن يكون اتغير أو هيتغير لو عرف باللي حصلها.

رغم حب إبراهيم الكبير لليلي وولعه الشديد بها، فإن كلام ابنته عن «علي» لم يشعل حرائق غضبه مطلقًا؛ فهو لا يغار أبدًا من سيرته، وكيف يغار من رجل ليس له في قلب حبيبته سوى بركان يتأجج بالكراهية والسخط كلما ذكرت سيرته، لا، ربما لا يحمل قلبها أي مشاعر له، فقد مزقت الصفحة التي جمعتها به منذ سنين. وهل يعقل أن ينبض قلب ليلاه بحب أشباه الرجال؟ لكنه يرفض فكرة تعاطف ابنته معه، فليس لمثله ينبغي أن يفيض قلبها الصبوح بجرعات من الرحمة والحنان. لا بدَّ أن يشرح لها وجهة نظره.

قال لها بصوته الدافئ الحنون: انسي أمر «علي» هو هيعيش ويموت كده.

لم تقتنع نور بكلمات والدها، لكنها آثرت الصمت؛ فلم يكن هذا وقتًا مناسبًا للجدال أو حتى للنقاش، بعد مرور ١٥ دقيقة كانا قد وصلا إلى المشفى، غادرت نور السيارة مسرعة قاصدة مكتب الاستقبال، فلم يعد قلبها يقوى على مزيد من القلق والخوف، مشطت الاستراحة بعينيها فلم تجد ليلى تجلس على أي من مقاعدها؛ فتوجهت نحو أحد الموظفين وسألته: من فضلك أريد أن أسأل عن رهف علي، فأجابها أنها محجوزة في وحدة العناية المركزة منذ أمس على إثر غيبوبة أصابتها، فطلبت منه أن تدخل لتطمئن عليها، لكنه أخبرها أن إدارة المشفى لا تسمح بالزيارة لمرضى العناية المركزة.

لم تنه نور حديثها مع الموظف حتى شعرت بيد والدها تربت على رأسها، نظرت إليه بعين محملة بجبال من الذعر والضعف؛ فأمسك بيدها ومضيا ليبحثا عن ليلى، لكنهما لم يجدوها لا داخل العناية المركزة ولا في أي مكان داخل المشفى. تركت نور والدها يبحث ووقفت وراء زجاج غرفة العناية المركزة تحملق في رهف الراقدة هناك بجسد كل قطعة فيه متصلة بأجهزة أو محاليل طبية لا أول لها من آخر، شعرت بروحها تئن، وهل خلق الله من هو أغلى من رهف في هذا الكون ليعتصر قلبها عليه حزنًا، لم تستطع أن تتمالك الألم الذي زلزل وجدانها فانكبت على وجهها. جرى إبراهيم نحوها ثم حملها بين يديه ووضعها

على أحد المقاعد، وذهب يستغيث بأحد الممرضات، أحضرت الممرضة الترولي ووضعتها عليه ثم توجهت بها نحو غرفة الطوارئ، تعرضت لصدمة عصبية حادة، لكن سرعان ما تمكن الطبيب من إسعافها عقب استعادتها وعيها، تركها إبراهيم هناك ليحضر لها كوبًا من العصير.

وفي طريق عودته، رأى ليلى تدخل من الباب فهرع إليها حتى سقط الكوب من يده، لكنه لم يعره أي اهتمام، بل أكمل سيره نحوها حتى تلاقت عيناهما فاستغاثت ليلى بحضنه فأغاثها، وإذا ببحور غزيرة من الدمع تهرب من عينيها وتستقر على كتفه، كان حضن إبراهيم دافئًا دفئًا سرى في عروقها فطمأن قلبها وضمد جروح روحها الغائرة، ولكن عندما هدأت ليلى أدركت أنها عانقت إبراهيم؛ فكسا الخجل ملامح وجهها بحمرته وابتعدت عنه، وبدأت تعتذر له كثيرًا عما بدر منها معللة هذا التصرف بسوء حالتها النفسية بسب مرض ابنتها، ظلت تتحدث وتعتذر مرارًا وتكرارًا، لكن إبراهيم لم يسمع أي من كلماتها، فبعد عناقه لها حلقت روحه في السماء، وتركت جسده مجرد خيال أمامها فعناق ليلى خاطرة أبعد حتى من أن تراوده في أحلامه، حقًّا قد نصادف في هذه الدنيا مشاعر أحلى من كل ما يمكن أن تجود به قلوب العشاق من أحلام وأمنيات في أوج الحب.

اعتاد إبراهيم أن يشتري لنور عطر (مس ديور) الذي تضعه ليلى دائمًا؛ حتى يشعر بقربها؛ فرائحتها وحدها تمنحه أمانًا عجزت أي من نساء الأرض عن أن تعطيه ذرة منه، وكم دعا إبراهيم ربه أن يرزق ابنته ببعض من حنانها، فقد فاق الحنان الذي وزعه الله في قلوب عباده أجمعين.

وقع إبراهيم في حبها منذ ١٥ عامًا، يذوب عشقًا فيها، ولم يتكلم لم يعلن، بل اكتفى بعينه التي كانت تقولها في كل مرة يقابلها فيها، لكن آن الأوان أن يخرج حبه الذي عاش في طيات الكتمان لأعوام إلى النور، سيخبرها أن عناقها نفخ فيه روح الحياة من جديد، أنها وحدها ملاذه وأمانه، وأن آثار المسك الذي انبعث من طهرها حين لامست روحها قلبه سيبقى عالقًا في روحه مهما طال عمره أو قصر.

حامت كل هذه الأفكار في رأس إبراهيم خلال الدقائق التي أعقبت عناقه لليلى، ثم عاد للحديث عن حالة رهف فأخبرته أنهما ستسافران للخارج لتتلقى رهف العلاج هناك، فسألها عن إجراءات السفر، وإن كان هناك أي مساعدة يمكنه أن يقوم بها، ثم أخبرها أنه سيلحق بها فقط يحتاج لأيام لترتيب أمور العمل، شكرته ليلى كثيرًا وأخبرته أنها وابنتها اعتادا أن يعيشا بمفردهما، وأن يواجها كل المشكلات ويقهراها معًا، بيد أنها كانت تكذب هذه المرة؛ فقد كانت

في أشد الحاجة إليه، ربما ليس إليه شخصيًّا بل إلى سند، سنوات طوال وليلى تأبى أن ترتبط بأي رجل، رغم تهاتف الكثيرين للارتباط بها، فهي ليلى أباظة، أشهر مصممات المجوهرات في الشرق الأوسط، بل ربما في العالم بأسره، زبائنها دومًا من نجوم المجتمع ورجال الأعمال، وكم تنافست مجلات الموضة العالمية على عرض أحدث تصاميمها على صفحاتها، حتى نجم هوليود الشهير جورج كلوني قد اختارها لتصمم خاتم الزواج لحبيبته.

اتفق إبراهيم مع ليلى على أنه سيحادثها في المساء ليطمئن على إتمامها إجراءات السفر، ثم أخذ ابنته وغادرا المشفى، وحينما وصلا إلى المنزل لاذا كل منهما بغرفته، حيث كانا في أمس الحاجة إلى أن يغطان في تفكير عميق.

●●●

الفصل الثاني
نظرتان

شق رنين هاتف نور تلابيب الحزن الملتفة حول روحها منذ عودتها، فأمسكت به لتعرف من المتصل، فإذا بها تجد (سيف) هو المتصل، كان ذا قامة طويلة وجسد ممتلئ بعض الشيء، وجهه كان بيضاويًا، له عينان بنيتان ضيقتان ولكنهما دافئتان، وجنتاه ممتلئتان، حليق الذقن، شعره كثيف ناعم وقصير، أنفه متوسط الحجم، شفته العليا نحيلة وشفته السفلى مكتنزة، نظرت إلى شاشة الهاتف عدة مرات لتتأكد أنه هو؛ فلقد مر على آخر اتصال بينهما فترة طويلة ثم أجابت: إحساسك عمره ما خيب يا سيف دايما بتتصل لما تكون رهف في عز احتياجها ليك، فابتسم بسخرية ثم قال: هي رهف رجعت من أمريكا أصلاً ؟

فأجابت نور: تقصد طوكيو؟ رهف رجعت من أمريكا من زمان هي ولؤي انفصلوا.

فرحة أنارت روح سيف المعتمة، فشلت كل محاولاته الجادة لكتمانها؛ فقد عادت حبيبته وأمهله القدر فرصة أخرى، لكن سرعان ما قطعت نور خطوط السعادة التي أحاطت به من كل جانب، إذ قالت: رهف دخلت في غيبوبة من إمبارح يا سيف.

خليط من المشاعر المتنافرة سيطر على كيانه في تلك اللحظة، وسرعان ما تحولت موجة السعادة والفرحة إلى دوامة من القلق والحزن.

ثم زفر في غضب وقال: بطلي مقالب الأطفال دي يا نور، رهف فين عايز أقابلها.

فأجابت: في مستشفى النيل.

أنهى سيف المكالمة دون أن يقول أي كلمة وداع، فهو يود أن تحمله الرياح سريعًا إلى حبيبته التي اشتاق إليها كثيرًا، مرت خمسة أعوام ونصف دون أن يلتقيا، ولكن صورتها لم تغادر خياله ولم يكف قلبه عن الاشتياق إليها في كل يوم، بل في كل لحظة، فمثلما أسرت قلبه في أول مرة التقى بها حينما جاءت إلى البنك الذي يعمل به لتضع وديعة، وقع في عشقها في اللحظة التي لمحتها عيناه من قبل حتى أن تتكلم معه أو تقترب منه، وحينما حادثته تمنى ألا ينتهي حديثهما أبدًا، عانقت عينه عينها الخجولة التي لم تنظر إليه مباشرة قط، ومنذ تلك اللحظة أدرك أنه صار مريضًا بحبها، مرضًا محمودًا يتمناه كل منا، بل ربما نصلي وندعو الله أن يصيبنا به، أذاب عشق رهف قلبه وأنار شوقه لها عتمة فؤاده، فكلما اقترب منها أكثر كلما عرف رهف أكثر، غرق أكثر في نهر عشقها الذي لو شربت منه رشفة صغيرة لوقعت في فخ إدمانه إلى الأبد.

قرار أن يتقرب سيف من رهف أخذه سريعًا، ولم يندم عليه أبدًا، على الرغم من أن قصة حبه لها لم تتوج بالزواج، بل ربما لم يمهله القدر فرصة البوح بمشاعره تجاهها مطلقًا، ثمة أشخاص نسعد بمقابلتهم، نراهم أفضل عابرين مروا بحياتنا فتركوا بسمة مشرقة وفيضًا من الذكريات السعيدة والنصائح الثمينة، هكذا كان يرى لقاءه برهف، وهكذا اختار أن تبقى دومًا قطعة من روحه، في بداية لقائه بها قرر أن يصبح خبيرًا في عالمها الصغير، سيحب ما تحب وسيكره ما تكره، كانت رهف تعمل مصممة أزياء، وكان سيف بعيدًا كل البعد عن هذا المجال، لكنه قطع عهدًا على نفسه أنه سيتعلم ويبحث عن كل شيء في عالم الموضة والأزياء، كان له صديق يعمل طيارًا فطلب منه أن يحضر أحدث مجلات الموضة من أي بلد يزورها، وقوالب الشوكولاتة البيضاء بحبيبات التوت البري، فهكذا يسعد قلب ملهمته ويرى السعادة تملأ عينيها، وتكسو قسمات وجهها العذب، فتتسارع دقات قلبه فرحًا ويسجل هرمون السعادة في عروقه أعلى معدلاته.

أصبح سيف شخصًا مهمًّا في حياة رهف التي اكتفت لسنوات بصداقة نور، والتي تعمدت أن تحد من دائرة معارفها منذ طفولتها، لكنها لمست في شخصيته الكثير من الجوانب الرائعة التي تمنت لو أن الله رزقها يومًا بأخ مثله؛ فقد كان مهذبًا، حنونًا، متدينًا ومساندًا؛ فقد كانت قائمة مميزاته لا تنتهي أبدًا، وكانت

تلقبه بـ«سوبر مان» الذي كانت يده تنتشلها دومًا من تحت أنقاض الحزن، وكان ذكاؤه يحل لها أعقد المعضلات، ونكاته تضحكها حتى تدمع عيناها، بيد أنه تأخر كثيرًا؛ فقبل أيام قليلة من تنفيذ الخطة التي وضعها بالتنسيق مع نور ليخبرها بحبه، ويطلب يدها للزواج، فوجئ بها تحادثه وقد كان صوتها في هذه المرة مختلفًا عن كل المرات السابقة، كان صوتها يرقص وحماستها متقدة يصلك حماسها مهما بعدت المسافات بينكما، كيف ينسى تلك المكالمة؟ يذكرها جيدًا يذكر كل حرف لفظت به حينها.

رهف: يا سيف ازيك انت فين؟

سيف: أنا زي الفل، من زمان مسمعتش صوتك مبسوط، خير فرحيني عرضك الأخير كسر الدنيا صح.

فأجابت رهف بصوت خفيض: لؤي عايز يتجوزني.

عقدت المفاجأة لسان سيف، وشعر كأن أحدهم صفع قلبه صفعة شديدة، وعقب محاولة شاقة لاستجماع قواه، استطاع أن يسألها من يكون لؤي؟

فأخبرته أن الأمر يصعب شرحه في الهاتف، وأنها ستنتظره في الأتيليه بعد أن ينهي عمله، ثم مازحته قائلة: استعد قريب هتكون أخو العروسة.

أنهى سيف مكالمته مع رهف، وحاول أن يستوعب ما قالته للتو، لكن عقله عجز عن أن يستوعب ما قيل، وكأنها قالت طلاسم لتعويذة ما، ما حدث أبشع من أقسى كابوس راوده في منامه، شعر بقلبه يرتعد، واستشرى إحساس البرودة في عروقه، وبدأ يرتعش حتى لاحظ زملاؤه في العمل فركضوا نحوه، ظنوا أن حمى ما أصابته؛ فقد كان الطقس قارس البرودة في ذلك اليوم، لكنه ظل قابعًا في مكانه صامتًا لا يجيب عن أسئلتهم، كان يرى وجوههم مشوشة، ويشعر بأن زلزالاً ما وقع، حيث كان كل شيء من حوله يهتز، وبعدما هدأت أوصاله قليلاً، حمل نفسه ورحل، قاد سيف سيارته بسرعة جنونية متوجهًا إلى بيت صديقه، كان المطر يتساقط بكثافة شديدة تعيق سير السيارات، وقد صارت الشوارع خالية سوى من قليلين يجاهدون للعودة إلى منازلهم سريعًا، توقف أمام باب بيت صديقه وشرع يطرق الباب بعنف، وبدأ يصرخ بكلمات متلعثمة، فلما فتح صديقه الباب، لف يديه حول عنقه محاولاً خنقه، بيد أن زوجته جاءت وأبعدته عنه؛ فوقع سيف على الأرض وبدأت الدموع تنهمر من مقلتيه، وظل يتمتم: رهف رهف، كان أشبه بمن أصابه مس شيطاني، ووقف صديقه وزوجته المستترة به تنظران إليه من بعيد، وإذا به يصرخ بنبرة جشة عدوانية وحدك من أضاع رهف مني، ظللت تسمعني أني لا بد أن أنتظر حتى تقع في حبي أولاً، وحدك من حذرني من أن

أبوح لها بمشاعري حتى لا أخسر صداقتها، وها أنا خسرتها إلى الأبد، خوفنا من الخسارة دائمًا يكبدنا كل خسارة الأرض والسماء، ليتني ما صادقتك يومًا، ليت أذني لم تسمع نصيحتك الشؤم التي مزقت فؤادي وأودت بحلمي الذي لم يبصر النور بعد.

أحمق من يعتقد أن كل الأمور الشخصية والأسرار ينبغي أن نفضي بها إلى أصدقائنا، مهما كانت درجة قربهم من قلوبنا، ففي أغلب الأحيان أنت وحدك من تعلم ماذا يجب أن تفعل، اقتف الأثر الذي يوجهك صوبه قلبك، ولا تكترث لثرثرة الناس أو نصائحهم، ففتواهم وآراؤهم بحر هائج لا ينجو منها أحد، إذن فهو وحده من أضاع رهفًا.

في لحظات أصبح سيف كهلاً كفيفًا عاجزًا عن رؤية الحقيقة، رغم وضوحها حبيبته صارت عاشقة متيمة بغيره، كيف له أن يفهم هذا أو يتقبله؟ وهل من المعقول أن رهفًا ستصبح محرمة عليه لن يحادثها بعد اليوم؟ لن يتناولان كيك الشوكولاتة البيضاء معًا ثانية كما اعتادا أن يفعلا في عطلة نهاية الأسبوع؟ من سيرسم له مستقبله؟ مع من سيتناقش سيتشاجر ويتجادل، من سيداعبه ويصالحه، ثم داهمه بغتة شعور بأن لحظات السعادة التي عاشها بالقرب من رهف فاقت كل لحظات السعادة التي عاشها في سنوات عمره الـ٣٠، أوقف رنين هاتفه قطيع الأفكار الذي احتل

عقله، إنها رهف تتصل مجدداً، سيتجاهل مكالمتها، ولاسيما أنه لا يقوى على سماع المزيد اليوم، فعندما تهدأ النفوس المشتعلة تصبح العقول أكثر قدرة على الفهم واتخاذ القرارات الرشيدة، اتصلت رهف خمس مرات متتالية، ولكنه تظاهر بأنه لا يذعن لأمرها، لأول مرة منذ بداية لقائه بها يرى اسمها ولا يرد، فلم يكن هناك شيء على هذه الأرض أهم منها مهما علا شأنه، أغلق سيف هاتفه ثم أطفأ نور الغرفة وانزوى في سريره، سينام وينسى كل ما حدث اليوم، بيد أنه كلما حاول أن يغمض عينيه يجدهما تأبيان أن تفعلا، فكيف تغمض الجفون والقلب مسلسل بأطنان من العذاب واللوعة، انتفض من سريره حينما سمع دقات بندول الساعة تعلن التاسعة، إذن رهف لم تغادر الأتيليه بعد سيذهب إليها، قاد سيف سيارته ببطء فلا يريد أن يصل بسرعة، فما زال يتعشم أن يكون كل هذا الحديث أحد مقالبها، يريد أن يبقى متعلقًا في شباك الأمل أطول فترة ممكنة.

فتح سيف الباب وقد اعتلى وجهه ملامح الضيق والتجهم؛ فجرت رهف نحوه مهللة وأخبرته أنها انتظرته طويلاً حتى فقدت الأمل أن يأتي اليوم، لم يكن يسمعها؛ إذ كان منشغلاً بتأمل ملامح وجهها التي تغيرت كثيرًا، فكل شيء في ملامحها كان يرقص، وكانت لمعة الحب تتلألأ في عينيها العسليتين، فاقت جاذبية وجهها

تلك المرة كل اللقاءات التي جمعته بها من قبل، وكانت ترتسم ابتسامة ساحرة على قسماته، لم تكن تضع عطر «لا في ايبيل» الذي اعتادت استخدامه، بل كانت تضع «سي» وشتان الفارق بينهما، فقد تحولت من العطر الهادئ إلى عطر مفعم بالأنوثة، كانت ترتدي فستانًا أحمر طويل من الشيفون، وحذاء ذا كعبٍ عالٍ، وقد تسللت بعض خصل الشعر من حجابها الأبيض، ثم اصطدمت عيناه باسم «لؤي» يتدلى من قلادة زينت بها عنقها، فران وكأن على رأسه الطير.

طلب منها سيف أن تحكي له قصة هذا اللؤي؛ فداعبته وقالت:

دي قصة طويلة عندك وقت تسمعني لحد ما تخلص؟

فقال لها: وقتي كله فداكي

سأروي لك كيف جمعني قدري السعيد مع لؤي، وسأحاول ألا أطيل عليك في التفاصيل، منذ ثلاثة أشهر كنت مشغولة مع إحدى الزبونات، إذ كنت أضع اللمسات النهائية على فستان حفل تخرجها؛ فإذا بشاب بدا في عقده الثالث يفتح باب الأتيليه ويلقي علينا تحية الصباح بالفرنسية، كان حضوره لافتًا، يخطف نظرك إليه ش شئت أم أبيت، لاسيما أنه كان أنيقًا للغاية، إذ

كان يرتدي جاكيت أسود من الجلد يحمل توقيع ماركة «بيفرلي هيلز بولو»، وبنطال جينز أزرق يحمل حروف ماركة «دولتشي آند غابانا» وعبق المكان برائحة عطره الجذاب «توم فورد» لم يكن لؤي وسيمًا، بل كان ذكيًّا ماهرًا في معرفة كيف يظهر دومًا في أبهى صوره، اقترن دخوله بصوت المطربة يارا اللبنانية يخرج من التلفاز وتغني «صدفة ومن بين كل الناس علقيني»، مرت عدة دقائق وهي شاردة الذهن إلى أن رأته يتوجه نحو الباب، فاقتربت منه وسألته إلى أين؟ فأخبرها أن خطيبته ضلت الطريق سيقابلها ثم يعودا إليها مرة ثانية، خطيبته! لماذا تضايقت هكذا؟ وهي لا تعرفه، ثمة سحر خرج من عينيه وأصاب قلبها فكاد يوقف دقاته، شيء ما تسرب من روحه واستوطن في نفسها مخترقًا كل الحواجز التي بذلت جهودًا مضنية لبنائها على مدى أعوام، إذن صدقت كل روايات العشاق عن الحب من أول نظرة، وما كذب الهنود أبدًا عندما أقنعوا الملايين في شتى بقاع الأرض بإيمانهم بالحب القدري، ذلك الحب الذي كتب نصيب كل منا منه، قبل أن نأتي إلى هذه الدنيا بآلاف الأعوام، ولكن ثمة أشخاص يعرفون كيف يتعلقون بحباله حينما يصادفهم، وثمة أشخاص آخرين لا يكترثون لأمره ويقتلونه بدم بارد، وتمر بهم السنون فيندمون على فعلتهم أشد الندم، فيصلون ويصومون ويقدمون القرابين لكن بلا فائدة، فقد فات الأوان.

عاد فارس الأحلام ممسكًا بيد خطيبته، بيد أنها ستتعامل بجدية ولن توجه حديثها إليه، هكذا تضمن ألا تسترق عيناها النظر إليه، ولكنه أفشل كل خططها حيث داهمها فجأة قائلاً: أنتي أجمل بكتير من صورك، أعتقد إن كل فستان بتصميمه بياخد جزء من جمالك، وده اللي بيخليها أرقى فساتين في مصر.

ثم أكمل حديثه الذي أمطر أذنيها بكلمات عجزت عن تفسير كونها مغازلات أم مجاملات، ولكنها تعجبت كثيرًا، كيف يمكن لرجل أن يتغزل بمفاتن امرأة أخرى في وجود خطيبته، وحينما اختلست نظرة إلى وجهها لم تلمح عليها أي علامات غيرة أو ضجر مطلقًا، بل على العكس، كانت تبتسم وتومئ برأسها تأييدًا لكلامه، فبادرت بسؤالهما عن تفضيلاتهما لفستان الزفاف، فاستشفت من كلامهما أن كل ما يهمهما هو حجم الأحجار الكريمة التي سيرصع بها الفستان، وأن يبرز كل مفاتن جسدها بجاذبية شديدة، وأن يطرز بخطوط الذهب الخالص، فما عساه يكون فستان زفاف لاعبة التنس الأشهر في العالم العربي «لينا رامي» التي نجحت في إحراز المركز الأول في بطولة فرنسا المفتوحة للتنس «رولان غاروس» لأربعة أعوام متتالية، ومنذ ذلك الحين أصبحت كل القنوات الفضائية والمحلية تتهافت على أن تجري مقابلات تليفزيونية معها، الأمر الذي دفعها لبيع حقوق البث المباشر لحفل زفافها لقنوات «بين سبورت» مقابل

ملايين الدولارات، ومن المقرر أن يعقد حفل الزفاف في أرقى فندق في منطقة سهل حشيش بالغردقة، وسيحي الفرح الفنان عمرو دياب، والفنانة إليسا، وبحضور لفيف من رجال المال والأعمال ونجوم الفن والرياضة، فهو حفل زفاف أحد أمهر الطيارين العالميين لؤي النوري ولاعبة التنس المخضرمة لينا رامي، سيكون حدثًا جليلاً ستفرد له الصفحات الأولى من كبرى الصحف والمجلات العالمية والمحلية.

وقع اختيار لينا على لؤي لأنه كان الأفضل من بين طابور المعجبين الذين لهثوا طمعًا في الزواج منها، فقد كان لؤي ذا صيت واسع، تتبارى بنات أعرق العائلات للتقرب منه والتودد إليه، كان طيارًا ماهرًا تتسابق كبرى شركات الطيران العالمية لضمه إليها، ناهيك عن فوزه في المزاد الذي أعدته لنفسها، فكان عرض الشبكة والمهر الذي قدمه لها هو الأعلى على الإطلاق، فحسمت الصفقة لصالحه، لن تنس لينا أبدًا كيف اشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي بصوره وهو يطلب يدها للزواج؛ فقد ذهب أثناء المباراة النهائية لها في بطولة فرنسا وكسا الملعب بلافتة كتب عليها بالفرنسية: هل تتزوجينني، وفرش أرض المدرجات بشموع وردية اللون وورود بنفسجية وقوالب شوكولاتة مجسمة لها، مبهرة جدًّا بدايته معه لدرجة جعلت كل الأحلام والتصورات التي رسمتها لهذه اللحظة تتضاءل تمامًا أمام روعة مفاجأته.

قابلت رهف لؤيًّا عدة مرات بعدها، إذ كان يأتي إلى الأتيليه ليضع بعض التعديلات واللمسات الأخيرة على الفستان، لكن لينا لم تأت معه سوى ذلك اليوم، فقد كانت منهمكة دائمًا في التحضير والتدريب لبطولاتها التي احتلت المرتبة الأولى ضمن أولويات حياتها، قابلت رهف لؤيًّا ست مرات، لكنها لم تر في عينه يومًا نظرة سعادة أو لمعة حب، ولم تسمع منه يومًا كلمة تدل على فرحته بزفافه الذي سيقام بعد أيام، ولم تشعر باكتراثه للأمر برمته، وكأنهما أبرما صفقة تأكد طرفاها أن كليهما باع نفسه بأفضل الأسعار، أرواح متنافرة، قلوب باردة، ونفوس لا تستأنس بعضها ببعض، وعيون تعسة وفرحة مصطنعة، هكذا كانت ترى رهف علاقة لؤي بلينا، لكنها كانت تعجز عن فهم المشاعر المتضاربة التي تملأ قلبها كلما رأته حزينًا، لماذا تود أن تراه سعيدًا؟ لماذا تشعر بروحها تقبض كلما لمحت أبراج الحزن قابعة في عينيه؟ وكلما لمحت سفن الحزن ترسي على صفحة وجهه تشعر أنه صار لزامًا عليها أن تبدل كل هذه المشاعر بأنهار سعادة لا تجف ولا تنضب، بعينيها كانت تداويه فيبتسم فترتبك وتتساءل هل سكن حبها ألم روحه النازف؟ وجاء موعد تسليم فستان الزفاف، إنها المرة الأخيرة التي ستقابله فيها، أحست بفؤادها يدمى وأن روحها أصبحت مثقلة من قسوة الوداع، لكن عينيها طمأنتها وأقسمت لها أن صورته ستظل حية داخل وجدانها

إلى أن تصعد روحها إلى بارئها، لم تعلم رهف حينها أن القدر سيجمعها به مرة أخرى في لقاء أكثر حميمية وأشد ألمًا.

وجاء موعد الزفاف الأسطوري الذي خطف الأنظار وحبس أنفاس كل العرب، واشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي بتداول الصور الأولى من حفل الزفاف، وانهالت تعليقات الشباب المهنئة المنبهرة تارة والناقمة المتهكمة تارة أخرى، وبدأ العد التنازلي لنهاية هذه القصة المبهرة ظاهريًّا والمبكية فعليًّا.

بعد عودتهما من جزر المالديف، حيث قضيا إجازة شهر العسل هناك، أخبرت لينا لؤيًّا أنها ستغادر غدًا متوجهة إلى أمريكا للمشاركة في بطولة أمريكا المفتوحة للتنس، بالطبع لم تكن تستأذنه بل كان مجرد إخبار، ولم يعلق لؤي على ما سمع لا بالقبول ولا بالرفض بل فضل الصمت، فلم يكن ذلك العاشق المتيم الذي لا يقوى على فراق زوجته فيطلب منها البقاء معه، ولم يعد يشتهيها بعد، فلتسافر وليبحث هو عن غيرها، فقد أخذها حتى شبع وضجر، فمن يمارس الحب دون حب سرعان ما يتململ من امرأته، حتى لو كانت أجمل نساء الكون. كانوا ذلك الثنائي الذي يحسده الجميع على سعادته لا سّيما المقربين إليهما؛ إذ كانوا يعتقدون أنهما ينعمان في جنة الله على الأرض، ولم يدر أحد أن الجحيم كان أرحم وصفًا للحياة التي جمعتهما معًا؛ إذ

كانا عالقين في فخ التعاسة الذي أذاقهما في أيام قليلة مرارًا خنق روحهما وقتل ما تبقى من مشاعر في ثنايا القلب.

وحان موعد سفر لينا، فاجأت لؤيًّا بطلب أن يوصلها إلى المطار، اندهش لؤي وتساءل يا ترى ما سبب هذا الطلب الذي يناقض طبيعة لينا، ولكن سرعان ما ابتسم ابتسامة صفراء؛ فقد أدرك المغزى الكامن من هذا الرجاء، فمن المؤكد أن المطار سيكون مكتظًّا بكاميرات الصحافة والتلفزيون، فلا بد لعدساتهم أن ترصد صور العاشقين الهائمين في بحور الغرام، ولا بدّ أن تغازلهم أقلام الصحفيين، ناهيك عن تسابق مراسلي القنوات الفضائية لعمل مقابلات صحفية مع الثنائي السعيد اللذين سيتبادلان العناق والقبلات أمام الكاميرات؛ فتذوب قلوب المراهقين وتهيج نفوس الحاقدين، بزغت كل هذه الأفكار في رأس لؤي، ومع ذلك استجاب لطلبها وذهب معها، فقد وقع كلاهما عقد احتكار للآخر، وليس أمامه مفر من الوفاء بشروطه كافة، ولاسيما أنه طيار محترف يعي جيدًا كيف يفي ببنود العقود المبرمة، وجاءت لحظة الوداع، وكان لا بدَّ أن يكون وداعًا حارًّا لا يخلو من قبلات عديدة يمطر بها حبيبته التي سيشتاق إليها كثيرًا، كان عناقهما طويلاً باردًا ينخر الروح ويغدق القلب بالهموم، وكانت قبلاتهما قاتلة تبخ سمها في النفس فتهلكها.

وصلت لينا إلى مدينة نيويورك مدينة الأفلام والأحلام، وجهتها المفضلة من بين كل بلدان العالم، حيث كانت تحرص على أن تستمع بكل دقيقة تقضيها في هذه المدينة النابضة ليل نهار، اختارت فندق الفورسيزون ليكون مقرًّا لإقامتها، وبدأت تدريباتها للاستعداد للمشاركة في البطولة، كان يومها مقسمًا بين المشاركة في البطولات في الصباح والتسكع في الملاهي الليلية مساء، وفي خلال هذه الفترة لم تهاتف لؤيًّا مطلقًا، وفي حال تلقت اتصالاً منه كانت تتجاهله تمامًا؛ فهي النجمة المشهورة التي تظهر صورها وأخبارها في كل الجرائد العالمية، يكفيه منها فيض كلمات المدح والثناء التي يلقيها على مسامعه كل معارفه إعجابًا بالتفوق المنقطع النظير لزوجته في البطولة التي شارفت على انتزاع لقب المركز الأول فيها بجدارة، فلولا اقتران اسمها باسمه لما أضحى محط أنظار الجميع ومحور حديثهم؛ فهو مدين لها بالكثير، دينًا لن يتمكن من سداد قيمته إلا بعد سنين، ومن يرضى بالدين عليه أن يتحمل مشقته مهما ثقلت.

ووقعت المفاجأة الكبرى التي عقدت لسان الأمريكان وطارت قلوب العرب فرحة بها؛ إذ فازت لينا رامي على لاعبة التنس الأميركية «سيرينا ويليامز» المصنفة الأولى عالميًّا في التنس الفردي للسيدات، والتي تربعت على عرش هذه البطولة لمدة ست سنوات متتالية، ما حققته لينا أشبه بالخيال، كيف هزمت من لا تقهر؟

كيف استطاعت أن تنتزع اللقب وتتوج بالبطولة؟ أطلق جمهورها في مصر والبلدان الألعاب النارية احتفالاً بفوزها، وأصبح خبر فوزها في صدارة فقرات كل البرامج التلفزيونية الرياضية العربية وعناوين الصحف العالمية.

قضت لينا الأيام التي أعقبت فوزها تتنقل بين كاميرات القنوات الفضائية، وتجري مقابلات مع صحفيين عرب وأجانب، وكانت دومًا تنهي حديثها معهم أن ثمة مفاجأة كبرى تعدها احتفالاً بفوزها ستحبس أنفاس العالم، وطلبت من الجميع أن يحضروا غدًا في منطقة برونكس، جمعت لينا كل أصدقائها مساء ذلك اليوم على مأدبة عشاء ضخمة، رقصت وشربت «الويسكي» كأنها لم تشرب من قبل أو لن تشرب مجددًا، وطلبت من سائقها أن يتجول بها في شوارع نيويورك، ثم توقفت عند أحد محال الكب كيك، حيث كانت زبونة دائمة هناك، فلا يمكن أن تزور نيويورك من دون أن تمر بهذا المحل يوميًّا، وأن تأخذ أيضًا بعضًا منها لتتناولها في الطائرة في طريق عودتها إلى مصر، وظلت تجول الشوارع إلى أن جاءت الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي، فطلبت من السائق أن يوصلها إلى «بورنكس» وأن يرحل لأنها لا تعلم متى ستعود.

●●●

الفصل الثالث

لعبة الأقدار!

وبالفعل حضر الإعلاميون والصحفيون في الموعد فوجدوا عرضًا مبهرًا للألعاب النارية يكسو سماء «برونكس» ويصاحبه عزف مقطوعة الكمان الأحمر، استمر العرض لمدة ٨ دقائق، ثم سمع دوي ارتطام جسد شخص ما بالأرض؛ فركض الجميع نحو الصوت، ليجدوا أن الشخص الذي سقط للتو هو «لينا»، عجز كل الموجودين عن تصديق ما تراه أعينهم، وقد خيم شبح الدهشة والحزن على الجميع، فشل تفكير معظم الحضور عن الاتصال بالشرطة أو طلب سيارة إسعاف، وكأن المفاجأة حقنت عقولهم بمخدر أوقف حركاتهم ووعيهم للحظات، ثم قرروا أن يفتشوها لعلهم يجدوا شيئًا ما يفسر لماذا قررت الانتحار بهذه الطريقة البشعة، رغم النجاح العظيم الذي حققته والسعادة الغامرة التي ظهرت على قسمات وجهها أمس؛ ليجدوا أنها كتبت على ذراعها الأيسر باللغة الإنجليزية: لقد أعطتني هذه الحياة كل شيء المال، الجمال والشهرة، بنفسي اخترت قدري، ولم أسمح له يومًا أن يجبرني على شيء، هوايتي، زوجي، نجاحي، قوتي، حتى موتي أضعت عليه فرصة أن يفاجئني به؛ فأنا من قررت كيف ومتى وأين أفارق هذه الحياة، فما عساني أفعل بعد كل هذه المكاسب

والنجاحات التي أحرزتها؟! ومثلما اخترت أن تكون حياتي، زواجي، مباراتي مبهرة، اخترت لموتي أن يكون أكثر إبهارًا، فمن مثلي لا يمكن أن تموت بعيدًا عن الأضواء، لا تبكوني وأقيموا الحفلات لرحيلي مثلما اعتدتم أن تقيموها أينما حللت.

ومثلما شغلت أخبار لينا صفحات الجرائد والمجلات، أفرد لخبر انتحارها المساحة نفسها؛ فأصبح الخبر الرئيسي لمعظم الصحف وبرامج التليفزيون الرياضية، ثم وارت سيرة لينا الثرى مع جسدها. كم هي مسكينة هذه اللينا، عاشت وماتت في مأساة، أعماها غرورها أن تدركها فتسعى إلى تغييرها، خدعت حين ظنت أن الحياة أهدتها كل شيء، وعميت عن الحقيقة الجلية، أنها حرمت من أعظم متع الحياة، أن ينبض قلبها بحب شخص ما؛ فتزهر سنين عمرها ويكسي النور ملامح وجهها، وتتناثر لآلئ السعادة من بين عينيها، لم تشتق يومًا لعناق أي شخص، صديقًا كان أم حبيبًا؛ فحرمت من إحساس الأمان ومتعة السكينة، لم تعش مطلقًا تجربة أن تضيق بها الدنيا ويتملك الخوف من كل قطعة في كيانها؛ فتلوذ بحضن يسقي قلبها بردًا وسلامًا فتشعر أنه ما أصابها مكروه قط، حرمت من متعة أن تتضرع بين يدي الله حتى يحقق لها أمانيها، فقد غادرت هذه الحياة دون أن تصلي فرضًا، دون أن تتبع أي من أوامر الله، أو تمتنع عن أي من نواهيه،

لم تهنأ بجمال مداواة الله لها إذا ما تمكن الوجع من غرس بذوره السامة في فؤادها يومًا، فقد ضل سعيها في الحياة الدنيا، وهي تحسب أنها تحسن صنعًا.

تلقى لؤي نبأ انتحار لينا من وسائل الإعلام، وكأنه لم يكن زوجها يومًا، ليختتم أداء الدور الهامشي الذي ما لعبه سواه في حياتها، فكان حاضرًا غائبًا في حياتها وفي مماتها أيضًا، بيد أن وفاة لينا شرًّا حميدًا، فلم يكن لؤي يقوى على أن يكمل حياته على هذه الشاكلة، نعم هو من اختارها، هو من تقرب وتودد وقدم أثمن القرابين حتى تمن عليه بنظرة رضا، لتسقطه في فخ هيمنتها وغرورها الأبدي، كان كملايين الرجال الحمقى الذين يلهثون خلف النساء الجميلات والمشهورات؛ ظنًّا منهم أن الجنان السبع ستضحى حكرًا لهم عندما يرتبطون بهن، لكن سرعان ما تظهر أمام أعينهم الحقيقة القاسية، إنهم ليسوا سوى ممثلين ثانويين في حياتهن، وأن أغلى القرابين التي قدموها هي رجولتهم، وكيف لهم أن يحيوا دونها؟ وهل يوجد على سطح هذه الأرض مقابل يغري الرجل للتنازل عن شرفه؟ فمنذ ارتباط لؤي بلينا لم يشعر أبدًا برجولته، ولا حتي في قرارة نفسه، يكفيه قهرًا تمام علمه أنه لم يكن رجل امرأته الوحيد، فعلى الرغم من أنه لم يعش معها سوى فترة قصيرة، فإنها كانت تغيب عن المنزل كثيرًا

لتعود مخمورة سكرى، وجسدها تفوح منه رائحة ذكورة عفنة، كان على يقين أنه الرجل العار الذي يدري كم رجلاً ينهش في لحم زوجته كل ليلة، ومع ذلك يتقبل ويضمها كلما عادت إلى المنزل، عاش معها ديوثًا أشعث. من المؤكد أن كلاهما صنع من نار كالشياطين، فهما لا يشبهان البشر في شيء.

عندما يتعرض الإنسان لصدمة ما، من الصعب أن تستمر حياته كما كانت من قبل، ثمة تغيير يصاحب الأزمات عادة، فحياة الإنسان بعد الصدمات الكبرى بمثابة ميلاد جديد، لكنه وحده من يحدد نصيب هذا الميلاد من الخير أو الشر.

استيقظ لؤي عصر اليوم التالي على صوت هاتفه يرن، كان والد لينا هو المتصل؛ فقد كانا على موعد أن يتقابلا في مطار برج العرب لتسلم جثمانها، لكنه تخلف عن موعده، لم يرد لؤي على مكالمته؛ فلم يكن مستعدًا لسماع أي من كلمات التوبيخ أو حتى العتاب، لا يعلم لماذا أصر والدها أن يحضروا جثمانها إلى مصر، كيف يصر على ذلك، وهو لم يهتم لأي من أمورها أثناء حياتها سوى أن يمنحها المال؛ فلماذا يكبد نفسه كل هذا العناء الآن بعد موتها؟ وهل يشعر الأموات بفارق إذا دفنت أجسادهم في موطنهم أو في أي من بقاع الأرض؟ انتهت علاقته بها، ولن يهتم بتشييع جنازتها أو يضع شاهد قبرها، هو لم يكن يومًا زوجًا

حقيقيًّا لها، وفجأة سمع طرقات شديدة على باب غرفته ونحيب بكاء لصوت قد تهشم من الألم، أنه صوت والدة لينا فتح لها الباب فوجدها جاثية على الأرض، فمد لها يده حتى تستند عليها وتقف، فإذا بها تقبله وتستحلفه أن يأتي معها إلى سرادق عزاء ابنتها يكفيها فضيحة الانتحار، الجميع يسألون عنه ويخوضون في عرضها وهي بين يدي الله، فلتأت معي من أجل الله لا من أجلها ولا من أجلي، لن أعود بدونك، من أجل الله؟ هل فعل لؤي شيئًا من قبل طمعًا في رضا الله، سيذهب معها، ولتكن هذه خاتمة قصته مع لينا.

عاد لؤي من سرادق العزاء محبطًا فلم يكن هناك سوى عشرة أشخاص، نصفهم من الصحافة، أين المعجبون؟ أين أصدقاؤها؟ أين نجوم المجتمع ورجال الأعمال؟ لم يحضر أحد سوى والديها والسائق والمربية، لم يحب لينا أحد، ازداد خفقان قلبه، هل سيشبه عزاؤه عزاءها حينما يفارق الحياة؟ ألن يجد من يبكيه ويترحم عليه؟

طوفان من الخواطر اجتاح رأس لؤي، تقاتلت الأفكار المتباينة داخل عقله، ومرت أمام عينه الكثير من الكلمات التي شعر أنه يجهل معناها، الفضيحة، الضياع، وغلفتها كلمتا التعاسة والحزن، حاول أن يسكت هذه الأصوات التي تتعالى بداخله، حاول أن يغمض

عينيه حتى لا يرى كل تلك الكلمات التي سقطت أمامه بغتة تتساءل عن معان لها، لكن عجزه كان أشد بأسًا من قدرته على المقاومة؛ فأخذ يصرخ ويشيح بيده وكأنه يأمر هذه الأفكار أن ترحل بعيدًا، وظل يتمتم بكلمات غير مفهومة لمدة أكثر من ساعتين.

خارج غرفته وفي منتصف الممر الفاصل بين بهو المنزل وغرفته، كانت تقف مديرة المنزل مكتوفة اليدين، تخاف أن تقترب منه وهو في هذه الحالة من الهيجان والثورة، ولا تتحمل أن تتركه هكذا، فكل قطعة من روحها كانت تأن حزنًا على صغيرها الذي ربته منذ زمن بعيد، لطالما اعتبرته ابنها البكر ما زالت تذكر جيدًا حين جاءت لتعمل في منزل والديه منذ ثلاثة عقود، لم يكن قد خلق بعد، فعندما بدأت عملها مع والدته كانت بطنها متكورة أمامها، وكان العد التنازلي لموعد ولادتها قد حان، وانتهى دور والدته في حياته فور وضعها له؛ إذ انصرفت إلى رحلات عملها الخارجية التي لم تعرف لها محطة توقف قط، رحلة فور رحلة، حتى انتهى بها العمر، لتتسلم هي كل الأدوار، الأم والمربية والسند والمنقذ، ثم وضعت يدها على قلبها وشهقت، كم تحبه رغم كل عيوبه، رغم طيشه تحبه، تبتسم شمس دنيتها لو ضحك، وتظلم حياتها لو حزن أو لمحت عبرة في عينه، لكنها رغم كل هذا الحب قد خابت كل آمالها في تقويم سلوكه العوج حينما توجد تلال من

المال بلا حساب، وفي غياب الرقيب كان من الطبيعي أن تبوء كل محاولاتها المستميتة لإصلاحه بالفشل، فمهما حاولت المربية أن تعطي الأطفال التي ترعاهم حبًّا وحناناً فإنها لن تستطع سد الفراغ الشاسع القاطن في قلوبهم، لا يمكنها أن تدفئ أرواحًا أضناها برد الوحدة منذ ميلادها، ستتركه هذه الليلة لن تلعب هذه المرة دور المنقذ الذي ما لعبت سواه منذ ميلاده، ستتركه للصراع الدائر بينه وبين نفسه، لعله يقتل شيطانه وينجح في إفاقته من ضلاله وضياعه، ربما يكون موت لينا شرًّا مبطنًا بخير كبير في إصلاحه وتقويمه.

حتي هي، ما عساها تملك أن تفعل الآن سوى أن تستغيث بالله، ذهبت وأسبغت وضوءها ونوت أن تصلي ركعتين قضاء حاجة؛ راجية الله أن يشدد من أزره ويبث في روحه القوة والصبر.

استلقى لؤي على أرض غرفته متوسلاً إلى النوم أن يسرقه من آلامه وأفكاره ولو لدقائق، وكأن النوم قد استجاب لطلبه وسحبه إلى وضع غريب؛ فلم يغط في نوم عادي، بل كان في حالة غريبة في مرحلة ما في المنتصف بين النوم واليقظة، عقله نصفه واع ونصفه الآخر نائم لا هارب، رأى نفسه يدخل إلى أتيليه، ولكنه لم يكن يبحث عن فستان، ولم تكن ترافقه فتاة، بل كانت عيناه تتفحص كل شبر في الأتيليه بحثًا عنها، وظل

يتجول حتى رآها تطل من بعيد بعينين مبتسمتين، إنها رهف التي يجزم أن الله لم يخلق على هذه الأرض من هي أطهر، تلك العينان التي تشبه أنهار الجنة ذات الابتسامات العديدة، ولكل واحدة منهن معنى؛ فعندما تبتسم ينغلق جزء صغير من عينها، تشعر أنها تزود قلبك بأطياف من الحب والحنان، وحين تبتسم فتغلق كل عينها تشعر أنها تسحبك من تأوه روحك لتداعبك في ثنايا روحها الحلوة، حتى تنسى من أي أمر كانت تتوجع تلك الروح الهانية الراقصة، كم هي نابغة تلك العينان، تعلم جيداً أي ابتسامة تحتاجها في كل مرة تلقاك، وما أخطأ حدسها قط. نظر في عينيها باحثًا عن مدد منهما حتى ينجو من هلاكه، مد يده نحو يدها، وكانت يده ترتجف وتمتلئ بحبيبات العرق، فإذا بها تضع يده بين كفيها وتهمس في أذنيه بصوتها المرهف، أغمض عينيك وهدئ من روعك أنت في أمان الآن.

نسيت مديرة المنزل أن تغلق ستائر غرفتها ليلة أمس؛ فأيقظتها أشعة الشمس التي دخلت على استيحاء، وكأنها لا تريد أن تزعجها، ولكن نومها كان خفيفًا لدرجة أن تغريد بلبل صغير قد يوقظها، نهضت ونظرت إلى ساعة الحائط فوجدت أن العقرب يشير إلى الثامنة، ما زال الوقت مبكرًا، لكنها ستذهب لتطمئن عليه، توجهت صوب غرفته وشرعت تطرق الباب عدة

مرات، لكنها لم تتلق أي إذن بالدخول، فما كان عليها إلا أن فتحت الباب ودخلت، عقدت المفاجأة لسانها عندما رأته مستلقيًا على الأرض في حالة يرثى لها، واللعاب يسيل من فمه، وكان صوت شهيقه عاليًا جدًا ينذر بوجود مشكلة ما في جهازه التنفسي، ستحاول إيقاظه وإذا لم يستجب ستطلب سيارة الإسعاف على الفور، جلست على الأرض بجواره وأخذت تتحسس وجهه بأناملها، ثم بدأت تنادي عليه بصوت خافت عدة مرات فإذا به يفتح عينيه ويسألها بلسان ثقيل أين رهف؟ نزلت هذه الكلمات على مسامعها كالرعد، رهف! خاب رجاؤها؛ فقد كان يئن ويصرخ حزنًا على امرأة جديدة، لم تكن لحظة محاسبة للنفس كما ظنت، لم يكن ذلك صحوة لنفسه الأمارة بالسوء، لم تكن سوى عاصفة غضب هائجة لرجل مغرور بعد رفض إحدى النساء مرافقته. استشاطت حنقًا منه؛ فتركت رأسه من بين يديها فاصطدمت بالأرض، ثم انصرفت وتمتمت حسبه شيطانه رفيقًا.

شعر ببعض الألم إثر ارتطام رأسه بالأرض استيقظ على إثرها من غيبوبة النفس هذه، فوجد أن حالة غريبة من التعب والإعياء اجتاحته، لا بد أن يأخذ حمامًا ساخنًا، لعله يخفف عنه أوجاعه، دخل الحمام وجعل الماء الساخن يتساقط على جسده بغزارة متمنيًا أن يرحل عنه ذلك الألم الذي لم يصب جسده بمثله يومًا، بيد أنه

كان أحمق؛ فلو زار كل العيون الساخنة في العالم في تلك اللحظة لما استطاعت أن تخفف عنه هذا الوجع، إنه أنين نفس ضالة تائهة. كان الماء يتصبب على وجه بغزارة فتنغلق عيناه لا إراديًا، وعندما يغمض عينيه يرى وجه رهف يناديه أن يقترب منها، كيف اشتهى فتاة محجبة لهذا الحد؟! وهل يشتهي الرجال امرأة سترت كل مفاتنها؟! رغبة شديدة تدفعه إلى أن يذهب للقائها، لكنه لا يستطيع أن يذهب الآن، فلم يمر على وفاة لينا سوى أيام قليلة، لا بد أن ينتظر عدة أشهر، فلا يمكن لامرأة أن تثق في رجل يلهث وراء أخرى بعد أيام من انتحار زوجته. سيعود إلى عمله ويمارس حياته العادية، ريثما تسمح الظروف بلقاء رهف.

لم يرد لؤي على أي من الاتصالات الواردة من أصدقائه لتعزيته؛ لأنه كان متيقنًا أنها مكالمات شماتة أكثر منها مواساة، وهو سيقطع عليهم هذه الفرصة الذي قدمها انتحار لينا لهم على طبق من فضة، للنيل من كبريائه وكرامته. سيعود ولن يسمح لأحد أن يرمقه بنظرة واحدة تزعجه. ولكن سرعان ما تبددت تلك الخطة.

فعندما قرر أن يعود إلى عمله ويقطع إجازته بعد فترة طويلة بعض الشيء، وتولى قيادة الطائرة إلى باريس، فوجئ أن كل فرد في طاقم الطائرة يتحدث معه في الموضوع، المساعدون وطاقم الضيافة، حتى عمال الصيانة الذين يتأكدون من سلامة

الطائـرة، فاقـت جرعـة الشـماتة كل توقعاتـه، وبـدت خطـة دفاعـه واهنـة للغايـة أمـام كل هـذا الكـم مـن الفضـول والفـرح في مصابـه. ولكنـه حـاول أن يطمئـن نفسـه أنـه رد فعـل طبيعـي لانتحـار لينـا، ربمـا لـو كانـت وفـاة عاديـة لـكان رد فعلهـم سـيصبح مختلفًـا، كمـا أنهـا المـرة الأولـى التـي يرونـه فيهـا بعـد هـذه الواقعـة، أيـام وسيسـدل السـتار عـن هـذا الموضـوع، عليـه فقـط أن يتحلـى بالصبـر حتـى تمـر تلـك الفتـرة العسـيرة. ولكـن حدسـه قـد أخطـأ للمـرة الثانيـة علـى التوالـي؛ فقـد طالـت تلـك الفتـرة العصيبـة أطـول ممـا تخيـل، فلـم تتوقـف ألسـنتهم عـن السـؤال، ولـم تكـف أعينهـم عـن رمقـه بنظـرات شـماتة حـادة. كيـف سـيكمل عملـه هكـذا، مـر شـهران وهـو ضائـع في حالـة مـن الضغـط العصبـي المتواصـل، أرق في الليـل وصـداع نصفـي قـد غـزا رأسـه وعجـزت كافـة أنـواع المسـكنات عـن تحريـره منـه، لا بـد مـن نهايـة مـا للوضـع الـذي آلـت إليـه حياتـه. سـوف يتـرك مصـر ويرحـل، لكنـه لـن يرحـل وحيـدًا.

مـر أكثـر مـن شـهرين علـى مـوت لينـا، الآن صـار بإمكانـه أن يذهـب إلـى مقابلـة رهـف، لكـن كيـف سـيبدأ الـكلام معهـا، لا بـد مـن طريقـة مـا تؤكـد لهـا حزنـه علـى فـراق زوجتـه، وتفكيـره في أن يمنحهـا بعـض الحسـنات لتنيـر عتمـة قبرهـا وتؤنـس وحشـتها فيـه، لا بـد أن يحبـك أداء دور الـزوج الـوفي الـذي مـا زال يعيـش علـى ذكـرى حبيبتـه

الراحلة، والذي لن يهنأ في حياته إلا لو شعر أنه أمن لها آخرتها، كما أمن لها دنياها، سيذهب ويخبرها أنه يريد أن يبيع فستان زفاف لينا ويتبرع بثمنه لتعليم الأطفال السوريين في مصر، صدقة جارية على روحها، فكرة نبيلة ورومانسية في آن واحد، وستحبس أنفاس تلك الفتاة البريئة، فليس هناك شيء أسهل على رجل رافق مئات النساء من أن يغتصب قلب فتاة بتول.

استيقظ لؤي متأخرًا اليوم التالي، إذ انشغل عقله طوال الليل بترتيب تفاصيل لقائه بها، يريد أن يترك انطباعًا لا ينسى في نفسها، سيجعلها تهيم به، ويصبح كل تفكيرها منصبًا عليه، كان يرى في عينيها نظرات إعجاب مستحية، وكان ينثر خجل حمرته الجذابة فتملأ وجنتيها كلما تقابلا، ماذا سيرتدي؟ وماذا سيقول؟ يتذكر أنه سألها مرة أثناء متابعته تفاصيل حياكة فستان زفاف لينا عن أي الماركات العالمية الرجالية تفضل؛ فأخبرته أنها تفضل «تومي هيلجر»، إذن ستكون كل إطلالته اليوم منها، اختار قميصًا أبيض وبنطلون جينز أسود مع حذاء رياضي أزرق داكن، وزين إطلالته بساعة مرصعة بفصوص الألماظ من ماركة «رولكس»، ثم وضع زخات من عطر «توم فورد» على رقبته وقميصه، نظر في المرآة عدة مرات محدثًا نفسه، إنه يبدو في غاية الأناقة والوسامة، وراهن نفسه أنها ستقع في فخ حبه أسرع بكثير مما يتخيل.

وصل الأتيليه ثم فتح الباب حاملاً الفستان بين يديه، كانت رهف تجلس على مقعدها الهزاز وتستمع إلى أغنية «فاكهة الحب» لكاظم الساهر، والفواحة التي وضعتها على المنضدة المجاورة للشباك تعبق المكان برائحة فانيلا جذابة، لم تقابله سوى مرات قليلة، لكنها ما زلت تفكر فيه، تتمنى أن تقابله وتعزيه في وفاة لينا، لكن علاقتها به كانت سطحية لدرجة لا تسمح لها بتعزيته ولو حتى في اتصال هاتفي، كما أنها لا تعلم رقم هاتفه، ثم زفرت في ملل وتأفف ستعود إلى المنزل يكفيها عمل اليوم، وقف لؤي أمامها وألقى تحية المساء، لم تصدق ما تراه عيناها، وأخذت تدعك عينيها بيديها، إنها ترى طيفه مجددًا، سيطر الغضب عليها وتمتمت متى سينتهي شوقها إلى ذلك الغريب، لقد سئمت هذا الوضع، ثم حملت حقيبتها وغادرت في عجالة شديدة فسهت أن تغلق الباب وراءها، اندهش لؤي من رد فعلها، وران كأن على رأسه الطير، ماذا حدث لها عندما رأته؟ هل ما زلت تذكره؟ ثم ابتسم في خبث وقال ساخرًا: إنها ليست مجرد ذكرى، إنه إعجاب، أو من يدري لعله ما يطلقون عليه «حبًا»، وضع الفستان علي المنضدة وترك بجواره ورقه كتب عليها رقم هاتفه واسمه ورسالة مقتضبه: أنتظر مكالمتك.

حينما وصلت رهف إلى بيتها كانت والدتها تجلس في مكتبها وتمسك بقلم فيروزي؛ حيث كانت ترسم تصميمًا لأساور ألماظ مرصعة بأحجار الفيروز والذهب الأبيض، سألتها أمها عن رأيها في هذا التصميم، فغرت فاها وقالت وهل يوجد على هذه الأرض من يستطع أن يصمم الألماظ أفضل منك يا أمي، ثم وضعت قبلة على خدها وانصرفت، دلفت إلى غرفتها ثم ارتمت على سريرها متعبة، شعرت برغبتها في الاتصال بنور فأمسكت بهاتفها وحادثتها، ثم أخبرتها أنها تود أن تذهب إلى مدينة دهب في الصباح؛ لأنها غارقة في مزاج سيئ للغاية، ورغم قربها منها، فإنها كانت تخجل أن تبوح لها بمشاعرها تجاه لؤي، وهل يعقل أن نحكي لأحد عن أحلام يقظتنا، اعتذرت نور منها لأنها لن تتمكن من مرافقتها هذه المرة؛ لأنها لا تستطيع أن تأخذ إجازة من المدرسة بدون أن تخبرهم مسبقًا، لماذا ينشغل أصدقاؤنا في أكثر أوقات احتياجنا إليهم؟ ستسافر بمفردها، لا بد أن تنال قسطًا من الراحة حتى تنسى ذاك اللؤي، وتعود إلى سعادتها وهدوئها الماضي.

لم تنم هذه الليلة، وظلت تتقلب في فراشها لساعات طويلة، ثم قامت وتناولت مصحفها، كم كانت تحب قراءة سورة يوسف، كل آية فيها تبعث في وجدانها سلامًا وسكينة؛ ففي تلاوتها ضمادة لجرحها النازف، ثم توضأت وذهبت لتصلي الفجر مع والدتها،

أخبرتها عقب الصلاة أنها ستسافر إلى دهب لبضعة أيام؛ فسألتها هل ستأتي نور معها، أجابت نافية وأردفت أنها تحتاج إلى إجازة تقضيها وحدها، أومأت أمها برأسها موافقة، وربطت على كتفها، ثم طلبت منها أن تجهز حاجياتها وتنهي ترتيباتها ريثما تغير ملابسها حتى توصلها إلى المطار، كانت ليلى تدرك أن رهفًا مغرمة، لكن يقينًا ما في قلبها كان يخبرها أنه حب من طرف واحد؛ لذلك لم تسألها قط عن الأمر، فللحب من طرف واحد حلاوة موجعة، تحتاج إلى شجاعة كبرى منا حتى نتخطى حلاوته التي تنير أرواحنا للحظات، ونفكر فقط في غصته التي ستعصر أفئدتنا لأيام وشهور وسنوات.

تعشق رهف ركوب الطائرة، ولا بد أن تتأكد أن مقعدها مجاور للنافذة، حينما طلت من الشباك لتتأمل جمال السحب، شعرت بروحها تتسرب من داخلها وتستتر في أحضان السحاب، ثم سرت في جسدها انتعاشة عذبة حفرت على ثغرها ابتسامة صغيرة رغمًا عنها، كلما ولت الدنيا ظهرها عنها لاذت بدهب؛ فطبيعتها الخلابة دواء لنحيب الروح وخيبات الزمن. يقولون إنهم أطلقوا على هذه المدينة اسم دهب؛ لأن جبالها ورمال شواطئها رائعة مثل الذهب، لكن لرهف وجهة نظر مختلفة، كانت ترى أن هذه المدينة حملت هذا الاسم لأن السلام الداخلي والطاقة الإيجابية

التي تبعثها هذه المدينة في نفوس زوارها نفيس وغال كالذهب، وليس من اليسير أن تشعر به في مكان آخر.

بعد ثلاثين دقيقة كانت قد وصلت إلى وجهتها المفضلة في مدينة دهب، منتجع «لومريديان» فكان معماره يشبه الكهوف التي تحتضنها الجبال في ثناياها، ويقف شاطئ البحر ليضفي على المشهد سحرًا ورونقًا. وضعت حقيبتها في الغرفة ثم ارتدت مايوه (البوركيني) استعدادًا للسباحة في الشاطئ الخاص بالمنتجع، كانت تعشق السباحة لدرجة أنها كانت تعوم لساعات طوال من دون كلل أو ملل، تتساقط الآلام والأوجاع من قلبها وتذوب في مياه البحر المالحة فيتلاشى أثرها من النفس، وكلما ارتطمت بموجة شعرت أنها تسحب من روحها جزءًا من عويلها وغرامها بذاك الغائب القريب، وظلت تسبح في المياه حتى شاهدت الشمس تنسحب من موقعها في السماء بدلال لتأذن للقمر بالبزوغ، فخرجت وجلست على الرمال في وضع القرفصاء، ورفعت بصرها إلى السماء وناجت الله هامسة: يا الله امنحني الشجاعة لأخرج هذا الحب من قلبي، ولا تلمني فيما تملك ولا أملك.

كان المنتجع يحول جزءًا من الحديقة المجاورة لحمام السباحة المخصص للأطفال ليلاً إلى سينما مفتوحة، يعرض فيها أحدث أفلام الرسوم المتحركة الأمريكية، أنهت رهف تناول طعام العشاء

ولمحت فيلم «ملكة الثلج» فيلمها المفضل يعرض على الشاشة؛ فذهبت وفتشت عن مقعد وسط الأطفال فغمزت بعينها إلى أحد الأطفال تستأذنه بالجلوس بجواره فتبسم الطفل ورحب بها، ثم منحها قطعة من كعكة دونات كان يتناولها؛ فمسحت على رأسه وقبلت وجنته في امتنان ثم قالت له هل تعلم، اليوم عيد ميلادي، ولم أتناول كعكة عيد الميلاد بعد؛ لأني هنا بمفردي، إذن أنت ملاكي الذي أهداني كعكة عيدي هذا العام، قبل الطفل رأسها ثم قام من مقعده وخاطب الأطفال طالبًا منهم أن يغنوا معه أغنية عيد الميلاد، ليعايدوا هذه الفتاة الجميلة، بالفعل استجابوا جميعًا لطلبه، وسرعان ما شكلوا دائرة حولها وبدأوا يغنون لها في تناغم وحماس كبيرين، فأخذت تحتضنهم وتضع قبلات على رؤوسهم جميعًا، كم تشعر بالمتعة حينما تسنح لها الظروف أن تشاهد فيلمًا مع الأطفال، ردود أفعالهم البريئة النقية تملأ وجدانها أملاً وفرحًا، وتغرس في قلبها ابتسامة تدوم لأيام، لكن كعكة الدونات لن تكون كعكتها الوحيدة لهذا العام مثلما ظنت، فهناك كعكة أكبر تنتظرها تحمل مشاعر حب لا تقل في صدقها شيئًا عن مشاعر الأطفال.

●●●

الفصل الرابع

شعرت رهف بهاتفها الجوال يهتز في جيبها، فوجدت أن رقم المنتجع يظهر على شاشته؛ فأجابت مستغربة؛ فأخبرها الموظف أن هناك أشخاصًا ينتظرونها عند الشاطئ، فسألته متعجبة من ينتظرني؟ لم يأت أحد معي. قال لها إنه لا يعلم، فضول كبير حملها لتعرف هوية الأشخاص الذين يبحثون عنها، ربما تكن فتيات معجبات بتصاميمها وقابلنها في الشاطئ أو في المطعم، وأردن أن يلقين التحية عليها، أو يستفسرن عن مكان الأتيليه، بيد أنها حبست أنفاسها عندما وصلت إلى المطعم المطل على الشاطئ، فوجدت ليلى وسيف ونور يقفون في منتصفه، يحملون كعكة عيد ميلاد مجسمة لوردة الياسمين، وقد أغلقوا جميع المصابيح واكتفوا بالشموع الحمراء التي زينت الطاولات، وخرج صوت كاظم الساهر من «الدي جي» يعايدها قائلاً: «كل ما تكبر تحلى وتصير أحلى وأحلى»، قفزت رهف من فرحتها بهذه المفاجأة، وأخبرتهم أنه لا توجد كلمات شكر تعرفها يمكن أن تصف بها سعادتها بكل ما فعلوه من أجلها اليوم، فهي على علم أن نور وسيف لديهم عمل في الصباح، ووالدتها أيضًا لديها موعد تسليم مجوهرات ظهر الغد، لكنهم لم يكترثوا لأمر أي شيء سوى أن يأتوا إليها ويحتفلوا معها بعيد ميلادها، طيب حبهم لها تأوه

قلبها، وجعلها تواري على حبها الثري فلا يمكن أن تسأل الله عن حب أكثر من ذلك.

غيرت رهف خطتها، وقررت أن تعود معهم إلى القاهرة؛ فقد تحسن مزاجها وارتفعت معنوياتها لأعلى معدلاتها، لا تريد أن تبتعد عنهم الآن، فما زالت روحها في أمس الحاجة لكل لحظة حب ودفء، وفي تعطش لدلالهم ورعايتهم لها، جلست بجوار سيف في الطائرة وحدثته عن فرحتها بقدومه مع نور ووالدتها ومزاحته قائلة: طيب هما اتعودوا على هبلي وجناني من زمان، لكن أنت ذنبك إيه يا مسكين، أنا شايفة أنك تقطع علاقتك بيا دلوقتي، أحسن مين عارف ممكن السنة الجاية أخليكوا تيجوا ورايا للهند مثلاً، فأجابها في ثقة وخجل: وراكي لو حتى قررتي تعملي عيد ميلادك الجاي على القمر.

اعتلى وجهها ابتسامة وضاءة، ثم أدارت وجهها عنه لتشاهد الشروق من نافذة الطائرة، كم كان سيف سعيدًا بجلوسه بجوارها؛ فقد كان حبه لها طفوليًّا للغاية كل ما يشغل عقله سعادتها مهما كلفه الأمر من مجهود معنوي يسقم قلبه ويضني روحه، فادعاء رجل صداقة امرأة يعشقها خوفًا من خسارتها لو علمت بحقيقة مشاعره تجاهها، أشبه بمن وضع خنجرًا في فؤاده وتركه ينزف، وكلما ازداد نزيف قلبه ازداد حبه لمعشوقته، سيأتي يوم ويبوح لها

بحبه، وسيجلسان معًا في الطائرة، لكن حينها لن تدير رأسها بعيدًا عنه، بل ستكون قريرة العين على صدره غافية، يومًا ما ستصبح رهف زوجته، يقينه في الله يملأ نفسه الحائرة ثقة وأملاً، متى خذل الله قلب عشق فأراد أن يكون حتى حبه في طاعته، أن يتزوجها ويؤسسان أسرة دافئة حنونة تملأ هذا الكون التعس فرحًا وبهجة. كلاهما وقع فريسة للحب من طرف واحد، ينهش قلبيهما بأنيابه السامة بلا هوادة. يا ترى كيف لأرواحهما المعذبة أن تشفى من هذا الحب؟

غطت رهف في نوم عميق فور وصولها إلى المنزل؛ تعويضًا لسهاد الليالي الماضية، وعندما استيقظت في المساء أخذت تبحث عن أمها في كافة أرجاء البيت، لكنها لم تكن قد عادت بعد؛ فقررت أن تطهو وجبة العشاء بنفسها، اختارت طبق فراخ على الطريقة المكسيكية، وشوربة طماطم بالزبادي، وستطلب من نور أن تأتي هي ووالدها ليتناولا الطعام سويًا، لم تكن ماهرة في الطهي؛ فكان موقع اليوتيوب الشهير مرجعها إذا ما أرادت أن تعد وجبة ما، لكنها كانت ماهرة في لم شمل العائلتين الصغيرتين معًا، اللتين تتعكز كل منهما على الأخرى لتكمل رحلتها في هذا العالم القاسي، كان لقاؤهم مزيجًا من الخلاف حول الآراء السياسية المختلفة للآباء والأبناء، ثم ضحكات على قدرات رهف في الطهي،

ثم يتبادلان أطراف الحديث في مختلف الموضوعات، ويتبادل العاشق نظرات الحب المستترة بالمجاملة إلى عيني ليلاه؛ فكانت تأخذ رأيه في كافة تصاميمها وتضعه في عين الاعتبار دائمًا. عقب انصرافهم دلفت رهف إلى غرفتها ثم فتحت حاسوبها الجوال لتبدأ الخطوات الأولى لتصميم فستان زفاف جديد، وقد ساعدتها حماستها المتقدة لتنهي التصميم في وقت قليل وتنام هانئة البال.

توجهت صباح اليوم التالي إلى الأتيليه، حيث كان لديها عمل متراكم أجلته يومًا وراء يوم بسب مزاجها السيئ آنَذاك ، وعندما وصلت وجدت الباب مفتوحًا، فأدركت أنها نست أن تغلقه حينما خرجت في عجالة قبل يومين، ثم وقعت عيناها على فستان وضع فوق المنضدة، أصيبت بدهشة كبيرة من ترك هذا الفستان هنا؟ فمساعدتها لم تأت بعد، كما أنها تغيبت يومين عن الأتيليه أيضًا، أزالت الغطاء عن الفستان فوجدت أنه فستان زفاف لينا، شلتها المفاجأة لدقائق ظلت تحدق بنظرها إليه وقد أصاب عقلها تشويش كامل؛ إذ فقدت قدرتها على استيعاب الموقف، لكن عينيها قررتا أن ترحماها من بحور الحيرة والتيه التي علقت بها، فقد لمحت ورقة ملقاة على الأرض وقد كتب فيها اسم ذاك اللؤي ورقمه وكلمة رجاء أن تتصل به لأمر ضروري. وضعت الورقة أمام

عينها ثم جلست على الأريكة وقد هجرها عقلها مفسحَ المجال على مصراعيه للقلب ليقود المشهد. لكنها تأبى أن يتولى قلبها قيادة الموقف الآن، لابد أن تهدأ نبضاته المتسارعة، لابد أن يرحل إلى أبعد منفى، لن تنهزم أمامه مجددًا فقرار نسيان ذلك الحب قرار واجب النفاذ. لاحت فكرة في عقلها المشتت؛ فلتمارس بعضًا من تمارين الاسترخاء حتى تدب الراحة في أوصالها وتتمكن من اتخاذ القرار الصائب الذي سيجعل نار هذه المعضلة تضحى بلسمًا على نفسها.

أسدلت رهف ستائر النوافذ الزاهية بالكامل، ثم أطفأت المصابيح ووضعت زيت الورد بالفواحة العطرية ثم حملتها إلى الطاولة المجاورة للأريكة، استلقت بظهرها على الأريكة وجاهدت نفسها أن تصفي ذهنها من التفكير في هذه المشكلة، ثم سافرت بعقلها إلى تفاصيل ليلة أمس؛ وقت كان فيضًا من الود والهناء، أغمضت عينيها الزائغتين، ثم أخذت نفسًا عميقًا عن طريق أنفها، ثم حبسته في صدرها لمدة عشر ثوان ثم بدأت تزفره ببطء وتدريجيًّا عن طريق الأنف والفم معا، كررت هذا التمرين لمدة ثلاث مرات متتالية حتي شعرت بروحها تهيم في بحيرة من الراحة والسكون، فتحت عينيها رويدًا رويدًا ثم نامت على جانبها الأيمن لبضع دقائق قبل أن تتحول إلى وضع الجلوس. ألهمها الله بالحل،

ستجعل مساعدتها تهاتفه لترى ما في جعبته، وتنقل إليه استيائها من تركه الفستان من دون إذن، ستحدثه بصرامة واقتضاب، هللت فرحة بهذا القرار الذي صالحت به رشدها الذي انصرم عنها منذ فجيعتها في حبها الطائش لشخص غريب بعيد.

دق جرس الباب عدة مرات فظنت أن «منى» مساعدتها هي الطارقة، لكنها وجدت صحفية ومصورًا، لقد نسيت أنها قد حددت موعدًا مع مجلة (سيدتي) لعمل حوار معها حول آخر تصاميمها، ومشاركتها المشرفة في أسبوع الموضة في باريس؛ فقد قدمت عروضًا للمحجبات في غاية الأناقة والإبداع، كان هذا الحوار في توقيت مثالي؛ إذ فاق شغفها بالحديث عن نجاحها توترها وترقبها لحل هذه الأزمة، وصلت مساعدتها إلى الأتيليه أثناء التقاطها الصور الفوتوغرافية التي سترفق بالحوار، فألقت عليهم التحية ثم اتجهت نحو المكتب، ودعت فريق عمل المجلة بحرارة وامتنان بعد انتهاء حوارها معهم، ثم طلبت من «منى» أن تأتي إليها.

اتخاذ القرار هو الخطوة الأسهل في حل أي مشكلة، لكن من يقوى على تنفيذه؟! حكت رهف لمساعدتها قصة الفستان، وطلبت منها أن تتصل بصاحب الرقم لتعلم ماذا يريد، بالفعل كونت «منى» رقم هاتفه على شاشة جوالها، غير أنه لم يجب على اتصالها، زفرت رهف في تأفف شديد ثم طلبت منها أن تنحي هذا الأمر

جانبًا ولتبدآ العمل فهناك العشرات من التصاميم التي يجب أن يسلماها خلال هذا الشهر، عاود لؤي اتصاله برقم مساعدتها بعد ساعة تقريبًا، فردت عليه في جدية ثم نقلت إليه أولاً استياء رهف الشديد من دخوله الأتيليه في غيابها، ففوجئت به يرد أنه تركه أثناء وجودها قبل يومين مشددًا على أنه لا يمكن أن يقتحم خصوصية مكان أي شخص في غيابه، طلب منها أن يتحدث إلى رهف، فأخبرته أنها لا ترد على اتصالات الزبائن فوقتها ضيق للغاية، كان الغضب قد بلغ من لؤي مبلغه؛ فأغلق الخط في وجهها، كان صوته عاليًا لدرجة مكنت رهفًا من استراق السمع لكل ما دار بينهما في المكالمة، نظرت إليها مساعدتها والإحراج جلي في عينيها، ثم قالت يا له من شخص وقح، ربتت رهف على كتفها ثم انصرفت من دون أن تتفوه بأي كلمة، كان رد فعله لغزًا، لماذا استشاط غضبًا حينما أخبرته «منى» أن رهفًا لا تجيب على مكالمات الزبائن؟ وهل يوجد صاحب عمل يرد على كل اتصالات الزبائن؟ هل شعر أن كلمات «منى» جرحت كرامته حينما أفصحت له عن انزعاج رهف من دخوله الأتيليه في غيابها؟ هل كان فقط يريد الثأر لكرامته؟ وماذا عنها؟ لماذا طلبت من مساعدتها أن تقول له هذه الكلمات؟ لماذا تريد أن تقتص منه وتذيقه بعضًا من المرارة التي تجرعها قلبها طوال الأشهر الماضية؟ هل تريده أن يدفع ثمن سقوطها في حبه؟ أم أنها فقط تريد أن تبتلعه دوامة

الحياة بعيداً عنها؟ شعرت بغصة في قلبها ما لبثت أن انتشرت في كل جسدها، يا لها من حمقاء، ما زال غضبه وحزنه يدمي فؤادها تمامًا مثل أي من المرات التي جمعتها به؛ إذ كانت تشعر بانقباضة روحها كلما لاح الحزن من عينيه، كم هي وهنة قوى قلبها أمام تنفيذ قرار نسيانه.

تأخرت مكالمة رهف للؤي ليومين، ولكن ثقته فيما رأته عينه حينما زارها في الأتيليه كانت تنثر في أوصاله جرعات من الثقة والهدوء؛ فقد كان يجزم أنها لم تذهب إلى الأتيليه بعد ولم تر الورقة، فلو وجدتها لهاتفته في الدقيقة ذاتها، كيف لامرأة سلب العشق عقلها لدرجة أنها ترى طيف حبيبها في يقظتها أن تصبر على أول فرصة آتتها للحديث معه؟ لكن أن تجعل مساعدتها هي من تتحدث إليه لغز يصعب عليه أن يفك شفرته، ما بال توقعاته تخطئ خطأ منقطع النظير هذه الأيام، ألم شديد اعتاد أن ينقض على الجزء الأيسر من جسده بما في ذلك الوجه، كلما وقع تحت وطأة توتر أو ضغط عصبي شديد، بيد أن الوجع هذه المرة فاق كل المرات السابقة، وزاد عليه رعشة غزت أطرافه، فلم يعد يقوى على الحراك، لملم فتات قواه المتهالكة رغبة في النهوض، يحتاج أن يصل إلى هاتفه ليستدعي مديرة المنزل لعلها تسعفه أو تضمه إلى صدرها فتخفف آلام الموت لو كان وقته قد حان ليغادر هذه

الدنيا، لكن قدميه فشلت في حمله، فسقط على الأرض، وفي كل دقيقة كان الألم يستشري في جسده أكثر، لا بد أن يتحامل على نفسه لينهض؛ فليس لديه حلول أخرى، وظل يسقط مرة تلو الأخرى إلى أن اختل توازنه تمامًا؛ فاستسلم وانخرط في البكاء والصراخ من فرط الوجع، حارب ألمه وجاهد قواه المتهالكة حتى وصل إلى السرير، ثم مد ذراعه ليلتقط هاتفه من فوق السرير، اتصل بمديرة المنزل وعندما ردت مديرة المنزل عليه قائلة: «ازيك يا حبيبي خير مش عادة يعني تكلميني يوم إجازتي...

لكنه لم يمهلها أن تكمل باقي حديثها حيث صرخ باكيًا: الحقيني أنا بموت

اعتادت مديرة المنزل السيدة «هدى» أن تخلص لؤي من الكثير من المشاكل الصغيرة منها والكبيرة، ولكنه كان يأبى أن يعترف بحاجته إليها، كما أنها لا تتذكر أنه عبر لها في أحد الأيام عن شكره لمساندتها ودعمها الدائمين له في تصرفاته الصحيحة منها والخاطئة، على حد سواء، كانت في نظره خادمة، وهل يستحق الخدم أيًّا من كلمات الثناء؟ حسبهم ما يهبهم أسيادهم من مال وانتشال من موت محتم بسب الفقر الذي يحاصرهم من كل جانب، يا ترى أي ضائقة علق فيها جعلته يطلب مساعدتها بهذا الوضوح والضعف، تَرَاءتِ أمام ناظريها مشاهد تلك الليلة التي

بدا فيها لؤي خانعًا تمامًا بسب انتحار لينا، فضيحة كبرى حلت به، وهل يمكن أن ينزل به أمر أكثر سوءًا من ذلك، يا ترى أي من الضغوط قد تعرض لها حتى وصل إلى هذه المرحلة من الضعف؟ حتى هي قد سئمت من نظرات الجيران لها، وسلاطة ألسنتهم وغلاظة أسئلتهم عن سبب انتحار لينا، دموع التماسيح التي سكنت محاجر أعينهم لتؤكد لها صدق حزنهم عليها، وليغروها لتبوح بالسر المكنون الذي دفع تلك الشابة الجميلة لإنهاء حياتها بتلك الطريقة البشعة، ارتدت عباءتها في عجالة حتى إنها لم تنتبه أنها لبستها بشكل خاطئ، ثم هرولت إلى الشارع بحثًا عن سيارة أجرة، كان الجو حارًا جدًا تلك الأيام، كأن الشمس قررت أن تهرب من مقعدها في السماء لتحرق هذه الأرض الظالم أهلها، كان قلبها متلهبًا بنار قلقها على لؤي، والجو متلهب بسب حرارة الشمس الشديدة وتعامدها فوق الرؤوس، فطلبت من سائق السيارة الأجرة أن يشغل مكيف الهواء لعله يثلج نار الروح أو الجسد، زم السائق شفتيه معربًا عن تذمره من طلبها، فقطعت عليه أن يسمعها أسطوانة غلاء الأسعار، وقالت له انس الأمر، ولكن أسرع من فضلك، إنها حالة طوارئ. وصلت هدى إلى المنزل بعد ساعة من اتصاله بها، فركضت صوب غرفته لا تعلم كيف ساعدتها قدماها على الجري بهذه السرعة، وقد أعياهم العمل الشاق الذي ما انقطعت عنه يومًا منذ عشرات السنين، حتى

نسيت من أي الأمراض باتت تعاني، لكن قلقها وخشيتها أن يكون شر ما قد أصابه، كان وقودها لتتحرك بكل ما أوتيت من سرعة، فتحت الباب فوجدته ملقى على بطنه وعيناه تزخ العبرات بغزارة، أطلقت صرخة فزع دوى صداها في كل أرجاء المنزل، حملق فيها بشدة ثم همس بصوت واهن:

أنا هموت خلاص مبقتش قادر أستحمل شماتة الناس فيا وسيرة انتحار لينا طول النهار والليل، حاسس إني عايز أموتهم كلهم وارتاح، مش قادر استحمل نظرة عينهم والضحكة الخبيثة اللي بتملا وشوشهم كل لما يشوفوني، بقى أنا يحصل فيا كده، أنتحر زيها ولا أعمل إيه، ملعون أبو اليوم اللي شفتها فيه، ثم أخذ يضرب رأسه بالحائط ويصيح: أعمل إيه أعمل إيه.

ضمته هدى إلى صدرها وأخذت تربت على وجهه وتقبل رأسه، ثم قررت أن تخبره عن حل كانت قد وصلت إليه سلفًا فقالت: حبيبي أنا فاهمة كل اللي أنت فيه، وحاسة بصعوبة اللي حصلك، أنا نفسي بقيت بتجنب الناس من كتر ما تعبت من كلامهم في الموضوع، شهرتها صعبت الموضوع أكتر ما هو صعب أصلا، أحسن حل دلوقتي إنك تسافر كام سنة على ما الدنيا تهدى وبعدها لما ترجع هتكون كل حاجة اتنست.

صار السفر الحل الوحيد لخروجه من هذا المأزق، تمنى أن يسمع من «هدى» حلاً آخر، ألا يوجد حقًا خلاص من هذا المصاب غير السفر؟! فهو يكره الوحدة، يكره أن يبعد عن منزله سوى لأيام، إلى أين سيسافر وماذا سيفعل هناك؟ هل سيسافر وحيدًا؟ أم سيأخذ أحدًا معه؟ ومتى سيعود؟ كم يكره السفر، أليس هو من سرق منه أمه وأباه؟! أليس بسببه عاش يتيمًا رغم وجود والديه في بقعة أخرى من بقاع الأرض وليس تحت ترابها؟ يعشق الطيران، لكنه يبغض السكن في صدر الغربة مهما بدت مغرية ومثيرة لغيره، لكن يبدو أنه قد خلق ليجبر على فعل ما يكره.

استيقظت رهف باكرًا صباح اليوم التالي، لم يواطنها النوم غير سويعات قليلة، لا يستطيع قلبها أن يتحمل ذلك الإقصاء القهري لحب لؤي الذي فرضته عليه، كانت الشمس قد أشرقت للتو، وبدأت الطيور تغرد معلنة بدء رحلة اليوم، ارتدت رهف فستانًا أسود قصيرًا واسعًا، ثم نزلت إلى بهو المنزل وأدارت «الدي في دي» على أغنية «كيف لي أن أشفى من حبك» ثم بدأت تؤدي حركات راقصة بيديها، وما إن سمعت جملة كيف لي أن أشفي من بحثي عنك ووجعي إليك، حتي أطلقت العنان لجسدها وأغمضت عينيها لترقص رقصة خرجت فيها كل طاقة حبها له، كان رقصها فوضويًا جميلاً شعرت أن وجعها اتحد مع الموسيقى،

فصارت روحها تدور في كافة أرجاء المنزل، وبالفعل كاد يرحل عن قلبها بعض من أنينه، إلا أن صوت أمها وهي تنادي عليها أعادها إلى الأرض مرة أخرى. استيقظت ليلى من نومها على أنغام الموسيقى العالية، لكن حينما نظرت من الطابق العلوي ووجدت رهفًا هائمة في رقصتها، فضلت ألا تقطع عليها خلوتها بيد أن رهفًا اندمجت في رقصتها حد البكاء، حينها فقط شعرت أنها لا بد أن تخدر تأوه روحها المكلومة ولو للحظات، لكنها ما زالت متمسكة برأيها لن تسألها عن أمر لا رغبة لديها في البوح به، الأم الحكيمة هي من تبقى قريبة دون أن تخترق خصوصية أبنائها، ستهتم وتخفف دون أن تخدش قلبها ولو حتى بالسؤال عن حالها، اقترحت عليها أن يتناولا طعام الفطور في الخارج، وعندما وافقت، اصطحبتها إلى مقهى متخصص في إعداد فطائر التفاح بالكراميل مع قهوة الموكا، كان مقهى ألمانيًّا لم تمض فترة طويلة على افتتاحه في منطقة «سان ستيفانو»، لكن صيته قد ذاع سريعًا وصار هناك الكثير من الأشخاص الذين يقصدونه في الصباح قبل أن ينصرفوا إلى أعمالهم، بني المقهى بالقرب من الشاطئ، وقد صمم على غرار شكل البالون الحقيقي، ومن الداخل كان مقسمًا إلى أربعة أجزاء، وفي كل جزء وضعت طاولات خضراء يحيط بها أربعة مقاعد ملونة، تداعب رائحة الفطائر الشهية أنفك؛ فتستعطفك معدتك أن تمنحها بعضًا منها، وتغادر المقهى، وقد

عرفت الابتسامة طريقها إلى عيونك الغافية أو الحزينة. عرضت عليها ليلى أن تأتي معها إلى القاهرة، حيث ستقيم ورشة تدريبية هناك لعدة أيام، لكنها رفضت لانشغالها بالعمل، لم تصر ليلى في طلبها لعلمها بحالتها النفسية السيئة، ودعتها على باب الأتيليه ثم غادرت إلى القاهرة.

قررت أن تحادث لؤيًّا فلا تقوى أن تكون هي سبب ضيقه وحزنه يكفيه ما يمر به الآن، كان الوقت مبكرًا على أن تتصل به؛ فلم تتجاوز الساعة التاسعة بعد، ستقص فستانًا ورديًّا من الدانتيل والشيفون، ستصممه لطفلة، إنها المرة الأولى التي ستنفذ فيها تصميمًا للأطفال، لكنها أعجبت بالفكرة حينما طلبت منها إحدى قريباتها أن تصمم فستانًا لابنتها ذات السبع سنوات، صارت تشتاق للأمومة في الفترة الأخيرة كثيرًا، ربما لو نال هذا التصميم إعجاب الناس ستخصص قسمًا لفساتين الأطفال في الأتيليه، حينما تحرك بندول الساعة معلنًا الثانية عشرة ظهرًا شعرت أن الوقت قد أضحى مناسبًا لتتصل به، أمسكت بهاتفها وطلبت رقمه لكنه لم يجب، إنه غاضب منها ولا يريد أن يتكلم معها، فلتتصرف بالفستان إذن كيفما تشاء، هكذا خيل لها قلبها الموقف، هل تتصل به مرة أخرى، لا، خجلها يعلن أنه لا يستطيع أن يسايرها في ذلك، كيف استطاع عقلها أن يكمم فاه قلبها أمس

ويمنعها من محادثته، خدر ألمه للحظات، ليعود وقد اشتد جرحه ولم تعد تجدي كل مسكنات العالم في مداواته، ماذا تفعل ؟ وقد صار الانتظار رفيقها الأوحد.

قرر لؤي أن يعتزل الطيران، وأن يؤسس مشروعًا خاصًا به في الخارج، كان له صديق منذ وقت الدراسة قد هاجر إلى ولاية كاليفورنيا منذ عدة سنوات، حيث أسس شركة للاستيراد والتصدير هناك، وعلى ما يبدو أنها تدر عليه الكثير من الأموال، هل يتصل به ويسأله إن كان بإمكانه أن يصبح شريكًا له أم يبحث عن مشروع آخر بلا شركاء، لكن سرعان ما رجح كفة الخيار الأول؛ فهو يحتاج إلى ونيس وصديق في الغربة، لعله يخفف بعضًا من وحشتها، سيتصل به وبناء على كلامه سيقرر ماذا سيفعل، لكنه لم يجد هاتفه ضرب مقدمة رأسه بكف يده، تركه في السيارة، قل تركيزه كثيرًا في الآونة الأخيرة.

توجه صوب سيارته، وحينما فتح الباب سمع بطارية هاتفه تصيح معلنة أن طاقتها أوشكت على النفاذ، ألقى نظرة سريعة على سجل المكالمات فوجد ثلاثة مكالمات فائتة من هدى، وواحدة من رهف، طار قلبه فرحة بهذا الاتصال، ليس فقط لأنه كان ينتظره، بل لأنه عده هلبًا سيتعلق به ليأخذه بعيدًا عن دوامة الحزن والضياع التي علق في ثناياها. ليتصل بها، ولكن بطارية

الهاتف قد تآمرت عليه، تاركة آخر شحناتها تنفذ، وهو لم يحتاجها يومًا مثل احتياجه لها الآن.

جلس أمام مقود السيارة، متمنيًا لو أن هناك بساطًا سحريًا يحمله ويوصله في لمح البصر إلى منزله، كانت ساعة الذروة والزحام في شوارع الإسكندرية تنذر بأنه قد علق وسط سيل من السيارات، من يدري كم سيستغرق من الوقت حتى يصل إلى بيته.

شيطانه هو من وسوس إليه بالتقرب إلى رهف، في محاولة لترميم مكانته الاجتماعية وكرامته التي انهارت عقب انتحار لينا، مؤكدًا له أنه على استعداد لوضع التدابير وبذل الغالي والنفيس حتي يصطاد فريسته الجديدة، فما زال يراهن أن جاذبيته كرجل لم تهتز، لن يتحدث معها عبر الهاتف بل سيذهب إلى الأتيليه ليقابلها، ولن يتحجج بالفستان بل سيقول لها بكل صراحة ووضوح إنه بها معجب لأقصى مدى. أوقف سيارته بجوار باب الأتيليه، ثم أخذ نفسًا عميقًا ملأ رئتيه بالأكسجين؛ فدب الهدوء في نفسه القلقة، لكن سرعان ما تداعت أمام عينيه عشرات الأسئلة، ماذا سيقول؟ كيف سيبدأ؟ كيف سيكسب قلبها من الجولة الأولى؟ لماذا يعصف التوتر والقلق بقلبه إلى هذا الحد؟ لماذا يصعب الأمر على نفسه هكذا وهل يوجد من هو أمهر منه في اصطياد الفتيات، ماذا لو كانت الفتاة بلا ماض وبلا تجارب، سيكون أمرها هينًا، فليطمئن. لمحته رهف وهو يدخل من الباب؛ فنفض فؤادها

كل قلق الانتظار السابق عن كاهلها، وابتسمت في خجل، رحبت به ثم طلبت منه أن يتخذ مقعدًا، ثمة اختلاف جلي في نظرة عينيه هذه المرة، ترى ما سببه؟! هو انتحار زوجته بكل تأكيد لا تعلم، من يستطع أن يخبرني عنك؟ أي بشر أنت، ثم همت بسؤاله عن الفستان، ماذا يريدها أن تفعل به؟ فأخبرها أنه لا يعلم بالتحديد، يريد أن يبيعه ويتبرع بثمنه، أو ربما تبرع به لأحد دور رعاية اليتيمات؛ لكي ترتديه الفتيات بالتناوب عند حفلات زفافهن، يميل أكثر للاقتراح الثاني، لم تجتمع عينه بعينها مطلقًا، تلك العين التي اعتادت أن تتفحص أجساد النساء وتغويهن، تستحي أمام براءة وجهها وقدسية روحها أن تنظر إليها باشتهاء، أنهى حديثه عن الفستان، ثم قال لها إن هناك موضوعًا آخر يود أن تجود عليه ببعض من وقتها حتى يتكلم معها فيه، فوافقت مرحبة، بيد أن لسانه قد عقد، وعجز عن قول أي شيء، ظل يحاول أن يشجع قلبه، لكنه كان جبانًا لا يقوى على الكذب أمام براءتها الشفافة، فأخذ يتمتم بكلمات غير مفهومة لمدة نصف ساعة، ثم قرر الانصراف، أخبرها أنه أراد أن يتحدث معها في أمر مهم، ولكن إرهاقه قد غلبه؛ فهو لم ينل قسطًا كافيًا من النوم منذ أيام، ولو سمحت له سيكرر الزيارة مرة أخرى، فأخبرته أنه لا مانع لديها من استقباله مجددًا، وأنها ستنتظره حينما تسمح ظروفه بذلك.

قررت رهف أن تغلق الأتيليه وتنصرف، فلو تركت المجال لأفكارها أن تبدأ باقتحام عقلها باحثة عن إجابات لأسئلتها، أو مستفسرة عما حدث اليوم، لن تذهب إلى المنزل هذه الليلة، فلتصل إلى البيت أولاً، ثم يتصارع عقلها وقلبها كيفما يشاءان، فتحت شبابيك السيارة كلها، تريد أن ينعش الهواء البارد وجهها وروحها، إنها سعيدة وراضية للغاية، تعلم أن قلب ليلى يتعذب في ويلات القلق والحيرة عليها، وقد لازمها الحزن وشرود الذهن منذ فترة، كم هو قاس أن تشعر أن مساندتها لابنتها ودعمها لها لا يسمن ولا يغني من جوع، ستنثر قبلات على رأس أمها ويديها، وستحكي لها عن استمتاعها بتصميم فستان لطفلة لأول مرة، ورغبتها في أن تخصص قسمًا لفساتين الأطفال من الآن فصاعدًا، فلسفة رهف في الحياة تشبه كثيرًا فلسفة أمها، كلتاهما تواري الألم والجرح في غور فؤادها ولا تشكي أو تتضجر أبدًا، مهما واجهت من مشكلات، وكلتاهما تعلم كيف تداوي الأخرى من دون أن تسأل عن سبب ضيقها، دعمهم ومساندتهم بعضهما لبعض أساسه الأفعال لا الأقوال، وصلت رهف إلى المنزل لم تفتح الباب بمفتاحها، بل أخذت تطرق الباب طرقات أشبه بمن يقرع الطبول إعلانًا عن سعادتها ومزاجها الجيد حتى يهنأ قلب ليلى الذي حملته قلقًا لا طاقة لها به، ركضت ليلى نحو الباب ثم فتحته واحتضنتها وأخذتا تدوران لدقائق، مرت عدة سنوات لم تلمح

الفرحة تفيض من وجه رهف هكذا، كان هناك رابط خفي بين روحيهما؛ فحينما تتولد مشاعر ما في قلب إحداهما سريعًا ما تنتقل إلى قلب الأخرى. وكأن الله قد خلقهما جسدين ووهبهما قلبًا واحدًا. طلبت رهف من ليلى أن تختار لهما فيلمًا ليشاهدوه سويًّا، ريثما تنهي إعداد طبق مكرونة ماك آند تشيز مع سلطة اللبن مع الخيار التركي، ليست المهارة في الطهي هي ما تجعل مذاق الطعام حلوًا، إنما حبك ورغبتك في إسعاد من تحب بهذا الطعام هو الوصفة السحرية، التي تجعله يغدو أعذب ما يستساغ من طعام، كانت رائحة الجبنة التي تبقبق فوق المكرونة على الموقد شهية للغاية، تتسلل من أنفك إلى معدتك؛ فتغريها وتعدها بوجبة لذيذة، جلست رهف وليلى في حجرة المعيشة تتناولان وجبتهما وتشاهدان الفيلم الرومانسي» The longest ride.

وكلتاهما هائمتان في أحداث الفيلم، وتتمنى لو كانت إحدى بطلاته، كانت ليلى تتحسر لماذا لم يشبه «علي» ذلك العجوز الوفي، الذي ظل يحب زوجته لعشرات السنين، ثم أخذ يحكي عن عشقه لها حتى غادر الحياة، أن يوشك قطار عمرك أن يتوقف في محطته الأخيرة دون أن تجد الحب خسارة لا تضاهيها أي خسارة، أما رهف فكانت متيمة بقصة الحب المشتعلة بين الفتاة والشاب، كانت تتأمل كل تفصيلة من تفاصيلها، وتتنهد تتمنى لو تعيش مع لؤي قصة كهذه، ألم يأن الأوان لقلبها أن يدلل ويهنأ بعد؟

مازحت أمها بعد انتهاء الفيلم قائلة: فلترممي جرح هذا القلب بحب جديد، ما أكثر المعجبون الذين يتهافتون عليكِ. ردت ليلى عليها قائلة: فلتغرمي أنتِ أولاً وسأتبعك، ضحكت رهف ثم قامت من مقعدها وجلست في حجر والدتها وقالت هامسة: فلتبحثي عنه إذن، إني مغرمة، شهقت ليلى ثم قالت ماذا؟ مغرمة؟ أومأت رهف برأسها وقد كست حمرة الخجل جل وجهها، ثم انصرفت متمنية لها نومًا سعيدًا، لم تطلب ليلى منها البقاء، ولم تسأل عن أي تفاصيل، من يكون؟ كيف تعرفت عليه؟ فقد صعقت عندما سمعت كلامها؟ كانت مفاجأة شديدة لم تبق ولا تذر لها أي قدرة على مواصلة الكلام رغم علمها أنها متعلقة بشخص ما، بيد أنها ظنت أنه حب من طرف واحد وتجاوزته، لكن اعترافها بغرامها يعني أن الأمر لم يعد كذلك، ما كل هذا الخوف والغضب الذي استشرى في روحها؟ أليست كسائر النساء تتوق إلى رؤية ابنتها مغرمة، ثم عروسًا تترغد في عش السعادة والحب مع زوجها، لا، لقد قتل فيها «علي» كل شيء، حتى الأحلام، قسوته وغلظته سممت قلبها وجعلته يكفر بالحب ولا يرى الرجال سوى شياطين يدمرون من يدنو منهم، تريد أن تفرح بحب ابنتها، تريد أن ترسم ابتسامة ولو حتى رغمًا عنها وتذهب إلى غرفتها وتحتضنها مهنئة، بيد أن رغبتها وهنت أمام هواجسها ومخاوفها، فلاذت بغرفتها هاربة.

رغم صغر سنها وقلة خبرتها في الحياة، فإنها تدرك جيدًا حجم العذاب والجرح الذي غرسه «علي» في قلب أمها لسنين، ولم يضح من السهل اقتلاع جذور الألم المتشعبة فيه، لم تغضب من رد فعلها حينما باحت لها عن حبها، تحتاج وقتًا ليس بقليل لتستوعب الأمر وتجمع شتات نفسها المبعثرة، حسبها المتعة التي شعرت بها عندما أفصحت عن حبها لأول مرة، إنها اللحظة التي ولد فيها حبها وأبصرت عيناه النور بعد شهور من حبسه في شرنقة الخيال، يا ترى في أي موضوع يريد لؤي أن يتحدث معها؟ ليس هناك شيء مشترك بينهما ليتحدثا فيه، ربما يكون مهتمًا بتصميم الأزياء ويريدها أن تعلمه أو تشاركه، لو صدق توقعها ستكون هدية رائعة أمطرتها السماء بها ليتقاربا ويتلاقيا كثيرًا، ضمت وسادتها في سعادة ثم غطت في نوم عميق وكل قسمات وجهها تنيرها ابتسامة حالمة.

●●●

الفصل الخامس

أنهت ليلى أداء صلاة الفجر، ثم دلفت إلى غرفة رهف، ترى هل تنام حزينة لأن لامبالاتها سحقت فرحتها، وجدت الباب مواربًا، ولمحتها تنام وعلى وجهها ابتسامة تشقه نصفين، كانت تشبه طفلاً تداعبه الملائكة في أحلامه، ذكاؤها المتقد جعلها تتوقع رد فعل والدتها لذلك لم تحزن أو تثور، تدثرت بغرامها الوليد ونامت قريرة العين. ستغفو ليلى بجوارها حتى يطمئن قلبها بتشجيعها لها عندما تفتح عيناها في الصباح، حتى ولو لم تتمكن من قول أي شيء سيكفيها هذا ويسعدها. كم عامًا انقضى منذ انفصالها عن «علي»، لم تعد تحسب، ولكنها ما زلت تنتظر منه شيئًا، اعتذارًا بلا عودة، أن يضع سبابته على فداحة أخطائه ويعترف بها، حينها فقط سيذوب جرحها الموجع وتنقشع تلك الغمامة السوداء التي جثت على صدرها، ومن يدري، ربما توقع معاهدة صلح مع الحب من جديد.

قضى لؤي اليومين التاليين لمقابلته مع رهف في التفكير في مسألة الفرار إلى الولايات المتحدة من عدمه؛ لذا لم يحاول أن يتصل بصديقه على الفور، بل آثر أن يتريث قليلاً حتى يتسنى له التأكد من أن ما سيقدم على فعله هو أفضل الخيارات المتاحة، ثروة صديقه الكبيرة والتي تتزايد في وقت قليل تهيج شهوة المال المستوطنة

في قلبه وعقله، لكن فزعه من فكرة الهجرة والحياة في الخارج إلى الأبد يسلسله ويمنعه من تنفيذ تلك الخطوة، ماذا يفعل؟ هل يهاتف صديقه ويسأله سؤالاً غير مباشر عن أحوال شركته ونشاطها، عن استعداده لتقبل شريك من عدمه؟ لا، لو فعل ذلك لانكشفت رغبته في العمل معه، فليتصفح موقع الشركة الإلكتروني أولاً، من المؤكد أنه سيضم تفاصيل ليست بالقليلة عن مجالات الشركة ونشاطها، وليتصل به من أجل الاطمئنان على أحواله فحسب؛ هو لم يعزه في وفاة لينا ولم يشمت فيه أيضًا، ربما لم يعلم ماذا يجب أن يفعل في مثل هذا الظرف، لا يعرف، كون رقم هاتفه على شاشة جواله واتصل. ألو: تامر ازيك واحشني

تامر: لؤي ليك وحشة فعلاً، إيه أخبارك يا كابتن وأخبار فتياتك؟ إيه لسه محافظ على مستواك ولا لينا لبستك الجلابية وقعدتك في البيت بدري بدري؟ ثم ضحك ضحكة عالية.

كيف لم يعلم بانتحار لينا وهو خبر قد ذيع عربيًّا وعالميًّا، كما أن الانتحار قد وقع في الدولة التي يعيش فيها؟ ماذا سيقول له الآن، لقد علقت في مأزق يا لؤي، لن يخبره عن شيء في هذه المكالمة؛ فلابد أن يرتب كلماته مسبقًا قبل أن يطلعه على الأمر، أجاب ضاحكًا: لا مستوى مين اللي يقل، أنا في الفورما دايما، طمني عليك، الدنيا ماشية كويس معاك عندك ولا إيه؟

تامر: الدنيا أحسن من الكويس يا معلم، كمان البيزنس هنا بحر مالوش أول من آخر يا لؤي.

سمع لؤي منه أكثر مما تكلم، جعله يخرج ما في جعبته بذكاء خبيث، دون أن يلحظ شغفه بالموضوع؛ ليبدو له مجرد حديث بين أصدقاء، حفزه كلام صديقه لاتخاذ خطوات جدية في موضوع السفر، سيبدأ في إعداد كل شيء.

صراع تأجج في ذهن ليلى منذ أن علمت أن ابنتها صارت عاشقة وهي لم تتكلم عن الحب منذ زمن بعيد، وظنت أنها لن تتكلم عنه مجددًا، كيف عميت عن حقيقة أن رهفًا ستكبر وتغرق في الغرام يومًا، تأخرت هذه الخطوة قليلاً، فظنتها لن تأتي، لم تضع في حسبانها يومًا أنها آتية لا محالة، لكنها لا تعلم ماذا تفعل، كيف تزين الحب في عينيها وقد اغتال روحها وشيب شبابها، وليس بوسعها ألا تفعل، من ينصحها سواها، يا رب ألهمني الصواب فإنني ممزقة بين اختيارين أيسرها سيذبح قلبي بسكين مثلوم، وهل بقي فيه شبر سليم. هل تلجأ إلى مساعدة إبراهيم؟، بيد أن حياء رهف سيحول بينها وبينه ولن تخبره شيئًا، ماذا عن نور؟ لا، ما زلت صغيرة وليس لديها لا الخبرة ولا البصيرة لتدرك إذا كان هذا الشخص جيدًا أم لا، سيحافظ عليها أم سيمزق قلبها إربًا إربًا، وهل يوجد شخص في أي من أصقاع الأرض يستطيع أن يتنبأ كيف ستنتهي أي قصة حب، أنه غيب احتفظ الله بسره لنفسه.

مرت ثلاثة أيام منذ أن هدهد لؤي قلب رهف بزيارته، وبدد حواجز الحزن التي احتجزت روحها خلفها منذ أعوام، وبالرغم من أنه لم يأت ولم يتصل بعد، فإن الشك لم يساورها قيد أنملة أنه لم يفعل، كانت على يقين أنه سيعود مرة أخرى ولو بعد حين، ما يعكر مزاجها ويكدر صفو حياتها الآن هو ليلى، كيف تبددت قوتها إلى ضعف في لحظات، كيف انقلب الوجه الذي لم تره عابسًا يومًا إلى وجه كاسف وعينين تنضحان بالعجز والانكسار، أما زال الخذلان يعتقل قلبها بعد كل هذه السنوات؟ ثمة خطأ نرتكبه في حق أنفسنا حينما نقرر أن نهرب من المواجهة، كان ينبغي على ليلى أن تواجه «عليًا» وتخبره بكل الألم والعذاب اللذين احتلا روحها منذ زواجها به، وأنها لم تتوقع يومًا أن الله خلق شخصًا بقلب فظ وروح مختالة بغلظتها وقسوتها مثله، ليتها صرخت في وجهه بكل ما أوتيت من قوة معلنة كرهها له، وأنها ستبسط صلاتها إلى الله كل ليلة أن يختصم لها منه، لكنها استترت بضعفها وفضلت الابتعاد بإحسان رغم أن إمساكه لها لم يكن لحظة بمعروف، ليتنا ندرك أن حاجتنا للبوح بكرهنا أهم من حاجتنا للإفصاح عن الحب، اعترافنا بالكره يقتلع الجروح والخيبات من قلوبنا ويفسح المجال للحب أن ينثر بذوره في ثنايانا من جديد، كلنا نشارك في عذاب قلوبنا بدرجات متفاوتة، وجع ليلى صار ألمًا مزمنًا ليس أمامها سوى أن تتحنى أمامه وتتعايش معه.

وكعادتها دائمًا ستلوذ رهف بإبراهيم؛ فوجوده في حياتهما نعمة تشكر الله عليها كل لحظة، هو حصن تفر إليه كلتاهما كلما وهنت قواها، أو تملكتها الحيرة بشأن أمر ما، فهو يداوي تارة، ويرشد تارة، ويغرس الأمان في الروح دومًا، لكن كيف ستخبره بإعجابها بلؤي وهي لم تتحدث مع نور في الأمر مطلقًا؟ سيغضبها هذا كثيرًا ويحزن قلبها الحنون، فلتخبره أن ليلى شاردة معظم النهار، وقد فارق النوم عيونها منذ أيام، يا ترى هل يستطيع أن يفك طلاسم الصندوق الأسود لقلبها يومًا؟

كانت خطوط النهار بدأت تغزو دجى الليل ولؤي ما زال مستيقظًا، يحاول مراجعة كشف الحساب البنكي الذي أحضره اليوم، لقد صرف الكثير من الأموال هذا العام، قضى الزواج على جزء كبير من ثروته، وليته دام، كيف استجاب لكل مطالب «لينا» الجشعة، وأين هي الآن تنظر إليه من بعيد تخرج لسانها له وتقهقه من فرحتها بالفخ الذي علق فيه. هل يبيع بعضًا من الأصول التي يمتلكها؟ فالمال الوفير يسهل الغربة كثيرًا، خاصة أنه سيسافر بلا عرض عمل.

قد نبكي حزنًا، فرحًا، لكن البكاء الذي يهتك القلب حقًّا عندما نبكي حيرة عجزنا عن اتخاذ القرار، ضعف لا يضاهيه ضعف، بكاء الحيرة لا ينضب إلا لو حسمت الأمر الذي يجعل

مقلتيك تفيضان بالدمع كل ليلة، وهناك أمور قد يمر العمر دون أن تحسم، حادثت رهف إبراهيم وأخبرته عن حالة الضيق التي تملكت ليلى مؤخرا وأنها تحتاج لمساعدته، واتفقت معه أن يزورهم في البيت في المساء، أغلق إبراهيم الهاتف وانخرط في البكاء، يعلم أن حبه لليلى سيطيب جرحها الذي يأبى أن يلتئم منذ سنوات، يود أن يسقيها السعادة صباح مساء، أن يدللها دلالاً لم تذقه أي من نساء الأرض، أن يضمها حتي تمتلئ عروقها من أنهار عشقه ودلاله، ولكن كيف يفعل ذلك وهو متيقن أنها ستكون النهاية، وستكبده خسارتها، وهل قد تصيبه خسارة أبشع من أن تنقطع علاقته بها، احتمال أن تقبل وتمنحه فرصة ترميم قلبها لا يتعدى ١٪ ربما أقل من ذلك أي عاشق يغامر بين غياب حبيبته المحتم، لو اعترف بحبه، وبين بقائها كصديقة حتى ينقضي العمر، المهم ألا تغيب شمسها عن حياته أيًّا ما كان صفة البقاء، يبدو أن الأوان لم يحن بعد لعينيه أن تكف عن البكاء.

ارتدى إبراهيم قميصًا أبيض وبنطلونًا أسود، ثم وضع بعض زخات من عطر «٢١٢» على رقبته وقميصه، ودلف نحو سيارته، توجه إلى أحد محلات الشوكولاتة المتخصصة في صناعة بوكيهات من الشوكولاتة البلجيكية واختار باقة صغيرة، ليفرج بعضًا من هم معذبته، يعشق وجهها عندما تأكل الشوكولاتة كطفلة صغيرة

تهلل من جمال مذاقها وتغمض عينيها حتى تتمتع بلذتها، كم تمنى أن يعود به الزمان ليصبح صانع شوكولاتة ويهديها كل يوم قطع شوكولاتة جديدة فلا تغادر روح الطفولة محياها مطلقًا، مر على المدرسة التي تعمل فيها نور ليأخذها معه فلم يزرهم بمفرده أبدًا، ولولاها لما وقع قلبه في غرام ليلاه، حينما وصلا أمام الباب كانت رائحة كعكة الشوكولاتة التي تعدها رهف قد اخترقت الباب وعبقت المكان برائحتها الممزوجة مع التوت البري والكريز، هذه الأم الصغيرة الكبيرة التي فطرت على أن تسهر على راحة أمها وتدليلها دومًا منذ طفولتها، رهف خلقت لتؤنس وحدتها وتشبث روحها بالحياة مرة ثانية، وهي لم تقصر في مهمتها، بل فاض وزاد حبها واهتمامها حتى ملأ كل فراغها العاطفي وشمله هو وابنته أيضًا، خلقك الله يا رهف لتكوني أيقونة السعادة في حياتنا جميعًا، ولتؤثري قلب كل من يلقاك بعفويتك وحنانك، دعت رهف نورًا ليشاهدا التلفاز سويًّا وتركت ليلى مع إبراهيم تجلسان في الصالون المواجه لهم، منذ أن دخل إبراهيم البيت وحضرت ليلى لم ينقطع عن تفحصها بعينه، وقد طالت نظراته إلى وجهها، وكأنه يسأل كل قطعة فيه ما بها لم يرها في هذه الحالة من قبل، الضعف يشيع على صفحة وجهها، وعيناها مثقلتان بجبال من الهم والحيرة، حتى أضحى فتحهما أمرًا منهكًا لها، وقد رحلت مع ذهنها بعيدًا عنه، حاول أن يسألها ماذا حدث، لماذا

تبدو متبعة إلى هذا الحد، أخبرته أن هناك بعض التصاميم التي تحيرها ولا تستطيع أن تختار أفضل أنواع الأحجار أو الألماس ليكتمل التصميم بشكل جيد، ليلى التي تدرس تصاميمها في الندوات حول العالم يؤرقها تصميم تعجز عن تخيله أو تنفيذه يستحيل، تلك العينان التي لم يرهما سوى وجبال القوة والإصرار قد أرست قواعد راسخة فيهما، تنهار غارقة في دوامة من الضعف والانكسار، شخص ما اخترق المنطقة المحظورة التي تحرم ليلى على أي شخص أن يطأ بقدميه فيها، شخص ما لفظ بهذه الكلمة أمامها مجددًا أحبك، من بعيد كانت رهف ترمق إبراهيم وليلى بنظرات مستترة، تعلم أنه في بحر حبها ضائعًا وتجهل كيف عجز ذلك الحب الصادق القوي أن ينسف تلك الأسوار العالية التي تداري قلبها خلفها منذ سنين، حبه ثمرة الإحسان والرحمة، وقلبه مهد الحنان والعشق الطاهر، لكن فؤادها معتقل في سجون خوفها بأمرها، وللأسف ليس بإمكانها أن تطلق سراحه بعد، هل سيحرر حبك قلبها يومًا يا إبراهيم؟

مر شهر منذ أن التحق كل من ونور وسيف باستوديو لليوجا يطل على شاطئ الإسكندرية، نور وسيف حديثا العهد بممارستها، بينما رهف تواظب على ممارستها منذ سنتين، ورغم قلة عدد الرجال الذين يمارسون اليوجا عادة، وفي مصر خاصة، فإن

سيفًا لم يفكر في الأمر مطلقًا، يريد أن يقضي معها أطول وقت ممكن، كما أنها كانت المرة الأولى له أن يراها وهي نائمة، حينما شاهدها أول مرة وهي تسترخي خلفه اختلس النظر إلى وجهها كانت الإضاءة المنبعثة من نور الشموع التي زينت أركان الاستوديو خافتة، لكنها لم تمنع عينيه من رؤيتها، لهيب شوقه جعل من بين عينيه نورًا أبصر به كل قطعة في وجهها، كان جسدها مدثرًا بغطاء أبيض وقد نقشت عليه بعض الحروف الهندية، وحينما أمعن النظر إليها، شعر أن بياض بشرتها ازداد رونقا، وكأن الله قد خلقها من لؤلؤ عذب، قبل أن يبدآ تمارين التأمل عادة ما تخيرهم المدربة بين النوم على الظهر أو الجانب الأيمن أو الأيسر، المهم أن تكون مسترخيًا تمامًا، فاختار سيف أن ينام على جنبه الأيمن؛ حتى لا تغيب رهف عن ناظره، قلة الضوء المنبعث من الشموع المعطرة حالت بين أن تلحظ المدربة أنه لم يغلق عينيه، فهنأ بنظرات طويلة إلى محبوبته ما أشبعته قط بل زادته لوعة وعشقًا، جاء ليتأملها هي، لا ليسترخي أو يقلل توتره، وتلك هي أصدق اللحظات التي يسترخي فيها عقله القلق، ويغرد فؤاده بأعذب ألحان الحب.

ثقيلة هي تلك اللحظة على قلب رهف التي تطلب منهم المدربة الجلوس في وضع القرفصاء لتنهي التمرين، تتمنى لو بإمكانها أن

تعيش في ذلك الخيال السعيد إلى الأبد، منذ أن قابلت لؤيًا صار رفيقها في كل رحلة يقوم بها عقلها خلال تمارين التأمل، عندما تطلب منهم المدربة أن يختاروا شخصًا واحدًا يصحبهم في الرحلة التي ستقود أرواحهم إليها، تشعر بقلبها يقذف بصورته فورًا ولا يترك مجالاً للعقل أن يفكر في أحد سواه، برفقته زارت جزرًا، وسبحت في بحور، ورقصا سويًا وسط السحاب القرمزي عند الغروب، لماذا لا يمكننا أن نعيش في أحضان الخيال السعيد إلى الأبد؟

اقترح عليهم بعدما انتهوا من ممارسة اليوجا أن يتناولان الأيس كريم، فمازحته نور قائلة: وبالنسبة للكالوريز إيه؟ ابعد أفكارك الخبيثة دي عننا يا سيف، فقطاعتها رهف قائلة: «سيبها تعد الكالوريز هنا ويلا نروح أنا وأنت يا سيف، ثم أطلقت ضحكة ساخرة، هتبقي مجنونة في عد الكالوريز قريب إن شاء الله، أنا هاخد توت بري بالشوكولاتة وأنت؟ هاخد الكراميل بال.. فقاطعته نور وأنا هاخد فسدق يا سيف، فداعبتها رهف قائلة: لا ده مليان كالويرز مينفعش تيجي معنا مد شوية يا سيف، هموت وآكل أيس كريم، ثم أسرعت خطاها فركضت نور خلفها، وتعالت ضحكاتهم الطفولية، اختاروا أقرب طاولة للشاطئ، ثم تركهم سيف وذهب ليحضر الأيس كريم، وبدأت رهف تتناول ملعقة من كوبها ثم ملعقة من كوب سيف ثم ملعقة من كوب نور، فوضعت نور يدها

على كوبها وقالت بلهجة تحذير ممزوج بالمزاح: بطلي الحركة دي يا رهف هتخلصيهولي، فرفعت رهف حاجبيها نافية وقد ارتسمت على وجهها علامات الدهشة، ثم نظرت إلى الأرض في استياء وقالت: يا سيف متجبش نور الشريرة معنا تاني لو سمحت، كان سيف في الضحك غارقًا تتشاجران كطفلتين في الرابعة من عمرهن، نظرت نور نحو الشاطئ وقد غاص عقلها بين أمواجه، ماذا لو امتلك كل رجال العالم قلب سيف، وتمتعت كل نساء الكون بروح رهف، ترى كيف سيضحى شكل هذه الدنيا؟

عكر رنين هاتف رهف صفو تلك اللحظات السعيدة التي سرقوها من قسوة الحياة ومشاقها، كان لؤي هو المتصل، تنحنحت رهف ثم أجابت بصوت أنثوي خافت، كانت مقتضبة في ردودها فمازال حبها للؤي سريًّا، وهي مؤمنة بأن حبيبها هو من ينبغي أن يعلن عن حبهما أولاً، حتى لأقرب الأقربين لهما وليست هي، جثت على صدر سيف مشاعر متداخلة، استغراب، قلق، وكثير من الخوف هو لم يسمعها تتحدث بهذه الطريقة مع رجل من قبل، فباغتها سائلاً: هو مين اللي كان بيتكلم يا رهف، تلعثمت ثم أجابت: زبون يا سيف، قطب سيف حاجبيه وأردف: ومن امتى بتتكلمي مع الزباين بالطريقة دي؟ توترت رهف كثيرًا، يبدو أنها لم تنتبه لوجود سيف ونور، هكذا ينقلب حالها رأسًا على

عقب عندما تراه أو تسمع صوته، يسلب عقلها تمامًا، آثرت أن تغير الموضوع؛ فقالت: حاسة إني مرهقة شوية تسمحولي أمشي قبلكوا، فرد سيف: كلنا هنمشي كفاية أوي كده النهاردة، يكفيه أن يرى طفلته تضحى أنثى عندما تتحدث مع رجل غيره.

كانت ليلى تحتسي كوبًا من القهوة في مقهى فرنسي قريب من المنزل، تريد أن تستجمع قواها، لا بد أن تتحدث مع رهف في هذا الأمر وأن تعرف كل شيء عن هذا الشخص، طالما أن خجلها صار سدًا منيعًا بينها وبين إبراهيم، فلن يتمكن من أداء دورها هذه المرة، ستنسى «عليًا» مطلقًا، وستفترض حسن النية في حبيب ابنتها الغريب، حتى يثبت لها عكس ذلك، ومن قلبها كانت تدعو الله أن يكون أفضل مما تتمنى وألا يخيب أمل ابنتها فيه أبدًا، نتحمل جرح قلوبنا، ويتقهقر ألمنا منهزمًا أمام رغبتنا في إسعاد أبنائنا، قبولنا للأمومة عهد نأخذه على أنفسنا بأن أبناءنا صاروا أثمن أولوياتنا، أحلامنا طموحاتنا، مشاعرنا، قراراتنا كل شيء يأتي بعدهم وأي شيء مهما اشتهينا أو كرهنا لا نقترب منه أو ننفر بعيد عنه إلا لأجلهم، كفتهم هي الرابحة دومًا، وهي الفيصل في أي حيرة، هكذا غرس الله مشاعر الأمومة في قلوب النساء، ومن لا تشعر بهذا فلا ينبغي أن تتخذ هذه الخطوة أبدًا، حسمت ليلى قرارها الثقيل، يبدو أن الوقت قد حان لتتكلم في الحب من جديد.

وضعت رهف سجادة حريرية صغيرة حمراء اللون منقوشة بخيوط فضية في حديقة منزلها، ثم أطفأت المصابيح المحيطة بها وجلست عليها، وأخذت تنظر إلى السماء، كان جمال النجوم خلابًا وقد تشكلت علي هيئة قلب صغير عالق في كبد السماء، تعشق متابعة النجوم وقد تحرق ساعات طويلة فقط في تأملها، ثم زفرت بعمق عدة مرات متتالية وأمسكت بهاتفها واتصلت بلؤي، تتسارع نبضات قلبها في كل مرة تنتظر صوته ذا البحة الأخاذة والدفء الحنون، أخبرتها معلمتها عندما كانت في العاشرة من عمرها أنها غدًا ستكبر وتعشق صوت رجل من دون كل رجال الكون، وها قد صدقت نبوءتها، تنار ملامح وجهها تلقائيًّا عندما يجيب، عندما تسمع صوته ولو للحظات، اعتذرت له عن اقتضابها في حديثها معه مبررة ذلك بأنها كانت برفقة أصدقائها، ذكرها بطلبه السابق أنه يريد أن تهديه بعضًا من وقتها الثمين، مفصحًا لها بأن هناك أمرًا لم يعد يقوى على إخماد رغبته المتأججة في إخبارها عنه، رحبت رهف بطلبه وأخبرته أنها ستنتظره صباح الأحد، أغدقها بسيل من كلمات الشكر والثناء، إلا أن وقع هذه الكلمات عندما همس بها هذه المرة تختلف كليًّا عن تلك التي قالها لها في أول مرة التقيا، ثمة صدق فيها جعلها تتخذ من قلبها مستقرًا ومتاعًا لها.

عندما دخلت ليلى البيت، وجدت رهفًا تهم بطي السجادة، فأسرعت في مشيتها ونادت عليها، ثم طلبت منها أن تتركها حتى يجلسا سويًّا، فقد اشتاقت أن تمارسا بعض تمارين الاسترخاء وتستمعا للموسيقي معًا، جلست كلتاهما عليها وقد أرخت ليلى رأسها على كتف رهف، فضمتها وأخذت تطبطب عليها، فقالت لها ليلى: يا ترى بنوتي هتسمحلي إني أعرف إيه موضوع أنها بتحب ده؟ ترورقت الدموع في عيني رهف، وقد جاهدت نفسها حتى تحبسها، بيد أن عبراتها أبت وسالت على وجنتيها بغزارة، كان بكاؤها مبتسمًا وممتنًا لله الذي استجاب لدعائها وتضرعها أن يبعث في قلب أمها قوة تشد من أزره وتسمح له أن يتقبل سيرة الحب، بعد قطيعة دامت لعقود من الزمن، لشهور طوال استوطنت في عقلها فكرة أن الفرحة التي غمرتها عندما وقعت في حب لؤي لن تضاهيها أي فرحة أخرى، لكن فرحتها بطلب أمها أن تحكي لها عن حبها عادلتها، بل ربما كملتها، فالفرحة الناقصة وردة بديعة في شكلها ورائحتها ولكنها تحوي أشواكًا في باطنها، قبلت يد أمها ورأسها واحتضنتها بكل ما أوتيت من قوة وحب، وحمدت الله في سرها مئات المرات أنه تكرم وتنعم عليها بإجابة ندائها، حكت لها عن كل تفصيلة في قصة حبها معه شرحت لها كل نظرة، كل دقة قلب حملت اسمه وصورته، كل تنهيدة ودعاء وتوسل لله أن يجمعها به، عن غصة نسيانه وسعادة لقائه من

جديد، شعرت بقلبها يتراقص في صدرها ويملأ عروقها بنبضات متلاحقة، إعلانًا عن مسرته وبهجته، كم هي ممتعة تلك اللحظة التي تكشف فيها الستار عن حبك وتقصص كل شيء عنه، وكأن حبنا يرقد داخل ضلوعنا مبتئسًا منتظرًا تلك اللحظة الفاصلة التي يضحى فيها قويًّا وحقيقيًّا، فباغتتها ليلى بسؤال لم تتوقعه؛ إذ قالت ومتى أفصح لك عن حبه؟ فاحمر وجهها ثم تبددت الحماسة المتقدة من صوتها وعينيها ثم همست: لا لم يخبرني بعد، لكن إحساسًا ما يعترينى أنه قد دنا ذلك اليوم الذي سيبادلني فيه الحب، ضمتها إليها ثم وشوشتها، أبادلك الشعور نفسه يا قرة عيني، من المؤكد أنه في بحر غرامك غارق، ربما فقط ينتظر الوقت المناسب، لم تكن كلمات ليلى هذه صادرة من عقلها؛ فهي تعلم جيدًا أن الرجل لو عشق لا يصمت، وإن صمت فهو إما لا يحب، أو لم يحسم قراره بعد، وفي الحالتين لا ينبغي أن تنتظر سرابًا أو اعترافًا بحب ربما لن تسمعه مطلقًا، لكن فؤادها اختار ألا يجرحها بل ليمنحها جرعة من الأمل ولو لفترة وجيزة، فكيف له أن يسمح لعقلها أن يوأد حب ابنتها بسكين مثلومة، فليسعدها قليلاً، ثم يتنحى مفسحًا الطريق للمنطق والواقع.

أمسكت ليلى بيد رهف ودخلا سويًّا إلى بهو المنزل، فتحت ليلى حقيبة يدها السوداء الصغيرة وأخرجت منها مظروفًا ثم

طلبت من رهف أن تغمض عينها وألا تفتحها حتى تخبرها، ثم أخذت تعد تنازليًا: ١٠ ٩ ٨ ٧ حتى وصلت إلى ١ فقالت لها دلوقتي تقدري تفتحي عينك، شهقت رهف شهقة عميقة ثم بدأت تقفز من السعادة مثل الأطفال، لا يمكنها أن تصدق ما تراه، كيف استطاعت أمها أن تفعل ذلك، إنها تحمل تذكرتين لحفل مطربها المفضل كاظم الساهر، أن ترى كاظم الساهر فارس أحلامها، حبيب المراهقة، استاءت كثيرًا من انقطاعه عن إحياء حفلات في مصر مؤخرًا، حينما تسمع صوته تنعزل عن هذا الكون وتنسحب من الواقع إلى عالمه وتتنهد وتتساءل: يا ترى ما هو شكل تلك الحبيبة التي تستحق أن يتغزل فيها بكلمات حب لا تنضب؟ بكلمات تحيي أي قلب بعد موته مهما طالت فترة توقف نبضات العشق في شرايينه، كل كلمة حب قالها في أغانيه حينما كانت تسمعها في صغرها كانت تهيم متخيلة حبيبها المستقبلي الذي يهديها كل صباح باقة من ورود الياسمين تحوي بطاقة كتبت عليها بعض من كلمات تلك الأغنيات، وعندما أسرها لؤي بحبه أصبحت تتمنى أن تسمعه يغني لها كل أغانيه، لا يهمها عذوبة صوته، يكفيها صدق حبه حينما يهمس بكل كلمة من قصائده أو أغنياته. أمسكت رهف بيد أمها وبدأتا تدوران في حلقات كفراشتين صغيرتين وقد دوت ضحكاتهما في كل ركن من أركان المنزل، ركضت رهف نحو غرفتها لكي تستعد للحفل فلم يبق سوى ساعتين، ماذا ترتدي؟ تشعر

أنها عروس الليلة ولا بد أن تبدو في أوج حسنها وجاذبيتها، اختارت فستانًا بنفسجيًّا من قماش التول، وقد طبعت عليه بعض الورود الفضية، يشبه في قصته فساتين الملكات، لم يكن طويلاً يمتد إلى الأرض، بل كان يقف فوق الكعب بمسافة صغيرة، ثم نسقت معه حجابًا بنفسجيًّا فاتحًا وحذاء ذا كعب عالٍ فضي اللون لتكمل إطلالتها، ثم وضعت زخات من عطر إيلي صعب الجديد، تعشق ذلك العطر الذي اشترته مؤخرًا، ويبدو أنها ستفضله لسنوات، فلمزيج عسل الورد مع زهرة البرتقال رائحة عطرة آسرة للعقل والقلب، وقفت أمام مرآتها تضع اللمسات الأخيرة ثم التقطت صورة «سليفي» ستلتقط الكثير من الصور لتوثق ذلك اليوم الذي لم يمر بحياتها يوم أحلى منه، تمنت أن يغني لها كاظم الساهر في تلك الليلة بالتحديد أدفأ ليالي عمرها، إذ أتت بعشقها في حضرته. غادرت غرفتها متوجهة نحو الدرج من بعيد شاهدت أمها تقف عند مدخل المنزل تنتظر حضورها ومع كل درجة من درجاته كانت تتوغل في شرودها أكثر فأكثر، تخيلت ذلك اليوم الذي سيقف فيه لؤي عند أول درجات السلم ينتظر وصولها وقد اعتلت ابتسامة وضاءة على وجهه، ويحمل بين ذراعيه أجمل زهور التيوليب، سيأتي هذا اليوم لا محالة، يقين ما في قلبها يقسم لها أنها ستشهد ذلك اليوم أقرب مما تتصور، كانت ليلى تتفحص إطلالة رهف وقسمات وجهها لم ترها أجمل من ذلك اليوم،

أخذت من والدها اهتمامه المبالغ بأناقته وحرقه لساعات طوال ليتأكد أنه في أبهى صوره، كما أخذت شكل عينيه ولونها، ومشيته الواثقة، كم تمنت ألا تأخذ منه أي شيء، لا طبعًا ولا شبهًا، لكن هيهات فمهما تناست لن تغير حقيقة أنها من نطفته قد خلقت، فكيف يتسنى لها ألا ترث منه شيئًا، كان وجهها جميلاً لدرجة لا توصف، وكأن الحب قد كحل عينيها ورسم شفتيها وحمر وجنتيها، فما عادت في حاجة لوضع أي من مساحيق التجميل، وبقلبها دعت الله ألا يخيب أمل ابنتها في ذلك اللؤي الذي لا تعلم لماذا تقلق منه كثيرًا، وهي لم تقابله بعد، ولم تتحدث معه، إنها حتى لا تعرف شكله، ستطلب من رهف أن تريها صورته، من المؤكد أنها تتابعه على أحد مواقع التواصل الاجتماعي، وفور ركوبهما السيارة وقبل أن تدير رهف المحرك، قالت لها ليلى بدلال: مش هتوريني صورة لؤي يا رهف، متحمسة جدًا أني أشوفها، فأومأت رهف برأسها موافقة، كان طلبًا مخجلاً ومفرحًا في آنّ واحد، كم أرادت أن تراه بعين أمها خلال الفترة الماضية، أخرجت هاتفها من حقيبة يدها ثم بحثت عن إحدى صوره وأعطتها لأمها لكي تشاهدها، حينما وقعت عين ليلى عليه، انقباضة ما جثت على صدرها، وثقل ما خيم على فؤادها، فلم تعد قادرة على التنفس بشكل طبيعي، لم تتقبله مطلقًا صدق حدسها مع الأسف، لكنها ما زالت مصرة على رأيها، لن تتفوه بأي كلمة قد تجرحها الآن، تحاملت على

نفسها وتجاهلت تلال الخوف والقلق التي سقطت على قلبها، ثم قالت لها: شكله وسيم، ثم اختارت أن تغير الموضوع، فقالت لها: سرعي عشان منتأخرش، فردت رهف عليها: كم أتمنى لو كان لدينا طائرة خاصة، كنا سنصل إلى المسرح الروماني قبل كل الحضور، ابتسمت ليلى رغمًا عنها، وضحكة عالية طارت من قلب رهف واستمرت لدقائق، حينما وصلتا كان باب كبار الشخصيات قد فتح، فجلستا في منتصف الصف الأمامي، حيث كانت مقاعدهما مميزة تتيح لهما فرصة أن تشاهداه عن قرب وتستمتعا بهدير صوته العذب مباشرة، ثلاثون دقيقة مرت قبل أن يعتلي كاظم الساهر، المسرح حيث صعد على المسرح وبدأ يغني آخر مقطع من أغنية عيد العشاق: «العصافير ترى ثغرك في منامها وردة أو نجمة أو قرص سكر، وأنا معتقل ما بين عينيك ولا أطلب يا سيدتي أن أتحرر»، مقطعها المفضل، شعرت بروحها تتحرر من جسدها وتصعد المسرح معه، ثم همست إلى قلبها تأمره أن يشاركها الرقص، كل قطعة فيها كانت ترقص، وكم كانت مضنية تلك المحاولات التي بذلتها لتمنع جسدها أن يتمايل أمام الناس، فمع كل أغنية كانت تغيب في تلابيب عشقها أكثر.

نار مؤصدة اشتعلت في قلب سيف منذ تلك المكالمة، شك ما يجتاح عقله ويوسوس له أن لؤيًا ليس زبونًا بل حبيبًا، رهف لا

تتكلم بدلال وأنوثة مع الرجال الغرباء، نبرة صوتها دائمًا تشيع منها الجدية فلا تتيح المجال لأي رجل أن يتعدى تلك الحدود التي وضعتها لنفسها في تعاملها مع الرجال بوجه عام، خطوط شائكة تصعق بها كل من قد تسول له نفسه أنها امرأة متحررة أو صيد سهل، ماذا يفعل، لا يعلم، ثمة قرار ما لا بد أن يتخذه الآن، ركب سيارته وصار يتجول في شوارع الإسكندرية على غير هدي، وعقله قد تآمر عليه وأصابه بوابل من الأسئلة التي لا يعلم عن إجابة أي منها شيئًا، توجه نحو النادي الرياضي، ثم اعتلى جهاز المشي الكهربائي وظل يجري عليه قرابة ٦٠ دقيقة، يريد أن ينهك جسده نهائيًّا، حتى يتوقف عقله عن بث تلك التساؤلات السامة إليه ومن ثم يخلد إلى النوم مباشرة عقب عودته إلى المنزل، أصبحت نبضات قلبه سريعة للغاية مسجلة ٩٨ نبضة في الدقيقة على شاشة جهاز المشي، يا ترى ما سبب تسارعها، فزع القلب أم تعب الجسد، أوقف الجهاز وأمسك بهاتفه واتصل بنور، كان متوترًا فلم يلق عليها تحية المساء أو يسألها عن حالها، بل سألها سؤالاً واحدًا مباشرًا: مين لؤي؟ فأجابت نور عليه مكررة سؤاله نفسه، مين لؤي ده، بتتكلم عن إيه يا سيف؟ فأردف عن الرجل الذي حادثته رهف عندما كانت في صحبتنا، فقالت: مش عارفة، بس أكيد زبون، شكرها وأنهى المكالمة، حتى نور لا تعلم عنه شيئًا، لقد حسم قراره سيصارحها بحبه لها أملاً ألا يكون

قد فات الأوان. كانت نور تشاهد أحد الأفلام العربية القديمة حينما هاتفها سيف، وقد أعدت للتو كوباً من الشاي الأخضر الممزوج بالياسمين، ازدردت رشفة من الكوب ثم أمسكت بجهاز التحكم عن بعد وأغلقت التلفاز، أزعجها سؤال سيف كثيرًا، هل يعقل أن تغرم رهف دون أن تخبرها، زفرت نفسًا عميقًا وقد لهج فؤادها بالدعاء ألا يكون ذلك صحيحًا، فلو ثبت أن شك سيف في محله لن تسامحها أبدًا، نحن لا نقصص حبنا على الغرباء، لكن مع الأقربين نفرغ كل ما في جعبتنا من هيام وشغف وآهات وعذاب، لو علمت في يوم أن لرهف حبيبًا حقًا مستترًا عنها، ستعد ذلك الأمر اعترافًا ضمنيًّا منها أنها ليست سوى عابرة سبيل في حياتها، فبحضنها لاذت حينما اعترف لها مصطفى زميلها بحبه لها، ألم تشعر رهف أن حضنها سيسع حبها ويدثره بالدعاء ويحصنه من شرور الإنس والشياطين، جثت على الأرض ثم رفعت يديها نحو السماء وهمست: يا رب خيب شكوك سيف أو بث في روحي قوة وحكمة حتى أغفر لها تلك الخطيئة التي قد تكتب نهاية صداقتي معها، كيف لي أن أحيا بدونها؟ وكيف لي أن أسامحها؟ ماذا لو قطع الوصال بيننا ستفر روحي من جسدي صاعدة إلى سماواتك.

في شرفة قصره الواسعة جلس لؤي على أرجوحة خوص شارد الذهن تمامًا يفكر في لقائه المرتقب مع رهف، يتشوق إلى أن توافق على الارتباط به فتتحسن صورته أمام معارفه وأصدقائه وينسدل الستار على قصة زواجه بلينا وانتحارها إلى الأبد. لكن كيف سيقنعها بالزواج به؟ كيف سيخفي عليها سلوكه المنحرف وسمعته السيئة؟ لماذا يعصف القلق بقلبه هكذا؟ هي لن تعرف شيئًا عن ضلاله وضياعه الماضيين فلا يوجد بينهما أي معارف أو أصدقاء مشتركين. انتشت كل قطعة في جسده عندما تخيل فكرة زواجه بامرأة صالحة، سيستفيد من هذا الزواج كثيرًا في الهجرة التي يخطط لها، وستتحسن مكانته الاجتماعية أيضًا، ملأت هذه الأفكار السعيدة أوصاله بالثقة والطمأنينة أنه يسير في الاتجاه الصحيح لتحقيق مراده، هو في فوزه برهف يكون أفضل رجال الكون، أو لا يكون شيئًا على الإطلاق، بقي شيء واحد ينتظر وصوله حتى يخلد إلى النوم قرير العين مسرورًا، أمسك بهاتفه واتصل بشركة الشحن حتى يسأل عن سبب تأخير وصول طرده، فأخبروه أن المندوب في طريقه إلى بيته وسيصل عقب ٣٠ دقيقة على الأكثر. ثمة تشابه بين جميع نساء الأرض في حبهن اقتناء خواتم زواج باهظة الثمن؛ فجميعهن يرون ذلك برهانًا على صدق الحب، يا لهن من حمقاوات تلتهمن الطُّعْم الذي يلقيه الرجال بدون أدنى قدر من العناء أو المشقة، بين شباكه ستصير رهف أسيرة مثلما سبقتها أخريات.

«حبيبتي يا ألف يا حبيبتي حب لعينيكِ أنا كبيرا وسوف يبقي دائمًا كبيرًا»، بهذا المقطع أنهى كاظم الساهر آخر أغنيات الحفل الذي امتد للساعات الأولى من صباح اليوم التالي، ما زالت رهف تجلس متيقظة ومستمتعة إلى أقصى درجة، وهي التي اعتادت أن تنام مبكرًا، ثمة لحظات من شدة سعادتنا بها نتمنى أن يقف الزمن عندها وألا تنقضي أبدًا، هل يمكن أن تصادف رهف لحظات أسعد من هذه، لا تعلم كم عدد القبلات التي وضعتها على وجنة أمها وجبينها امتنانًا وشكرًا على تحقيق حلمها القديم الجديد، ثم سألتها رهف لكنك لم تخبريني يا أمي أي مقطع أعجبك اليوم من كل هذه الأغنيات، شردت ليلى للحظات مدعية أنها تبحث عن الإجابة التي كانت حاضرة في ذهنها قبل السؤال، أحبيني ولا تتساءلي كيف ولا تتلعثمي خجلاً ولا تتساقطي خوفًا، مثلما توقعت تلك هي ليلى التي لا تعلم كيف السبيل إلى الحب بعد الخذلان فيه.

تحقيق ليلى لحلم رهف منحها جرعة عواطف جياشة قوة، سعادة ورضا ودواء خفف من غصة خوفها عليها من حب قد تنفخ فيه الروح وتقبض قبل أن يعيش ولو للحظات، ودعت رهف عند باب غرفتها متمنية لها ليلة سعيدة، ثم فرت إلى حجرتها، دخلت إلى الحمام الملحق بها ثم فتحت صنبور الماء وأخذت تصب

الماء على وجها بكثرة وعشوائية، لكنها لم تكن في حاجة لغسل الوجه، بل كانت في أمس الحاجة أن يتسلل الماء إلى جنبات الروح فيقضي على الألم والقلق من جذورهما، ولكن عندما ينخر الجرح في الوجدان يبقى الألم حيًّا فينا حتى يمن القلب عليه بالشفاء، وحتى تلك اللحظة نعيش مكتوفي الأيدي تعساء ووجوهنا متنكرة بقناعات باسمة، رفعت وجهها ثم نظرت إلى انعكاس صورتها في المرآة، وقالت هو ليس كعلي، هناك رجال في هذا الكون ليسوا على شاكلته، وأخذت تعيد هذه الجملة مرارًا وتكرارًا حتى تضمن أن الفؤاد والعقل قد استوعبها جيدًا وصدقوها تمامًا، اعتادت ليلى كلما انتابها شعور بالقلق أو صار النوم عصيًّا تفتح حاسوبها المحمول وتشغل سورة البقرة بصوت القارئ «ماهر المعقيلي» ذلك الصوت الذي يسقي روحها سلامًا وسكينة، ثم همست مطمئنة نفسها سيخيب الله سوء ظني فيه.

على رائحة ورود الياسمين الذكية استيقظ سيف في صباح اليوم التالي، إذ أحضرت والدته وردة صغيرة وأخذت تداعب أنفه حتي توقظه، لقد لاحظت مزاجه السيئ، فهو لم يلفظ بكلمة واحدة معهم منذ ظهر أمس، وهي تدري أن عبق زهور الياسمين ينتشل كل الحزن من قلبه ويستبدله بابتسامة منعشة، فتح سيف عينيه وقد فغر فاهه سعادة برائحته المفضلة، يتفاءل كثيرًا بتلك

الأيام التي تكون ورود الياسمين أول شيء تقع عليه عيناه فور نهوضه من نومه، وهو لم يحتج يومًا بشارة كحاجته لها هذا الصباح، كم تمنى لو لم تكن الاستعانة بالعارفين شركًا، يتوق لنبوءة ما تطمئنه أن رهفًا ستصير رفيقة دربه إلى أن تصعد روحه إلى بارئها، يريد لقاء وحياة معها بلا فراق، لا في الدنيا ولا الآخرة، لن يسأل الله أن يهبه الحور العين في الجنة؛ فهو لم يشته امرأة سواها في الدنيا، ولن تتحرك مشاعره لغيرها، يكفي قلبه ما عاناه من مر الوحدة والوحشة طوال هذه السنين العجاف، من اليوم فصاعدًا سيتأنس في حضرة حبيبته صباح مساء، جذب هاتفه المحمول من جواره واتصل برهف ليخبرها أنه سيمر عليها في المساء، لكنها لم تجب كرر الاتصال ثانيًا فثالثًا بلا جدوى، ربما لم تفق بعد، لماذا حرمت عليه صوتها وهو معلق في حباله متعشمًا أن يثري أوصاله بجرعة من الثقة والثبات.

في طريقها إلى الأتيليه مرت رهف بأحد المقاهي الأميركية الشهيرة لتحضر كوبين من قهوة المزوجة بمسحوق الشوكولاتة البيضاء لتضيف غريبها الحبيب، وعندما وصلت أمام الأتيليه مدت عنقها لتتفحص شكلها وهندامها في مرآة السيارة، زفرت في رضا ثم غادرت متوجهة صوب الباب، قبل أن تهم بفتحه عبق عطر لؤي المكان ووصلها صوته مداعبًا: مواعيدي مظبوطة

مش كده، فعلى الفور أدارت وجهها نحوه وتلاقت عيناها معه فجاهدت خجلها وتوسلت إليه أن يمنحها ولو نظرة واحدة إلى عينيه، لم تقف على مقربة منه من قبل، ولم تشعر بذلك الأنس الذي ملأ كيانها من قبل أيضًا، حمل عنها أكواب القهوة، كانت يداه ترتعشان رعشة خفيفة من توتره؛ فتساقطت بعض القطرات على بنطاله، أخرج منديلاً من جيبه وحاول أن يجففها، ثم قال متلعثمًا: أنا آسف، هروح الكافيه أجيب اتنين تانيين بسرعة، ابتسمت ابتسامة عريضة ثم قالت على استيحاء: دلء القهوة خير، تبخرت كل الكلمات التي حفظها عن ظهر قلب ليلة أمس، وكأنه لم يمكث لساعات طويلة يحضر لتلك اللحظة، ماذا يقول، تسارعت نبضات قلبه، وبدأت قطرات العرق تغزو جبينه، لا بد أن يقول شيئًا ما ليكسر ذلك الصمت المطبق، ثم باغتها بسؤال يحتاج أن يعرف إجابته أولاً لينسف تلال القلق التي سكنت قلبه ويكمل حديثه معها بتريث وتركيز فقال: هو انتي بتهتمي تعرفي كل التفاصيل عن حياة حد قبل ما تخليه قريب ليكي ولا يهمك أكتر اللي هو بقى عليه دلوقتي؟ فأجابت: متعودتش إني أفتش في ماضي الناس أو أسأل حد عن حاجة مش عايز يتكلم عنها، حتى لو الفضول موتني بفضل إني أسكت، المهم عندي سلوكه واحترامه ليا كده كده الماضي مليان وجع لكل الناس، كلنا بنلصم فيه عشان ميتعبناش تاني ويفضل مداري، تنفس الصعداء ثم

نظر إلى عينهيا وبينه وبين نفسه قال: يا لك من طفلة بريئة على سجيتك تمامًا، سهلت المهمة علي كثيرًا وصار كل ما علي فعله الآن أن أؤثر قلبها البكر بكلمات الغزل والعشق، ثم تنحنح ليجلي صوته وقال: لما راجل بيتقدم عشان يتجوز ست غالبًا بيستعرض مميزاته وطباعه النبيلة وتاريخه المشرف، لكن أنا مش هعرف أعمل كده معاكي، أنا مقابلتكيش غير مرات قليلة ومش هخبي عليكي إنك عجبتيني من أول مرة شفتك فيها، وممنعنيش إني أحاول أكلمك أو أقابلك إني كنت مرتبط، براءتك وأخلاقك العالية هي اللي لجمتيني عرفتي تحصني نفسك كويس وتخلي كل الرجال يحترموكي ويقدروكي، معتقدش إن في راجل قدر حتى يبصلك بصة مش محترمة، تتجوزيني يا رهف وأنا أوعدك وأحلفلك إني هعمل مستقبل مشرف يخليكي تتفاخري إنك مراتي قدام أي حد تتعاملي معاه، على مقعد مقابل له كانت تجلس رهف محملقة نظرها إليه وقد سيطرت حمرة الخجل على معظم قسمات وجهها، لا تصدق ما تسمعه، كل ما طلبته من الله أن تراه مرة أخرى فإذا به يأتي بعد انقطاع دام لأشهر، ثم يفاجئها بطلب يدها للزواج، كل ما دعت وتضرعت إلى الله من أجله أن يجمعهما عمل ما أو مشروع مشترك حتى يتثنى له أن يتعرف عليها عن قرب، ربما دق قلبه بحبها يومًا، ما حدث الآن فاق كل أمانيها وأحلامها وملأ فؤادها قناعة أن زمن المعجزات لم ينته

بعد، لكن المفاجأة قد شلتها تمامًا؛ فشعرت بثقل في لسانها وقد هربت كل كلمات العالم من قاموسها، مسح لؤي بكفه على وجهه ثم أخذ نفسًا من صدره وزفره ببطء، ثم قام من مقعده وأخرج خاتم الزواج من علبته ووضعه على الطاولة المجاورة لها وهمس لقد هيأت قلبي وأعددته لتحيي فيه إلى الأبد، وظل واقفًا أمامها ينتظر كلمة ما أو سؤالاً، أي شيء، لا يمكن أن ينصرف وهي في الصمت مستوطنة هكذا، جذب صرير الباب انتباههما إليه وقد تراءت لرهف نور وهي قادمة فإذا بنور تتجمد في مكانها حينما وجدت رجلاً وخاتم زفاف موضوعًا أمام رهف، شعر لؤي بالإحراج وبعض من الارتباك ففضل أن يرحل، نظر إلى رهف ثم قال لها: سأنتظر ردك، ابتسمت رهف وأومأت برأسها موافقة، لم تقم لتودعه عند الباب؛ فقد تداخلت كل المشاعر في قلبها وشعرت أن قدميها ربما لن تسعفاها للوقوف، تريثت نور حتى غادر لؤي المكان، ثم اقتربت من رهف وقالت بصوت متهشم كالزجاج المفتت: دلوقتى بس عرفت قيمتي فى قلبك وحياتك مبروك يا رهف ثم وضعت كفها على ثغرها محاولة أن تخنق البكاء وركضت خارج الأتيليه.

●●●

الفصل السادس
أحلام بريئة

في لحظات شفيت رهف من ذلك الشلل المؤقت الذي اجتاحها؛ فغضب نور واحتمالية أن تنقطع صلتها بها خسارة لا يعوضها ربح كل كنوز الأرض وملذاتها، كالبرق أو ربما أسرع جرت رهف خلفها لتلحق بها بيد أنها كانت سريعة للغاية، فعندما خرجت من باب الأتيليه لم يكن لسيارتها أي أثر، جلست رهف أمام مقود السيارة وقادت بسرعة جنونية، لكنها لم تكن تعلم إلى أي وجهة؟ منزلها أم عملها أم إلى إبراهيم، بعد دقائق اختارت أن تلوذ بإبراهيم؛ فما حدث بينهما ليس هينًا، ولن تستطيع أن تحل هذه المعضلة من دون مساندته وحكمته، حينما وصلت عند مكتبه صعدت الدرج في عجالة فتعثرت خطواتها وسقطت منكبة على وجهها، لمحتها سكرتيرته من بعيد فهمت بمساعدتها فقد ارتطمت رأسها بالأرض تاركة بعض الكدمات على جبينها، على يدها توكأت حتى قامت واستندت على كتفها إلى أن دخلت المكتب، توجهت السكرتيرة إلى صندوق الإسعافات الأولية وأحضرت قطنًا ومطهرًا لحسن حظها أن الخدوش كانت سطحية، فبدأت تمسح الدماء المتجمدة على جبينها، ثم وضعت شريطا لاصقًا صحيًّا عليه، ثم ذهبت لتعلم إبراهيم بحضورها، خرج إبراهيم ليستقبلها في حرارة وترحاب؛ فهي ليست فقط ابنة حبيبته، بل هي الأخت

الوحيدة لابنته وأقرب صديقة لها، ولا يبالغ لو ووصفها بأمهم جميعًا.

فعندما رمق الشريط اللاصق على جبينها وخدوشًا أخرى صغيرة جرى نحوها وجلس على الأرض بالقرب منها، ثم سألها بصوت ملأه القلق والخوف: مالك يا حبيبتي في حاجة حصلت لك، نظرت إليه وقد ترقرقت الدموع في مقلتيها وبدأ صدرها يعلو ويهبط منذرًا بأنها لا تستطيع أن تتنفس جيدًا، فتجمدت عينا إبراهيم صوبها ينتظر أن تثلج صدره بتفسير ما لهذه الحالة من الانهيار التي أسرت عزيزة على الضعف والانكسار، وقلبه يتوسل إلى الله بالدعاء ألا يكون مكروه ما قد أصاب ليلاه، فهمهمت بصوت ضعيف: نور زعلانة مني جدًا، وأنا بعترف إني غلطانة، لكن والله ماكنتش أقصد؛ فضحك إبراهيم حتى بدت نواجذه وحمد الله، ليست سوى مشاجرة عادية، فقال لها: بطلي عياط يا حبيبتي واهدي كده، واحيكلي براحة يه اللي حصل وأنا هظبط كل حاجة إن شاء الله.

على مقربة من الشاطئ جلست نور متربعة فوق مقدمة سيارتها تحملق في الفراغ، وقد تآمرت ذاكرتها عليها وابتلعت كل تاريخها مع رهف، وقد بلورت فقط ذلك المشهد الأخير وأخذت تعيده عليها مرات ومرات.

حينما يطعن أقرب المقربين فؤادك الذي وثق وأحب وبكى وتألم وحلم معهم ولأجلهم تتهشم روحك كليًا، فليس هناك أقسى من قريب يعتبرك غريبًا، لماذا تخنق عيناها الدموع وتأمرها ألا تسيل فتريح لهيب القلب ووجع الخيانة؟ وكيف يضحى نسيم البحر الشافي لكل الجراح ضارًا وفتاكًا بها إلى هذا الحد؟ كيف تملأ صدرها به وهو متشبع برائحة من جعلت قلبها يعتصر وينزف ألما ظن أنه لن يذوقه يومًا، أسدلت جفونها وأخذت تتمتم سامحك الله يا رهف؟ وليوحي إلى قلبي كيف السبيل ليغفر لك، يا الله أسألك أن تسلسل شيطاني حتى لا يوسوس إلي بقطيعتها وهجرانها، خرجت من بوتقة الأفكار الحزينة التي غزت عقلها حينما شعرت باهتزاز حقيبة يدها، كان هاتفها الموضوع في حالة صامت يرن فأخرجته لتجد سيفًا هو المتصل، وضعت يدها على جبينها في إعياء ثم تنهدت، علمت جواب سؤالك يا سيف، ولكنني أبدًا لن أجرحك.

كان لؤي قد تلقى اتصالاً من تامر أخبره خلاله أنه سيزور الإسكندرية لمدة يومين ويريد أن يقابله ويتحدث معه في أمر مهم. سعد لؤي بهذه المكالمة كثيرًا، ورتب لجعلها عقب زيارته لرهف واعتبرها إشارة أن قرار الهجرة قرار صائب سيطلعه على نيته في السفر والاستقرار في الولايات المتحدة الأمريكية، وسيسأله عن إمكانية أن يصبح شريكًا له.

على طاولة تحوي أطيب صنوف الأسماك في واحد من أشهر المطاعم المطلة على شاطئ المعمورة، كان لؤي يجلس برفقة تامر يتناولان وجبة الغداء ويتحدثان حديثًا تفصيليًّا عن شركته ووضعها المالي، عن انتحار لينا وصعوبة الحياة في الإسكندرية بعد رحيلها بتلك الطريقة البشعة، وفجأة انتاب لؤيًّا شعور أن جلستهم صارت جدية لأقصى حد، وقد غابت عنها روح الود والمرح التي اعتادا أن تزين أوقاتهم سويًّا؛ فأراد لؤي أن يداعبه قليلاً فقال: انت مش معاي أن سمك الإسكندرية أحلى من سمك أمريكا بكتير، ابتسم تامر ابتسامة مجاملة صغيرة، ثم قال: كل واحد بيفضل طعام بلده ومتنساش إني دلوقتي مواطن أمريكي يا لؤي، سيبك من الهزار ده وخلينا نتكلم بجد، انت موافق توقع على العقود ولا لسه عايز وقت تفكر، فأومأ لؤي برأسه موافقًا، كان العقد مكتوبًا كتابة جيدة، لم يكن هناك أي ثغرات في بنوده، علاوة على أن نسبة الربح السنوية بدت مرتفعة ومغرية للغاية، ثمة شرط واحد في نهايته كاد يفسد كل شيء؛ إذ كتب بين قوسين على أن تبدأ الشراكة بينهما من مطلع الشهر القادم، ثبت لؤي عينيه عند هذه الجملة، ثم زوى حاجبيه في استياء، ونظر إلى تامر وقال مستفسرًا: بداية الشهر الجاي؟ فأجاب: آه أنا محتاج شريك في أسرع وقت، وإلا هشوف حد تاني، لو علي هقولك تعال معايا من دلوقتي، لكن عارف إنك لازم تظبط أمورك وحياتك

هنا الأول، زم لؤي علي شفتيه السفلي، وقد امتقع وجهه ثم قال: بس أن بفكر أتجوز وأكيد شهر مدة مش كافية خالص، قهقه تامر ثم قال: تتجوز تاني؟ إنت مجنون يابني، مالها الصحوبية إنت محسسني إنك شيخ وعايز تعف نفسك، متاخد اللي نفسك فيها من غير جواز ولا أرف، متخافش مفيش أسهل من شقط البنت الأمريكية، متخوتش دماغك وتعالى بسرعة وأنا هوريك دلع عمرك ما حلمت بيه، حاجة أخيرة عايز أقولهالك يا لؤي، لو مش هتيجي أول الشهر الجاي أنا مع الأسف مضطر أشوف حد تاني من معارفي، أمسك لؤي بالقلم ووقع على مضض، حينما لا تملك سوى خيار واحد لا تضن عقلك بالتفكير فيه، ففي كل الأحوال ستتصاع لما يمليه عليك، برغم يقينك من وأده أو تحطيمه لبعض من أحلامك، استأذن تامر منه أن ينصرف أولاً، فقد دنا موعد طائرته، عرض عليه لؤي أن يوصله إلى المطار لكنه شكره وأخبره أن السائق ينتظره في الخارج، ودعه لؤي عند باب المطعم، ثم عاد وجلس على طاولته مجددًا، وقد سلب الشرود عقله تمامًا، في الصباح كانت روحه وقلبه تتراقصان سعادة وأملاً ورضًا، والآن عاد القلق والحزن لاستيطان فؤاده، قصيرة هي المدة المتبقية على سفره، إنها بالكاد تعرفه فكيف ستقبل عرضه وتتزوج به في شهر، هل يسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ثم يعود بعد عدة أشهر ليقيما حفل الزفاف؟ ماذا يفعل؟ ثم ضرب مقدمة رأسه بكف

يده بقلة حيلة. لا بد أن يحصل على موافقتها في أيام، زوجة محجبة ومتدينة ستفيده كثيرًا في عمله، ستكون ستارًا حاجبًا لماضيه وأمانًا لمستقبله.

في مقره الصغير داخل البنك كان سيف يجلس مع أحد العملاء في محاولة لحل مشكلة في حسابه البنكي، لكن باله كان مع تلك الصديقتين اللتين تهملان اتصالاته، وهو لم يعتد منهما سوى على الاهتمام والود والتقدير، هل كان أسلوبه فظًا لهذه الدرجة عندما سأل رهف عن هوية المتصل فأحرجتها وأغضبتها طريقته في استجوابها عن أمر لا يخصه ولا يحق له أن يتحدث فيه، لو صدق حدسه وكان هذا الدافع وراء تجاهلها مكالماته، فماذا عن نور؟ هل تحدثت مع رهف أمس بشأن مكالمته لها وسؤاله عن هذا الرجل فزاد الطين بلة؛ فثارت رهف وطلبت من نور ألا تجيب على اتصالاته مجددًا، أخطأت يا سيف، كيف تسمح للغيرة أن تجعل مثل هذه الكلمات تنفلت من بين شفتيك؟ كان يجب أن تكون أكثر تريثًا وتحكمًا في انفعالاتك، هل يذهب إلى زيارتها في الأتيليه ويعتذر عما بدر منه، بيد أنه لا يستطيع أن يزورها دون أن يعلمها مسبقًا، أوصدت الحلول أبوابها في وجهه فسلم زمام الموقف للوقت، لعله يحمل تفسيرًا أو مخرجًا ما لأزمته.

أزاحت رهف الستار عن حبها المختبئ داخل قلبها منذ أشهر طوال، إذ حكت لإبراهيم كل شيء عرفته عن لؤي، وصفت له كيف أذاب حبه فؤادها، أوضحت له لماذا أخفت حبها عن نور، لأنها كانت تظن ذلك الحب حبًّا طفوليًّا من طرفها هي، يشبه تلك القصص التي تعيشها الفتيات المراهقات، والتي غالبًا ما تبدأ وتحيا وتذبل في خيالهن فقط، لم تخدعه وتبرر تصرفها هذا بأنها أرادت ألا تقلق قلب نور أو تحزنه عليها؛ لأنها في فخ حب مستحيل قد علقت وأدمى الشوق واللوعة فؤادها، هي لم تقصص حبها عليها ولا على أي شخص آخر سوى أمها؛ لأنها تريد لضعفها أن يظل مستورًا في ثناياها وألا يلحظ أي من المقربين له أثرًا في نظرة أو كلمة أو حتى صمت، ما أشبع روحها يقينًا وثقة الآن لتحكي عن حبها، هو أن الله من فوق السموات العلا قد قدر لحبها أن يحيا وقد كتب في صحيفتها قبل أن تولد بآلاف الأعوام، أن لؤيًّا سيعرض عليها الزواج، أن حبها له لن يوارى في الثرى جنينًا مجهضًا، بل سيولد ويترعرع من بذرة في قلبها وقلبه، لولا الخاتم الذي لم ينسها رغبتها الجامحة في اللحاق بنور أن تحمله معاها وأن تضعه في حقيبتها، لظنت أن كل ما حدث خيال أو أن أحلام اليقظة عادت لتراودها من جديد، عندما نحمل بين أيدينا دليلاً ملموسًا أن حبنا صار واقعًا تتحول كل لحظات الصمت التي عشناها إلى كلمات وأحاديث تتقاتل في وجداننا

باحثة عن مخرج لتصل إلى كل المحيطين بنا، بل ربما للغرباء أيضًا وحتى للأشياء كالبحر والسماء، أقسمت له أنها كانت تنوي فور مغادرتها أن تحمل نفسها وتذهب إلى نور في المدرسة وتحكي لها كل شيء، وكأنها كانت تنتظر إذنًا من حبيبها بالإعلان عن الحب، بمنتهى الإعجاب كان إبراهيم ينصت إليها بعينين باسمتين، لقد أسرته كلماتها وإخلاصها في مداواة سوء الفهم الذي نشب بينها وبين ابنته، كيف تعبرين عن ضعفك بتلك القوة والشجاعة يا ابنة الحبيبة، تراها هي من علمتك أن اعترافنا بضعفنا قوة لا تضاهيها أي قوة أخرى وسلام يغزو شرايين القلب فيهدئ الروح المشتاقة للكمال والرافضة كل محاولات العقل لإقناعها بالنقصان، كان ينصت إليها كأب يقفز فؤاده بين ضلوعه سعادة بغرام ابنته الباكور، وتلهج روحه بالدعاء أن يكون الله قد رزقها بمن يجعلها قريرة العين والبال في دنياها وآخرتها، كان غارقًا في نهر استمتاعه بسردها لتفاصيل قصة حبها حتى نسي تمامًا من أي أمر جاءت تشكو إليه.

منع سيل المكالمات الواردة من إبراهيم ورهف، نور من أن تهنأ في خلوتها ولو لسويعات قليلة، كانت تعلم أنهما معا، فاتصالاتهم متتالية بشكل يؤكد أن ثمة تناسق أو خطة ما تتم بينهما، لكنها لن تستسلم بهذه السرعة، ستغلق هاتفها وتمكث في خلوتها حتى تبرد

نار جرح رهف لها، وحينما همت بإغلاق الهاتف وجدت رسالة من سكرتيرة والدها تخبرها أن أزمة القلب التي تنقض عليه من حين إلى آخر هاجمته، ثم طلبت منها أن تأتي إلى المكتب فوراً لتصطحبه إلى المنزل، بكل قوة القلق الذي انتشر في عروقها ضربت نور مقود السيارة بكفها، أخطأت حينما توقعت أن كل هذه الاتصالات كانت من أجل خلاف بين صديقتين كلاهما كان يتصل طالبًا النجدة، كيف أوهمها شيطانها أن والدها قد يحب رهف أكثر منها، أو يفضل أي شخص في هذا الكون عنها، كيف نمنع سموم سوء الظن من مهاجمة عقولنا، وبخ الكره والقسوة في قلوبنا، قادت سيارتها بصعوبة شديدة؛ فسيول العبرات المتساقطة من عينيها كانت تحجب جل مجال رؤيتها، لا تعلم كيف وصلت إلى المكتب في هذا اليوم، لا تعلم كيف صعدت الدرج في ثوان قليلة، كانت تقفز فوق درجاته بكل ما أوتيت من قوة، حتى وصلت عند الباب، فإذا برهف تقف باكية وتحمل بين يديها لافتة صغيرة كتب عليها بالإنجليزية «كيف أداوي روحي لو جرحتها» لم تستطع نور أن تصمد أمام كلماتها وبكائها، فكل أوصالها كانت ترتعش، جرت نحوها واحتضنتها، حينما يغضبنا أحباؤنا أو يخيبوا ظننا فيهم في أمر ما، لا بد أن نلوذ بعناقهم، أن نثور ونعترض ونعلن غضبنا ونحن في حضن من نحب يعني أنهم ما زالوا حصن أماننا وأننا لا نختصمهم سوى إليهم، حاجتنا لعناق أحبائنا في أكثر

لحظات غضبنا منهم لا تقل شيئًا عن حاجتنا لعناقهم في أكثر لحظات شوقنا ولهفتنا عليهم، على كتف كل منهما سالت دموع الأخرى، وظلت رهف تعتذر حتى وضعت نور يدها على ثغرها، إشفاقًا عليها، ثم ربتت على كتفها وقالت لها إنها سامحتها وإنها لن تخسرها أبدًا مهما كبر الخلاف بينهما أو صغر، هناك دائمًا حلول لو كانت رغبتنا في الاحتفاظ بشخص ما في حياتنا صادقة ونابعة من قلب يوقن أن الخسارة محالة، وقد تودي به إن وقعت، كانت عينا ابراهيم ترقبهما من بعيد، وقد فاضت الابتسامة منهما، كان واثقا أن شجارهما لن يطول، دنا منهما ثم قال: رهف ممكن تخدي نور تبات معاكي النهاردة لأني مشغول شوية ومش عايزة أسيبها لوحدها في البيت، بصوت قد أضناه البكاء والخوف همست رهف: طيب إيه رأي حضرتك تيجي معانا ناكل جمبري وكابوريا وبعدين إحنا نروح وحضرتك ترجع تكمل شغل، شكرها إبراهيم على دعوتها ثم أردف أنا شايف إنكم محتاجين تقعدوا لوحدكم شوية، نبقى نخرج مع بعض بعدين، لم تعقب أي منهما على جوابه، فصمتهما كان موافقة ضمنية أنهما في أمس الحاجة لتفضي كل منهما إلى الأخرى بمشاعر وكلمات ستخجلان أن تبوحا بها في وجوده. مسحت رهف ما تبقى من دمع في مقلتيها، ثم نظرت في عين نور بابتسامة طفلة تتحدى صديقتها لمباراتها في أمر ما، لنرى من ستنزل الدرج أسرع، لم

تدعها نور تكمل جملتها، فقد أطلقت العنان لساقيها لتنتصر عليها، تعالت ضحكات إبراهيم حتى سمع دويها في كل أرجاء المكتب، بعد ساعات عاشها قلبه وهو يئن ويتلوى من ألم الخوف والقلق على ابنتيه، سبحان من يغير الأحوال من العسر إلي اليسر في طرفة عين.

في طريقهما إلى مطعم الأسماك حكت رهف لنور كل شيء عن لؤي كيف بدأت الحكاية بينهما وكيف انتهت، عندما علمت نور حقيقة الأمر شعرت أنها لو كانت مكانها لما اختلف تصرفها كثيرا ربما أخفت أيضًا ذلك الحب عن الجميع بما فيهم هي، لم تجمعها به علاقة عاطفية امتدت لفترة، بل كان حبًا من طرفها فقط، وهي لا تدري كيف يملك شخصًا شجاعة البوح عن غرام بلا شريك يتقاسم معه العشق، الشوق، اللهفة، وحتى الخلاف والمشكلات، لامت نور نفسها كثيرًا كيف تظلم وتسيء ظنها بها إلى هذا الحد دون أن تعطيها فرصة الدفاع عن نفسها أو تفسير الأمر، التسرع هو الوقود المحفز لمعظم خلافتنا، ماذا لو تمكنا من كبح جماحه ولو للحظات، لكفينا أنفسنا شر الكثير من المشكلات، لكنه في ثوان يهيج ويشتعل داخلنا ثم يتسرب من بين أيدينا كالزئبق فيقطع أرحامًا ويدمر بيوتًا وينهي علاقات حب وصداقات متينة استمرت لأعوام. بروحها ناجت نور الله

اللهم إني أعوذ بك من تعجل يعقبه الندم والخسارة والحسرة، ثم قبلت رهف في وجنتها اليمني قبلة طويلة ثم قالت: ألف مبروك يا حبيبتي وأخيرًا هبقى bridemaid ، ثم قرصتها في ركبتها وضحكت واستطردت يا رب مصطفى هو كمان يعملي Proposal قريب ونتجوز احنا الاتنين في نفس اليوم، بس أنا مش زيك بحب أفراح بالليل، أنا هعمل فرحي الصبح وانتي بالليل، واو يا رهو في والـ anniversary بتاعنا يكون في نفس اليوم.

أغلقت رهف عينيها للحظات؛ فقد أرادت أن تتخيل ما قالته نور للتو، بدا لها يومًا رائعًا، ثم تنهدت وقالت: ياه لو يحصل كده فعلا، دنا هطير من الفرحة، فقاطعتها نور احنا وصلنا تعالي ناكل أنا جعانة أوي وبعد كده ابقي كملي أحلامك براحتك، زفرت رهف في غضب ثم قالت: انتي ملكيش أي علاقة بالرومانسية والله لأقول لمصطفى يسيبك، اعتلت ابتسامة ماكرة وجه نور ثم قالت: من ورا قلبك الكلام ده يا رهو في ده انتي هتموتي وتشوفيني عروسة.

عندما دخلتا من الباب رصدت عينا رهف وجهًا تحفظ قسماته عن ظهر قلب منذ أول لقاء جمعهما، كان لؤي يجلس على طاولة مجاورة لباب المطعم ممسكًا بشوكة يلهو بها في طبق أرز قد وضع أمامه، اقتربت من الطاولة ثم قالت بصوت هادئ مساء الخير، فزع ما جثا على قلب لؤي عندما أدرك أنها تقف

أمامه، ولم يجد تفسيرًا لوجودها سوى أنها تتبعته بسيارتها لتعيد له خاتم الزفاف، ما فعله ضرب من ضروب الجنون ، كيف يطلب الزواج من امرأة لم يلتق بها في حياته كلها سوى مرات قليلة، أما زال الغرور والكبر مستوطنين في وجدانه، كيف توقع أن تعطيه إجابة أخرى غير الرفض وهي بالكاد تتذكر اسمه، فلم تنهمر الدموع من مقلتيها أو تصيح وترقص من شدة الفرحة حينما طلب يدها للزواج، هي ليست كفتياته اللاتي لهثن وراءه لأعوام، جاهل هو عن كيفية التعامل مع هذا النوع من النساء الذي لم يصادف مثله قط، جاء رفضها له رادعًا لغروره الذي اقنعه أن كل بنات حواء قد فشلن في إنجاب امرأة ترفض حبه، بقدمين أعيتهما المفاجأة والقلق وقف ليحييها، بثقة وثبات تطلعت رهف في عينيه وأطالت النظر فيهما؛ فقد صار مباحًا لها الآن أن تفعل ذلك علنًا وليس خلسة كما اعتادت في الأيام الخالية، ثم استطردت: إيه الصدفة الحلوة دي، أنا محتاجة مساعدتك جدًا، تكونت على وجهه علامات الدهشة والحيرة، ولكنه تشبث بما تبقى في قلبه من آثار الهدوء، ثم قال: وأنا تحت أمرك، تنحنحت رهف ثم قالت: دي نور صحبتي وهي أقرب حد ليا بعد مامتي، هي لما جت الصبح وشافت الخاتم على التربيزة افتكرت أن أنا وأنت في علاقة ما بينا من زمان وأنا مخبية عليها، فأنا عايزاك من فضلك تأكد لها إني اتفاجئت زيها بالظبط بطلبك، تنفس لؤي الصعداء عندما أنهت رهف كلماتها، ثم شرع يوضح لنور كل ما

حدث، ويؤكد أن رهفًا لم تكن على دراية بالأمر، وأنه باغتها بطلب الزواج منها، حتى إن المفاجأة قد عقدت لسانها فلم تتفوه بكلمة، توترت نور للغاية من تصرف رهف الصبياني، منذ متى وهي تستند بغريب ليحل خلافاتهما، حتى لو كان حبيبها، أومأت برأسها وصارعت غيظها لترسم ابتسامة مصطنعة على محياها، ثم رمقته بنظرة تفحصية لم يرق لها على الإطلاق، وقد شيد قلبها أسوارًا حالت بينها وبينه، هل هذا فارسك يا رهف؟ بدا متعجرفًا وثقيل الروح، هل لمثل هذا فطر قلبك عشقًا وولعًا؟ قطع لؤي سيل أفكارها حينما سأل رهفًا هو الخاتم معاكي ولا نسيتيه في الأتيليه، تلعثمت رهف وعاد الخجل ليكسو وجهها من جديد ثم قالت: معايا بس.. فأجاب لؤي عشان عايز أستلفه منك شوية صغيرين، ولو تسمحو تيجوا معايا مكان قريب من هنا، بلا تردد أجابت رهف: طبعا هنجي، زفرت نور في غضب كيف تقرر دون أن تأخذ رأيها، فقالت: أنا آسفة بس لازم أروح حالاً، وانتوا استمتعوا بوقتكم مع بعض، رمقتها رهف بنظرة استياء دون أن تلفظ بأي كلمة، فأدار لؤي وجهه صوب نور ثم قال: معتقدش فرحة رهف هتكمل من غيرك يرضيك نزعلها في يوم زي ده؟ على مضض سارت نور معهم نحو الشاطئ بيد أن لؤي طلب منهما أن تنتظراه قليلاً، ركض في اتجاه المطعم وغاب داخله لدقائق، ثم خرج يحمل صندوق خشبيًا صغيرًا.

على شاطئ البحر كان هدير الأمواج رقيقًا مرهفًا يدغدغ قلبك ويزرع السكون والراحة فيه وقد تربع القمر بدرًا في كبد السماء، وبدا أنه قد قرر أن يمد الأرض الليلة بفيض واسع من أنواره الساحرة، وكأن هناك حدثًا جليلاً على وشك الحدوث، ولا بد أن يكون حارسه وراعيه، طلب لؤي من رهف ونور أن تغمضا عيونهما لدقائق، تلقت رهف هذا الطلب بسعادة روت روحها العطشة لنفحات دلال وغزل من حبيبها، أما نور فقد استقبلته بضجر كبير وكأنه أثقل كفة عدم تقبلها له حتى فاض كيلها من عجرفته وطريقته الودودة مع امرأة غريبة عنه لم يقابلها سوى من لحظات، لكنها انصاعت رغمًا عنها لرجائه من أجل رهف، مرت الدقائق التالية ثقيلة على قلبيهما وكأن الوقت قد توقف تمامًا وأعلنت كل ساعات الكون رفضها العمل، نفذ صبر رهف من فرط شوقها للمفاجأة، إنها أول مفاجأة يعدها لها، كيف يمكن أن تحمل حياتها بين طياتها يومًا بهذا الجمال؟ أما نور فقد أصابها ألم في عينيها؛ لأنها كانت تتحامل عليهما وتغلقهما عنوة، لم يطلب منهما أن تفتحا عيونهما، بل جعل كلمات وألحان أغنية «هل تتزوجيني» «لجيسون ديرولو» هي من تفعل، فتحت رهف عينها وقد عجز عقلها عن استيعاب ما يراه فلم تستطع أن تتماسك وأخذت تقفز وتصيح من شدة سعادتها، وقد تعالى صوت ضحكاتها فوق صوت موجات البحر، فقد جمع لؤي كل الشموع الموضوعة فوق الطاولات

في المطعم وكتب بها أول حرف من اسمها باللغة الإنجليزية على رمال الشاطئ، ثم جثا على ركبتيه يطلب يدها للزواج للمرة الثانية في اليوم نفسه، لطالما حلمت رهف بذلك اليوم، ولكن يبدو أن كل شيء معه سيؤكد لها أن واقعها معه سيكون أحلى من كل الأحلام التي راودتها، فلتتوقف عن الأحلام والأماني الصغيرة فهي لا تليق بفارسها، في هذه المرة لم ترتبك ولم تحبس روحها الكلمات في أغوارها، بعفوية اقتربت منه وتناولت الخاتم وهمست وهي تطالعه بنظرة حيية: موافقة، لم يستطع لؤي أن يتمالك نفسه حينما سمع موافقتها، فإذا به يمسك بيدها ويدوران تحت ضوء القمر، أشرقت كل قسمات وجهه عندما سمع موافقتها، وانتشى غروره الذي أكد له أن طلبه مجاب لا محالة، لأول مرة منذ ميلاده يشعر بما يسمونه سعادة؛ فمشاعره في تلك اللحظة لا يمكن أن يدرجها تحت أي مسمى أو يصفها بأي كلمات، منذ ساعات قليلة كان يظن أن موافقتها صارت عصية، وأنه سيغادر مصر وحيدًا يجر وراءه سمعة محطمة، لكن جاذبيته وثراءه دائمًا ينقذانه، أغلقت رهف عينيها وأطلقت العنان لروحها لتشفى بمدد من حبه.

كانت نور ترنو إليهما بكثير من الدهشة والحيرة، هل تسرعت في الحكم عليه من محادثة قصيرة؟! هل سيخطئ

انطباعها الأول عنه، ربما يكون واحدًا من الأشخاص الذين نكتشف فيما بعد أن طبيعتهم مغايرة تمامًا للصورة التي كوناها عند أول لقاء جمعنا بهم، ما حدث الآن سيجعلها ترجح عقلها على حدسها وتفترض فيه حسنًا ولن تنتظر أن يثبت العكس، بل ستسأل الله أن يهبه أفضل خصال الرجال، كم هو غريب ذلك اليوم، وكأن كل حدث وقع فيه كان محفزًا لتلك النهاية السعيدة، كيف تخرج حلول لمشكلات مضنية من تحت أنقاض خلاف، فلولا خلاف نور ورهف لما أدركت نور مكانتها في قلب رهف، ولا حل لؤي مشكلة سفره القريب ورغبته في اصطحاب رهف زوجة له معه، ولما تحققت أمنية رهف التي يتوق قلبها ليعيشها منذ بداية معرفتها بالحب، ينبغي أن تحمد رهف الله كثيرًا على وقوع هذا الخلاف، هو شر كرهته وأحبته في آنّ واحد، ليلى كيف غابت عن كل هذه التفاصيل كيف لم تشاركها أهم لحظات في حياتها، ستبرق بسيارتها نحو المنزل، فمباركتها أساس الفرحة واليوم لن ينقضي إلا بعلمها بكل تفاصيله؛ فمن سواها يزين ذكرى هذا اليوم في وجدانها إلى الأبد، ثم تمتمت بابا ياريتك سيبتلي أي مجال إني أسامحك، مكتوب عليا أتخيل وجود أب في حياتي أحلم بفرحته بيا رغم إن بابايا عايش مش ميت، رغم كل ادعاءاتها أنها لم تفتقده يومًا، وأن أمها قد عوضت ذلك الغياب القسري، فقد كان عذاب تخليه عنها شديدًا وقاسيًا لأقصى حد، وحده من

علمها كيف يضني الحزن قلب طفلة صغيرة ويأبى أن يتحرر أو يهجره برغم كل محاولات ليلي المستميتة لإسعادها بشتى الطرق، كلتاهما كانتا في حاجة إلى روح لم يمزقها «علي» حتى تداويهما، ثمة لمحة انكسار ما قبعت في عينيها منذ تلك اللحظة ولم تتلاش أبدًا رغم تعاقب السنين، ورغم الكثير من الأوقات السعيدة التي عاشتها في كنف أمها، كم كرهت كل تدوينة أو تغريدة عن حب الأب لابنته أو تدليله لها، لم تستطع أن تمنع نفسها الضعيفة من أن تحسد صديقاتها في كل مرة تنشرن صورهن مع آبائهن على صفحاتهن في مواقع التواصل الاجتماعي، أو أن تقف بين يدي اللّٰه بفؤاد شوهته المآسي وتتساءل لماذا قدرت لي أن أحيا بلا أب يا اللّٰه، أتوسل إليك أن تلهمني إجابة ما تخمد بركان الغضب المتأجج في صدري وتخرس شياطيني التي تدفعني للنقم على قدرك، ثم ما تلبث أن تستغفر ربها، علمتها أمها أن اللّٰه لا يبتلي سوى أحبابه، وأن المسلم الحق هو من يحمد اللّٰه عند نزول البلاء ثم يصبر ويدعو اللّٰه أن يعوضه خيرًا في الدنيا والآخرة، هو ذكر وليس رجلا وكلاهما لديه القدرة على الإنجاب، ولكن ثمة فرقًا كبيرًا بينهما؛ فالذكر قد ينجب عشرات الأبناء ويرحل تنصلاً من مسئوليته كأب وراع لهم، وفي الغالب لا يعود إليهم مجددًا وكأنهم عنه غرباء، أما الرجل لو أنجب طفلاً واحدًا قد ينقضي عمره وهو ما زال يحاول ويجتهد في إسعاده وتأمين حياة كريمة له

سواء كانا يعيشان معا أم في أماكن متفرقة، الرجل الحقيقي لن يترك قلب ابنه يومًا يشتاق لحنان أو حب من أحد سواه، ولسوء حظها أن «عليًا» لم يكن رجلاً، ذكوريته هي من جعلته يلهث وراء أنوثة أمها، كان جمالها يغيره بشكل محير، فتفور بداخله رغبة لامتلاكها والتمتع بكل قطعة من جسدها. هكذا أخبرتها صديقة أمها يومًا عندما أصرت أن تعرف سبب زواج أبيها بأمها.

حتى بعد انفصالهما فشلت كل محاولاته لإيجاد مثلها أو أفضل منها، ارتباطه بها لم يكن يومًا زواجًا، ويصعب عليها كثيرًا تسمية تلك الحالة التي جمعت أمها بأبيها؛ فأي تسمية حتمًا ستحط من شأنها، كيف تمنع نفسها من الشوق لأب تتأبط ذراعه يوم زفافها وتقبل يمناه قبل أن يسلمها لزوجها، لن يراقصها، ولن تترقرق عيناه بالدموع لحظة وداعها عند باب بيتها، هي بلا أب فلتسلم بهذه الحقيقة وألا ترهق روحها بأفكار ستعكر صفو فرحة اليوم، ربما كانت ذات حظ سيئ في علاقتها مع والدها، أما حبيبها فهي موقنة بحسن طالعها معه وأنه سيضحى أعظم رجل في حياتها.

لم ينفرد إبراهيم بليلى من قبل، كثيرًا ما كانوا يخرجون للتنزه أو تناول وجبات العشاء أو مشاهدة أفلام السينما، لكن في وجود بناتهما، تحيرت ليلى عندما تلقت اتصالاً منه يطلب منها

أن يتقابلا في الحال، تجمعهما صداقة وعلاقة رصينة امتدت على مدار عشرات السنوات، حتى إنه أضحى من أقرب الناس إلى قلبها، وفي حكمته وحسن تصرفه تثق، وبنصائحه تستغيث عندما تحاصرها المشكلات، ورغم كل هذا بدا طلبه غير مستساغ بالنسبة لها، يا ترى ما هذا الأمر الذي يخشى أن يتحدث معها فيه في وجود بناتهما؟ وهل يجمعهما شيء آخر؟ هل أصابه مرض ما أو وقع في مشكلة، أيًّا كان سبب احتياجه لها ستذهب لعلها ترد له بعضًا من جميله معها ومع ابنتها.

في مقهى يوناني صغير كان إبراهيم يجلس في انتظار وصولها، وقد أمسك بهاتفه يتصفح بعض المواقع الإلكترونية؛ إذ وصل قبل الموعد بثلاثين دقيقة، كان في أمس الحاجة ليحضر نفسه للحديث في ذلك الأمر الشائك، جاءت ليلى في موعدها وألقت عليه التحية، ولكن وجهها كان شاحبًا وقد تكون مزيج من علامات الدهشة والحيرة والقلق على صفحته، بالكاد سيطرت على هذه المشاعر ودفنتها داخلها، وبدأت تستحضر لطفها وهدوءها المعتادين، بعناية شديدة اختار إبراهيم كلماته ثم قال: تعرفي طول عمري بحلم باليوم اللي أكون فيه بابا العروس وشكل أمنيتي هتحقق قريب.

شهقت ليلى من سعادتها ثم سألت: هي نور هتتجوز قريب؟ فأجاب إبراهيم: هو أنا مش عندي بنت تانية ولا إيه، غرقت

ليلى في صمت مطبق؛ فهي لم تدرك ماذا يعني، بعينيها سألته أن يتكلم بوضوح أكثر وليس بإشارات مبهمة، في رأس إبراهيم كانت تختلط مائة فكرة وفكرة هل ما سيقدم عليه خطوة صحيحة، هل سيكون حديثه في هذا الأمر الشخصي متقبلاً من قبل ليلى، لماذا يريد أن يمد لها يد العون دون أن تطلبها؛ لأنه موقن أنها رغم شدة احتياجها لمساندته هذه المرة لن تسع إليها، بل ستغض طرفها عن وجوده ودعمه المستمر لها، شائك هو هذا الشأن لدرجة ستمنعها من أن تفعل، وهو لا يملك أن يتركها بين أنياب الحيرة والخوف تنهش قلبها وروحها، رمقها بعينيه الخبيرتين فتوسلت إليه عيناها أن يفصح عن الأمر؛ فهي لم تعد تقوى على سكوته ولو للحظة إضافية، قطع حبال قلقها وقال في ثبات: انتي عارفة إن النهاردة هيكون يوم مميز في حياتنا كلنا، بدت كل علامات التوتر ونفاذ الصبر على قسمات وجهها، ثم بدأت تهز قدمها اليمنى حتى اهتزت على إثرها الطاولة، بيد أنها ستتركه يسترسل في الحديث، يبدو أن هناك أمورًا عدة مستترة عنها، استطرد إبراهيم النهاردة أسعد يوم في حياة رهف، أنا أول مرة أشوف السعادة منورة عيون حد للدرجة دي، مش بس عيونها كمان صوتها كان شبه لحن جميل أوى مليان رقة وبهجة، الشاب اللي رهف كانت معجبة بيه اتقدملها النهارده الصبح، وهو دلوقتي مستني ردها، بلغ الغضب من ليلى مبلغه ولم تستطع أن تخمد

ألسنة نيران العصبية التي اندلعت في صدرها، ثم قالت بأسلوب فظ لم يعهده منها قط: ايه الجنان اللي انت بتقوله ده؟ هو أنت بتحاول تقولي إن في حد عرض الجواز على بنتي وجريت عليك تحكيلك وتحتفل معاك وشافت إني مليش مكان في الحدث السعيد فقررت تموتني بالحياة، أكيد خافت تتكلم مع واحدة خذلها الحب ودمر شبابها وحياتها، ثم وضعت كفيها على وجهها ودخلت في نوبة بكاء عنيف، حتى صارت كل عيون الموجودين في المقهى تتوجه صوبها في إشفاق، اقترب إبراهيم منها قليلاً ثم قال بصوت خفيض: اهدي يا ليلى في سوء تفاهم وتعالي نكمل كلامنا في العربية، ساعدها إبراهيم لتنهض ثم توجها في اتجاه السيارة، منحها كوبًا من الماء ثم سألها أن تتوقف عن البكاء حتى يتمكن من إيضاح الأمر لها بصورة صحيحة، خلال السنوات الطوال التي جمعته بها تبادلا أطراف الحديث في كل المواضيع سياسة، دين، فن، فلسفة، إلخ، إلا ذلك التابو، لم تتحدث معه يومًا عن «علي» ولا عن أي شيء قد يلامس جرحها الغائر الذي ما زال يباغتها بنزيف مؤلم من حين لآخر ليذكرها أنه لم يلتئم بعد، هو أيضًا لم يتحدث عن كاميليا، لم تأت سيرتها يومًا في أحاديثهما، ربما لأنها ماتت، ونحن لا نذكر عن موتانا سوى محاسنهم، ماذا لو لم يكن لهم محاسن، حينها يفرض علينا حسن تأدبنا ألا نخوض في سيرتهم مطلقًا، شرح لها كل ما حدث بين رهف ونور وأكد لها

أن رهفًا لم تسأله مطلقا أن يتحدث معها في الأمر، إنها مبادرة منه صور له عقله أنها قد تحمل خيرًا لرهف، ثم آثَر أن يغير دفة الحوار، إذ أخبرها أنه انتابه بعض الهواجس أن قلقها من فراق رهف لها وانفصالهما بعد كل هذه السنوات قد يؤثر سلبًا على فرحتها حينما تأتي رهف لتخبرها بأمر الخطبة، وبالتالي قد يحزن قلب رهف وترحل عنه تلك الفرحة العارمة التي أقسم لها إنه مستعد أن يضحي بكل غال ونفيس لتبقى هذه الفرحة حية في روحها إلى الأبد، كل ما هنالك أنه أراد أن يمهد الأمر، تهللت أسارير ليلى عندما أنهى إبراهيم حديثه، وتبخرت كل آثَار العبرات العالقة على وجنتيها، إنها ما زالت الأقرب لقلب ابنتها ومازال ثوب القوة التي ترتديه أمامها يستر ضعفها عن ناظرها، تصرف إبراهيم بحكمة ورزانة فجرحها لن يحتمل أي يد تمتد بقربه حتى لو كانت تحمل دواء وشفاء.

عكف لؤي أمام حاسوبه منذ عودته إلى المنزل ينتظر مكالمة فيديو من سكرتيرة تامر؛ فلقد تلقى اتصالاً هاتفيًّا منه أخبره خلاله أنه لو وافق على الشراكة بينهما فلا بد أن يحول مبلغ ٥٠ ألف دولار إلى حسابه خلال أسبوع، حتى يتسنى له عمل الترتيبات اللازمة لعملهم سويًّا، وأنه أعطى عنوان حسابه الشخصي على تطبيق سكيب للسكرتيرة لترتب معه هذا الأمر.

كان لـؤي سـعيدًا بـكل مـا آلـت إليـه الأمـور مؤخـرًا، وتمنـى لـو بإمكانـه أن يرسـل مبلغًـا أكبـر إلـى تامـر، لكـن هنـاك مصاريـف زفافـه وبعـض الأمـوال التـي يحتاجهـا لتعينـه علـى تأسـيس حيـاة جديـدة في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، كان الهـدف مـن مكالمـة السـكرتيرة معـه أن تشـرح لـه كيفيـة تحويـل هـذا المبلـغ إلـى حسـاب الشـركة، إلا أن المحادثـة بينهمـا قـد سـلكت طريقًـا آخـر بعيـدًا كل البعـد عـن العمـل؛ فـإذا بهـا تبـدي إعجابهـا بشـكله وجسـده ذي العضـلات المفتولـة، قالـت لـه إنـه يبـدو جذابًـا للغايـة، ومـن المؤكـد أن لديـه حزمـة مـن الحبيبـات، ثـم أخبرتـه أنـه سـيكون مناسـبًا جـدًّا للعمـل معهـم. روى إعجابهـا بـه شـجر الغـرور المسـتوطن في ثاياه، ولكنـه لـم يسـتوعب كيـف اسـتطاعت أن تحـدد إذا كان مناسـبًا للعمـل معهـم أم لا وهمـا لـم يتحدثـا عـن العمـل إلا قليـلاً، ربمـا هـي مجـرد جملـة تشـجيعية لحثـه علـى اتخـاذ قـرار شـراكته مـع تامـر والإسـراع في إرسـال النقـود. قطعـت السـكرتيرة سـيل الأفـكار المتدفقـة في ذهنـه عندمـا قالـت بنبـرة صـوت خفيـض يدعـي الحيـاء إن هنـاك أمـرًا مهمًـا عليـه أن يقـوم بـه قبـل أن ترسـل لـه أوراق الدعـوة لزيـارة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فعندمـا سـألها: إيـه هـو؟ فأجابـت بعدمـا خفضـت نظرهـا: تحليـل السـائل المنـوي عشـان السـلطات الأمريكيـة بقـت لازم تتأكـد أن النـاس اللـي جايـين مـن أي دولـة مـن دول العالـم التالـت مـش مصابـين بالإيـدز؛ لأنهـم مرعوبـين لينتشـر في أمريـكا. أطلـق لـؤى ضحكـة عاليـة

قبل أن يرد عليها قائلاً: إنت أكيد مجنونة، أنا برده حسيت إنك مش مظبوطة من أول ما تكلمت معاكي، تحليل سائل منوى إيه اللي أعمله، انتي مفكرة إني أول مرة آجي أمريكا وهتضحكي عليا، تامر مقلكيش إني طيار ولا إيه؟ أنا هكلم تامر أقوله على الكلام الفارغ اللي بتقوليه عليه ده، ده أنا هخرب بيتك.

حينما عادت ليلى إلى المنزل وجدت جميع الأنوار مغلقة، هل خلدت رهف للنوم باكرًا؟ لم تتجاوز الساعة العاشرة بعد، دلفت إلى غرفتها لتطمئن عليها، فوجدت الباب مفتوحًا لكنها لم تكن بالداخل، وقد اختفت شموعها القرمزية من مكانها أيضًا، من المؤكد أنها تأخذ حمامًا ساخنًا على ضوء الشموع، وهذا مؤشر على أن معنوياتها تتراقص ابتهاجا وسعادة، جلست ليلى في غرفتها تنتظر خروجها، بقلب مترقب ومتحير، كيف سيكون رد فعله، بيد أن إبراهيم هيأهه لهذه اللحظة كثيرًا وكأنه قد قدر له أن يبقى مدينًا له إلى الأبد، دينًا يجهل كيفية سداده، كيف نسدد حبًا لا ينضب، واهتمامًا لا ينقطع، وسندًا لا يكل، ما أوقعك الله في كرب يا إبراهيم، خرجت رهف ترتدي فستانًا أحمر قطنيًّا قصيرًا بلا أكمام، وجسدها تفوح منه رائحة خشب الصندل والعنبر، وقد أسدلت خصلات شعرها البني الموج على كتفها، بعفوية جلست في حجر أمها وأمطرت وجنتيها بقبلاتها القصيرة، ثمة

اختلاف يتجلى في عينيها، لقد تلاشت تمامًا لمحة الحزن التي احتلتهما منذ انفصالها عن «على»، رغم كل محاولاتها لإسعادها والتفاني في حبها ورعايتها لم تستطع أن تقهر هذه اللمحة التي تضني روحها دائمًا، أيًّا ما كانت عيوبك يا ذاك اللؤي سأغض طرفي عنها، يكفيني أنك حررت عينيها من استبداد الحزن بهما لسنوات، بصوت أقرب للهمس قصت رهف علي مسامع ليلي تفاصيل أحداث اليوم بذاكرة متيقظة، وقد عزمت النية على ألا تخفي أي تفصيلة ولو صغيرة عنها، كانت ليلى في انتظار معجزة ما تجعلها تستمتع بأحاديث الغرام دون أن يسمم جرح «علي» لها صفو هذه اللحظات، وهي الآن تتنعم في حضرة هذه المعجزة بسعادة كاملة وببهجة أحيت القلب والروح بعد موتهما، ثم ضمتها إلى صدرها وأخذت تتمتم بمزيج من كلمات المباركة والدعاء، ثم باغتتها وقالت: بقلنا كتير أوي مرقصناش مع بعض إيه رأيك نستعيد نشاطنا شوية، ثم غمزت لها وأردفت إوعي تخلي الكام شعراية البيضة دول يخدعوك أنا لسه محافظة على مستواي في الرقص، على أنغام أغنية «وبيوم عرسك لماجدة الرومي» علمت ليلى رهفًا كيف ترقص الدبكة، فتلعثمت خطاها قليلاً، ثم ما لبثت أن أتقنتها، لأول مرة تنجح ليلى في أن تعيش اللحظة فقط دون أن تحمل بين ضلوعها أيًّا من جراح الماضي أو قلق المستقبل، اشتاقت لقلب تزينه البهجة الخالصة دون أي منغصات، ثم توالت

الأغنيات التي رقصتا على ألحانها، لا تدري كم انقضى من الوقت وهما على هذه الشاكلة، تهللان وتحتفلان إلى أن غلبهما النعاس، لتستيقظ ليلى على صوت أذان ظهر اليوم التالي وقد ضمتها رهف لحضنها وكأنها هي الأم، حينما نعجز عن إيصال مشاعرنا بكلمات علينا أن نعطي الدفة لأفعالنا لتقود الموقف، فالله لم يهبنا المشاعر لتبقى مدفونة في أغوارنا، بل لُنسعد بها ونسعد، استيقظت ليلى في مزاج جيد ذلك اليوم؛ فقررت أن تعد بعضًا من فطائر النقانق بالجبن، وقد قطعت العجين على شكل قلوب صغيرة، ثم أعددت كوبين من القهوة الفرنسية، ثم صعدت إلى غرفة رهف لتوقظها، بيد أن رائحة فطائرها الشهية قد سبقتها وفعلت، كانت رهف ممتنة لله كثيرًا كيف مرت هذه الليلة بهذا الجمال، ما كل هذا الأنس والبهجة والدفء، لم يكن لقلقها أي داع على الإطلاق، وكيف تخيلت ولو للحظة أن رد فعل أمها قد يكون مختلفًا عن ذلك، كان خوفها قلقًا على مشاعر أمها وليس شكًّا في حبها وحنانها، لقد نست أن تخبرها أهم تفصيلة، فلتحمل الخاتم وتذهب لتريها أن لؤيًّا أحبها قبل أن يقابلها، وقفت رهف أمام أمها وهي تضع لمساتها الأخيرة على طاولة الإفطار ثم قالت مفاجأتى لسه مخلصتش مش عايزة تشوفى خاتم الخطوبة بتاعي ، حينما فتحت رهف الصندوق الخشبي الصغير للخاتم شهقت ليلى ثم حدقت نظرها إليه، لقد اختار خاتمًا من آخر تصاميمها، ليس

فقط آخرها ولكن أقربها إلى قلبها، ثم أشرقت ابتسامة رضا على وجه ليلى وقالت مداعبة رهف، شكلي هأوافق قبل ما أقابله لو هو بالذوق الحلو ده، فأجابت رهف بدلال طفولي: بالنسبة ليا كفاية أوي إنك توافقي بعد ما تقابليه، أنا مش طماعة كده، ثم أطلقت كلتاهما ضحكات أنعشت وجدانهما.

وصل لؤي قبل موعده مع ليلى بـ١٠ دقائق، بيد أنه فضل أن ينتظر في السيارة حتى يمروا رغم معاناته لتهدئة لوعة فؤاده المتشوق لمعرفة كيف ستكون نتيجة هذا اللقاء؟ هل حقًا ستقبل به خطيبًا لابنتها؟ رن لؤي جرس الباب ليجد رجلاً في بداية عقده الخامس يرتدي بذلة زرقاء داكنة وقميصًا أبيض ولا يضع رابطة عنق، يفتح له الباب ويرحب به، لقد أخبرته رهف عن انفصال والديها، لكنها لم تعلمه بقدومه اليوم، كان ينبغي أن تخبره بمجيئه مسبقًا حتى يحادثه ويحدد موعدًا معه تمامًا مثلما فعل مع أمها، شعر بخجل شديد يدب في أوصاله، حتى إن إبراهيم لمس آثاره فكان كف يده متعرقًا أثناء سلامه عليه، علاوة على أن عينيهما لم تلتق قط، لكن كلمة بابا التي خرجت من ثغر نور وهي تنادي عليه أعفته من هذا الحرج؛ فبدت علامات الارتياح بازخة على ملامحه، لم يختلف انطباع ليلى كثيرًا عن ذلك الشعور الذي انتابها عندما رأت صورته على هاتف ابنتها،

لكنها لم تسمح لقلبها أن يكون له أي كلمة عليها اليوم، بل للعقل والمنطق فحسب ووفقًا لهما كان لؤي شخصًا جيدًا ويسهل على من يتعرف عليه أن يتوسم فيه صفات قد تجعل منه زوجًا مناسبًا لابنته، كانت جلسة تعارفهم تمر بسلالة وقد بدا أنهم لن يختلفوا على أي شيء، حتى أخبرها لؤي بأنه سيأخذ رهفًا ويعيشان في الولايات المتحدة الأمريكية لبضع سنوات، كان وقع هذه الكلمات على قلبها كمن أصابه طامة كبرى، وفجأة اسودت الدنيا أمام ناظريها ولم تعد تراهم سوى ظلال مشوشة، ولم تعد تسمع ماذا يقولون، وبدأ العرق يغزو كل قطعة من جسدها، ثم سقطت مغشيًّا عليها، تتحمل أي مرض، ابتلاء، مصاب، طالما أنه لم يصب رهف، فدعاؤها لله كان محددًا منذ ميلادها، يا رب ابتليني أنا كيفما تشاء، ولكنني أتوسل إليك ألا ترينى مكروهًا في ابنتي، كيف ستحيا من دونها، ولكن لو كانت ستسكن بجوارها لهان أمر فراقها، ستمر عليها كل يوم وتطمئن عليها، لكن أن تفصل بينهما بلاد، هذا هو المستحيل بعينه، ولمن سواها تعيش؟ لو سأل رهف أن تذهب معه إلى أقصى بقاع العالم، ستوافق فغرامه أضحى مبتدى حياتها ومحورها ونهايتها، لا ترحلي يا رهف وإلا فليقبض الله روحي قبل هذا اليوم، جرت رهف نحو غرفتها لتحضر عطرًا ودبوسًا لتحاول أن تسعف والدتها كي تستعيد وعيها، تدخل في إغماءة كل مرة تتعرض فيها لضغط عصبي شديد، هو عرض

نفسي أصابها منذ أيام زواجها الأولى مع «علي» ولم تتمكن من مداواته بعد، ربما تقلصت عدد المرات التي صارت تزورها فيها هذه الأزمة، بيد أن هذه المرة هي الأعنف والأقسى؛ فقد استمرت في هذه الحالة لمدة ثمانية دقائق، وحينما تمكن إبراهيم من إسعافها واستعادت وعيها لم تلبث أن تفقده مجددًا، أصبح الجو مشحونًا بموجات من القلق والبكاء والتوتر، ولم يعد لؤي يدري هل ينبغي أن ينصرف أم يبقى، فرهف تبكي وتملأ كفيها بالعطر ثم تضعهما عند أنفها لعلها تستنشقه فتفيق، وإبراهيم أصابعه ترتعش وهو يضغط على المنطقة المجاورة لعينيها يمينًا ويسارًا ثم مقدمة رأسها في محاولة لإسعافها، أما نور فكان العرق يتصبب من جبينها وشفتاها لا تفتران عن سؤالهما ماذا أفعل؟ كيف أساعدكما، جميعهم سيفسرون زيارته هذه نذير شؤم، ولن يفكروا في أمر الخطبة مطلقًا، حتى رهف ستتراجع عن موافقتها السابقة، برغم كل الأفكار السوداوية التي سيطرت على عقله، فإنها لم تسنه عن القيام بالواجب، سينتظر حتى يطمئن عليها ثم ينصرف، لقد حضر دورة في الإسعافات الأولية أثناء دراسته الجامعية، سأل رهف عن أقرب صيدلية وجرى نحوها طلب منهم بخاخة من الكحول الأبيض، ثم عاد إليهم ونظر إلى رهف وقال: سامحيني هو اللي هعمله ده ممكن يوجعها شوية بس مفيش حل تاني حتى لو خدناها وروحنا الطوارئ في أي مستشفى برده

هيعملوا كده لأنها بقالها كتير مغمي عليها، ثم بخ ثلاثة مرات متتالية في أنفها، أطلقت ليلى صرخة شديدة من شدة الألم التي شعرت به، حتى إنها كادت أن تضربه على وجهه، ابتعد لؤي عنها وبقي يرمقها لعدة دقائق حتى يطمئن أنها استعادت كامل وعيها، ثم استأذن منهم وانصرف يجر وراءه أذيال الخيبة وضياع حلمه الوردي بارتباطه برهف.

كانت الشمس قد بدأت في الشروق ولكن ظلمة الليل لم تكن قد تبددت كليًا بعد، فاختلط نورها الباكور مع بقايا خطوط الظلام، فظهرت السماء في صورة بهية وبدا الجو محفزًا لسيف حتى يتخلص من سلاسل القلق والضيق التي التفت حول روحه وخنقت وجدانه، لكن همومه وآلامه كانت أثقل من كل محاولات إغراء الطبيعة الساحرة له، ربما سرقته منها لدقائق، ولكن ليس لأكثر من ذلك، خلع حذاءه الرياضي وأطلق العنان لقدميه وبدأ يركض على رمال الشاطئ الدافئة، كان الشاطئ خاليًا سوى من بعض الصيادين الذين بدأوا يجهزون شباكهم وقواربهم الصغيرة استعدادًا لبدء رحلتهم اليومية في السعي على أرزاقهم، لا يستطع أن ينكر أن وجوههم الباسمة رغم كثرة التجاعيد التي شقت طرقًا فيها هدهدت قلبه وخففت بعضًا من ذلك القلق الموجع الذي سيطر على كيانه، غضبه من رهف ونور قد بلغ مبلغه، إنها أول

مـرة تتجاهلانـه فيهـا، ثمـة سـر مـا تريـدان أن تخفيـاه عنـه، بيـد أنـه لـم يكـن يومًـا فضوليًـا في علاقتـه بهمـا، كان مـن الممكـن أن يعتـذرا منـه وأن يخبـراه أنـه أمـر شـخصي ، لكننـا جميعًـا نلجـأ إلـى الهـروب حينمـا تلقينـا الظـروف في وجـه مواجهـة مـا رغمًـا عنـا، حينهـا تضحـى وحشًـا كاسـرًا تعجـز نفوسـنا الهشـة علـى الوقـوف أمامهـا؛ فنلـوذ بأحضـان الهـروب مستسـلمين فحسـب، سـيذهب وينتظـر نـور عنـد بـاب المدرسـة التـي تعمـل بهـا، يحتـاج أن يعـرف تفسـيرًا مـا لذلـك التغييـر المفاجـئ الـذي طـرأ علـى صداقتهـم، وهـو يفضـل المواجهـة مهمـا بـدت نتائجهـا مخيبـة للآمـال، ومهمـا كـره ذلـك الضعـف الـذي قـد يكسـو ملامحـه لـو أسـفرت عمـا لا يحمـد عقبـاه، لـن يعلـق في فـخ الحيـرة والانتظـار أكثـر مـن ذلـك، تفحـص سـاعة يـده فوجـد عقاربهـا تشـير إلـى السـابعة والربـع، لـن يتمكـن مـن الرجـوع إلـى المنـزل ليغيـر ملابسـه، سـيذهب إليهـا بزيـه الرياضـي؛ فـلا بـد أن يصـل هنـاك قبـل الثامنـة، وإلا لاضطـر إلـى أن ينتظـر حتـى السـاعة الثالثـة عصـرًا، وهـو لـن يتحمـل أن ينتظـر وقتًـا إضافيًـا، يحتـاج ردًّا شـافيًا وحاسـمًا حتـى يعـود إلـى بيتـه وينـال قسـطًا مـن الراحـة؛ فالنـوم يجـافي جفونـه منـذ ذلـك اليـوم، وقـد سـئم شـرب المزيـد مـن أكـواب القهـوة لاسـتحضار نشـاط مصطنـع، حتـى عينيـه لـم يعـد لـه سـلطان عليهـا فصـارت تخونـه وتتعـس خلسـة رغمًـا عنـه، بجـوار بـاب المدرسـة وقـف سـيف يرتـدي قميصًـا رياضيًـا أزرق وبنطلونًـا

قطنيًا أسود، وقد بزغت علامات الإرهاق والشحوب على وجهه وغزلت الهالات السوداء دوائرها القبيحة حول عينيه، وقد بدا أنه لم يضع مشطًا في شعره منذ عدة أيام، وصلت نور متأخرة ١٥ دقيقة عن موعدها فغادرت سيارتها وهي تهرول حتى إنها مرت بجواره دون أن تلحظ وجوده، لكن صوته وهو ينادي عليها أوقفها فعادت أدراجها نحوه، توقعت أن تتلقى اتصالات إضافية منه حتى إنها تعجبت من انقطاع اتصاله منذ يوم خلافها مع رهف، لكن أن يصل به الأمر إلى أن يأتي إلى مكان عملها يعني أن قلقه وغضبه قد وصلا إلى الهاوية، وماذا عن تلك الهيئة الرثة التي يبدو عليها، بعينيها الخبيرتين بأحواله رصدت أنه في أسوأها في اقتضاب وصوت متهدج سألها: هو انتوا ليه مش بتردوا على مكالماتي؟ هو أنا أزعجتكم للدرجة دي؟ لم تستطع نور أن ترفع عينها في عينه، لا بد أن تعثر على كلمات مقنعة؛ فهي ما زالت عند رأيها لن تجرحه أبدًا، كما أنها لم تعد تعلم كيف ستؤول الأمور في خطبة رهف بلؤي، تغير ذلك الحسم الذي بدت عليه الأمور في البداية، أخيرًا عثرت علي الرد المناسب أخذت نفسًا عميقًا من صدرها وحبسته لثوان قبل أن تزفره ببطء، أنا ورهف متخانقين من اليوم ده، ومردتش عليك لأن فكرت أنها بتوسطك عشان تصالحنا، وهي المرة دي زعلتني جدًا ومش هسامحها أبدًا، تنفس سيف الصعداء وتهللت أساريره بعد أيام

من عبوس الوجه وحيرة الفؤاد، ثم ابتسم ابتسامة ودودة وأردف: وعشان كده برده رهف مردتش عليا، أكيد فكرت نفس تفكيرك العظيم ده، وتموتوني من القلق عادي، والله ما شفت حد مخه أصغر منكم، ربنا يهديكم ويصبرني، ودعها واعتذر عن تأخيرها على أداء عملها ثم انطلق بسيارته سريعًا؛ إذ كان في حاجة ماسة لجرعة نوم طويلة، فقد وهنت كل قواه.

كان لؤي يغط في النوم عندما أيقظه رنين هاتفه الجوال، منذ استقالته عن العمل وأصبح يومه خاليًا سوى من أنشطة قليلة فصار يستيقظ متأخرًا، أمسك بالهاتف ليجيب فوجد المتصل رقمًا مجهولاً، وحينما هم بالرد جاءه صوت أنثوي يجهل هوية صاحبته التي تبدو في أواخر عقدها الرابع، لكن كلماتها خرجت لتحل ذلك اللغز، كانت ليلى هي المتصلة، تطلب منه أن يزورهم في المساء لو كان لديه متسع من الوقت، رحب بطلبها ترحيبًا شديدًا، وشكرها على هذه المبادرة التي حررته من ورطة كبرى، فقد ظن أن الطريق إلى ارتباطه برهف صار مؤصدًا، لم تفكر ليلى في أمر قط مثلما فكرت في سفر رهف مع لؤي حال زواجهما حتى إن قلبها وروحها قد أضناهما التفكير وسهاد الليالي المتتابعة والكوابيس المرعبة التي تهاجمها كل ليلة، في كل الأحوال ستجبر رهفًا على الفراق، لكن من ستفارق؟ أضحى السؤال الأهم، ففي

فراقها للؤي، جرح وألم شديدان، وصدمة لقلب ما لبث أن يتحسس خطواته الأولى في رحلة الحب، وعقدة قد تسكن ذكراها في مخيلتها إلى الأبد، وتحول دون ارتباطها بشخص آخر، فقد شغفها حبًا وشوقًا ولوعة، وبغيابه عنها لن يصبح لها في الحب نصيب، وهل ستخيب أمل ابنتها في الحب مثلما خاب أملها وسبى حلمها فيه من قبل، وكيف تسلط الحزن على قلب ابنتها برفضها زواجها منه، وفي فراقها لها، غربة لروحها، وتعذيب لقلب لم يعتد أن يحيا سوى تحت جناحها، ومسئوليات عدة ستلقى على كاهلها، وهي لم تعرف في هذه الدنيا سوى جنات أمها، حيث الدلال وراحة البال. كما أن فراقها لها سيكون له ألف لقاء وعودة، أما فراقها للؤي هو فراق بلا رجعة سيسدل عقبه الستار على حياة دبت بين ضلوعها أخيرًا، ستعتم ملامح وجه صار بنور العشق متلألأ، ستوافق على سفرها معه ولكن بشرط واحد، لو وافق عليه ستتمم زواجهما بروح وفؤاد يلهجان بمئة دعاء ومباركة. في حديقة المنزل كانت ليلى تؤرجح رهفًا بدلال في أرجوحتها البيضاء، لقد اشترتها لها في عيد ميلادها الثالث، ولم تكف عن اللهو بها يومًا منذ ذلك الحين، كلتاهما كانتا متشوقتان لوصول لؤي، فكلمة منه قد ترسم مصيرهما وتسطر فصلاً جديدًا في حياتهما أو تعزي قلبًا وتدفن حبًا تحت الثرى رغم استمرار نبض الحياة في عروقه وشراينه، ترى أي كلمة ستقول يا لؤي، دخل لؤي يحمل

باقتين من الورود بين يديه، الأولى كانت تحوي زهور الزنبق البيضاء الخلابة، والثانية كانت تحوي زهور الأور كيد، وقد ارتدى قميصًا أبيض وبنطالاً لونه بيج، وما زال يعطر عنقه بزخات من عطر «توم فورد»، وابتسامة جذابة زينت محياه، اقترب من ليلى وقدم إليها باقة زهور الأوركيد، ثم اطمأن على صحتها، وتوجه نحو رهف، ثم قدم إليها باقة الزنبق التي تشبه جمال تقاسيم وجهها، منذ لقاء ليلى الأول به عرفت أنه متقن لقواعد الإتيكيت والذوق الرفيع في زمان قل فيه عدد الشباب الذين لا يكترثون بهذه اللمسات الأنيقة في تعاملهم، لم تعرف رهف نوع الورود التي ضمتها باقتها فسألته عن اسمها فأخبرها أنها ورود الزنبق الأبيض، حملقت إليه وقد ظهرت علامات الفرحة والدهشة جلية على وجهها، ثم قالت: أنا بقالي سنين بسمع أغاني كاظم الساهر ودايما الكلمة دي كانت بتردد، بس عمري ما عرفت معناها، وبفضلك أخيرًا عرفت، ثم ابتسمت عيناها في ظفر وإعجاب، تنحنحت ليلى لتجلي صوتها ثم قالت، أنا بعتذر عن اللي حصل المرة اللي فاتت، مش عارفة إيه حصل، بس كان بقالي يومين مطبقة عشان عندي شغل لازم يخلص، فعقبال ماخلصته كنت استهلكت تمامًا، بس متقلقش التعب مخليش أنسى الموضوع اللي فاتحتني فيه، الكلام اللي هقوله ده رهف متعرفش عنه حاجة، وهتسمعه دلوقتى زيها زيك أنا حبيت أقولكم عليه مع بعض، أنا

موافقة على أنك تتجوز رهف فأشرقت شمس السعادة على وجه رهف وأخذ لؤي يتمتم yes yes، وحينما بدأت قلوبهم تحملهما إلى دنيا الأحلام، أنزلتهما من على بساط الخيال جملة خرجت من فيه ليلى، إذ أردفت، ولكن بشرط واحد، أن رهف تعيش معاك شهرين في أمريكا وتنزل تقعد معايا شهر في الإسكندرية، ويفضل الحال كده لحد ما ترجعوا تستقروا هنا تاني إيه رأيك، بلا أي تفكير صاح لؤي طبعًا موافق، ده حق حضرتك، رهف بنتك الوحيدة، أنا كنت فقدت الأمل أصلاً أننا نرتبط ببعض، موافقة حضرتك وتفهمك لظروفي كرم كبير منك، وأوعد حضرتك أن رهف مش هتتأخر أبدًا عليكي.

كان رده سريعًا وحاسمًا ومفاجئًا في آن واحد، تفهمه واستعيابه للوضع نم عن رزانة وحكمة ونفى عن نفسه تهمتين، أولهما أن يكون شابًا أهوج، وثانيهما أن يكون أنانيًّا، فهو لم يجبها فقط على هذا الشرط، بل أجاب على تساؤلات كثيرة هجمت على بوتقة أفكارها خلال الفترة الماضية، أما بالنسبة لرهف فجاء استيعابها لطلب أمها بهذا الشكل الحضاري الراقي ليزيد من رصيد حبه في قلبها ألف نقطة ونقطة، وقد امتلأ قلبها بحبه عن آخره، فلم يعد يسع المزيد من العشق والشوق إليه، الحزن لا يعتقل قلوبنا في غياباته للأبد، إنما لمجرد فترة زمنية محدودة بموعد مقدر مع

الفرح لتنتعش أفئدتنا من جديد، حدقت ليلى نظرها إليهما ثم قامت من مقعدها وطلبت منهما أن يقفا متجاورين حتى تلتقط أول صورة لهما، بحماس طفلة طلبت رهف من والدتها أن تلتقط لهما أول صورة في أرجوحتها، فاستجابت ليلى لطلبها، والتقطت ثلاثة صور متتالية ثم قالت: مبروك ربنا يتمم بخير، فسألها لؤي تحبي نعمل الفرح امتى؛ لأن مع الأسف مفيش عندي وقت كفاية إننا نعمل خطوبة الأول، فأجابته بصوت يخالطه الضحك: لما رهف تخلص فستانها وفستاني إن شاء الله ٢٠ سنة كويس يا رهوف، فتعالت ضحكاتهما على دعابتها.

●●●

الفصل السابع
كابوس

لليلة الخامسة على التوالي تستيقظ ليلى عقب صراخ ينفلت من قلبها الفزع من هول الكابوس الذي ينقض عليه، كانت ترى رهفًا وقد شوهت الدموع وجنتيها، وبطنها متكورة أمامها وكأنها في شهور الحمل الأخيرة، وإذا بدماء تسيل منها منذرة بأن مكروهًا ما أصاب جنينها؛ لكنها لم تكترث لهذا النزيف، ومضت في طريقها حتى وصلت عند منطقة ممتلئة بالقبور فاقتربت من قبر وجلست تبكي وتصرخ بجواره، ثم وضعت جنينها أمام شاهد القبر وقد دثرته بكفن أبيض صغير ثم انصرفت ، ومن ورائها كان لؤي يركض محاولاً اللحاق بها، لكنها أبدًا لم تلتفت إليه أو تجب نداءه، كان يبدو في حالة إعياء شديدة، نداؤه عليها لم يكن نداء عاديًّا، بل كان مزيجًا من النحيب والرجاء، وقد غابت أناقته وهندامه وأبدل بهما ملابس تشبه ملابس المجاذيب، فكرت ليلى كثيرًا أن تتصل بمفسر أحلام ليطلعها على دلالة هذا الحلم البشع، لكن خوفها على ابنتها منعها من ذلك، فكيف لها أن تنسى أن كثيرًا من الأحلام لو فسرت أضحت واقعًا، هي ليست سوى أضغاث أحلام من فرط قلقها على رهف، ستستعيذ بالله منها وتتجاهلها وتدعو ألا تراودها من جديد، بيد أن هذا المنام

أثر سلبًا على علاقتها بلؤي، رد فعل لا إرادي صدر من فؤادها ولم تستطع أن تتحكم فيه أو تمنعه، وهي بالكاد كان تضع قناع حبها له وسعادته بهذه الزيجة كلما قابلته، وقد كان ذلك المجهود النفسي يضني روحها كثيرًا، عليل هو قلبها ومتحسس من الحب وسيرته ولديه ألف هاجس وهاجس، لكننا عندما نعلم أن علة ما أصابت قلوبنا نصبح أكثر تقبلاً لغرابة أطواره وأوامره.

انقضت الأيام التي سبقت موعد حفل زفاف رهف ولؤي في سرعة شديدة؛ فقد كانت رهف ونور تسابقان الزمن لتنهيا شراء أغراض وحاجيات الزواج، ولؤي كان مشغولاً بالمفاضلة بين المنتجعات السياحية الموجودة في الساحل الشمالي ليختار أفضلهم، حيث سيقيم الحفل هناك، لقد أخبرته رهف أنها تريد حفلاً بسيطًا على الشاطئ بلا أي مبالغات في النفقات أو بهرجة لن تزيد من سعادتهما شيئًا، أخبرته أنها تريد لكافة التفاصيل أن تكون في غاية البساطة، الديكور وبرنامج الحفل كل شيء، وقد أسمعته كثيرًا أن قربه وحده سعادتها ومعه ولأجله فقط تريد أن تحتفل، لا تريد زفافًا يخطف الأنظار وتحبس أنفاس جميع الحضور لروعته، كل ما تريده هي فرحة حقيقية نابعة من روحيهما تبدأ مع بدايته ولا تنضب أبدًا حتى يأذن الله لروحهما أن تصعد إلى جواره، كان لؤي يسأم ويتضجر كثيرًا من الشروط

والأوامر التي أملتها عليه لينا وقت زواجهما، كان ثريًّا ولكن طمعها كان لا يشبع؛ إذ أرادت أن تقيم حفل زفاف لم يعقد مثله من قبل كبده أموالاً طائلة ووضعه في ضائقة مالية، ما زال يلمس أثرها حتى الآن على وضعه المالي، رهف لم تطلب منه شيئًا، مجرد حلم وردي بريء رسمته في مخيلتها منذ طفولتها وأرادت أن تحققه يومًا، بلا شروط أو متطلبات معينة، لا يهمها أن يقيمه على شاطئ الإسكندرية أو على شاطئ المالديف، كل ما تمنته أن يعقد الحفل على شاطئ البحر وقت الغروب فحسب، تلك القناعة الثمينة التي تزين فؤادها ملأت روحه إصرارًا وعزيمة أن يفاجئها بإقامة فرح لم يقم مثله على شاطئ في هذا الكون من قبل، لن يسألها ماذا تريد مجددًا وقد صار متأكدًا أنها لن ترهقه أو تسأله عن شيء سوى حبه واهتمامه بها وهل يستطيع أن يعطي امرأة شيئًا غير المال، لكن من مثلها تستحق أن تجمع لها كل كنوز الدنيا وتضعها بين كفيها الرقيقتين. لم يكن ينوي أن يقع في حبها، كانت بداية تقربه إليها وارتباطه بها قرارًا عقلانيًّا، مواصفات زوجة مناسبة قد يتمنى الكثير من الرجال الارتباط بها، سترمم مكانته الاجتماعية المدمرة، كيف ومتى صار مغرمًا بها إلى هذا الحد؟ غيرت طباعه كثيرًا دون أن تسأله أن يغيرها، دون أن تتذمر أو تشتكي منها، عندما عشقها شفي من أوجاع لوثت قلبه ونخرت في روحه لسنوات، وفي رحم حبها الطاهر ولد

من جديد، ولكنه قلق للغاية من نفسه، هل حقًّا يمكن أن يضحى شخصًا صالحًا؟! هل تكتب الحياة للؤي الجديد ويموت ذلك القبيح إلى الأبد، بسببها أحب نفسه أخيرًا، وهو لم يحبها يومًا، وكيف له أن يفعل وهو يعلم مدى بشاعتها وضلالها. ليتني أتمكن من إسعادك يومًا.

جاءت وفاة والدة سيف لتثقل قلبه المكلوم على خسارة حبيبته بهم جديد وقع في غير أوانه، وهل يسع الفؤاد أي خسارة بعد فجيعته في الأم، كيف سيعيش بدونهما، من سيجفف دموعه القابعة في عينيه منذ تلك اللحظة السوداء، من سواها يلوذ بها وقت كربه وضيقه؛ ففي حضرتها يلمس أنهارًا من الحب والحنان تغسل أوجاعه في لحظات، كيف صارت غريبة عنه بين ليلة وضحاها، حتى إنها عندما جاءت لتقدم واجب العزاء لم تأت مع نور أو بمفردها بل جاءت مع ذاك اللؤي تتأبط ذراعه ويربت على كتفها محاولاً التخفيف عنها؛ فقد أحبت أمه كثيرًا، بيد أن حب أمه لها كان أكثر، كان حب أم لزوجة ابنها؛ لذا بدا اهتمامها بها وتدليلها لها جليًّا علم كل المحيطين بهم سببه إلاها، ماذا فعلت يا لؤي أكثر مني لتظفر بها وتصبح رجلها في لحظات؟ حينما هاتفته لتدعوه لحضور حفل الزفاف كانت على يقين أنه لن يحضر، فلم يمر على موت أمه سوى فترة قصيرة، وقد كان صوته خافتًا ومتهدجًا من فرط البكاء، ربما أصابتها دهشة عندما سألها عن

العنوان بالتفصيل، لكنها سرعان ما أدركت سبب هذا السؤال، هي مجاملة لطيفة منه ليبرهن لها أنه رغم ظرفه الشديد السوء ما زال يعير زواجها اهتمامًا بالغًا، كلمة انتظرت أن تسمعها منه عندما دعته ليأتي إلى الأتيليه لتحدثه عن خطبتها للؤي، أو عندما هاتفته لتخبره عن موعد ومكان حفل الزفاف، لكنها لم تسمعها، ولم تعرف لماذا لم ينطق بها لسانه قط؟

حاول لؤي التحدث مع تامر عقب المكالمة التي تمت بينه وبين سكرتيرته، إلا أن هاتفه كان مغلقا لمدة يومين، أراد أن يستفسر عن ذلك التحليل المخجل العجيب الذي طلبت منه إجراءه، أن يخبره أن ما قالته تلك المرأة لا يزيد عن كونه هراء فلت من لسانها، إذ كان عقلها مخمورًا قليلاً، في اليوم التالي تلقى بريدًا إلكترونيًّا من تامر أكد له صحة ما قالته السكرتيرة، وأن هذا صار إجراء احترازيًّا جديدًا فرضته الحكومة الأمريكية منذ بداية فترة رئاسة ترامب؛ إذ امتلأت قائمة الشروط التي ينبغي أن يستوفيها العرب حتى يسمح لهم بدخول الأراضي الأمريكية، وأن هذا التحليل هو واحد من الشروط المستحدثة التي وضعت قبل شهرين، ثم اختتم رسالته محاولاً أن يداعبه ويقلل من صعوبة الأمر قائلاً: متقلقش يا كبير أوي كده، حتى لو طلع عندك الإيدز هستر عليك ومش هقول لحد، ونبقى نضرب تحليل تاني وندخلك برده.

في جناحهما المطل على شاطئ البحر كانت نور تساعد والدها في وضع رابطة عنقه كان لا بد أن ينهيا وضع اللمسات الأخيرة على إطلالتهما سريعًا؛ فلقد هاتفت ليلى نورًا لتطلعها أن رهفًا صارت جاهزة وتنتظر وصولهما، لم تدع ليلى «عليًّا» ولم تعلمه بزواج ابنته أيضًا، كيف لنا أن ندعو الأموات أو الغرباء إلى حفلات زفافنا، وهو ميت وغريب في آن واحد، ستستعيض عنه بوجود إبراهيم، وحده يستحق أن تتأبط رهف ذراعه ليسلمها لزوجها، هو من احتضن وساند وداوى لسنوات طوال، هو في قلبها أب وأول رجل في حياتها، وهي في فؤاده وروحه ابنة حقيقة، تفرحه سعادتها ويشقيه حزنها وألمها، في غرفة رهف كانت ليلى ترتل خواتيم سورة البقرة في محاولة لتحصين ابنتها من شرور الإنس والجن، كان جمال رهف في هذه اللحظة يبدو خلابًا لدرجة قد تسلب الحاضرين عقولهم؛ فقد كانت بشرتها صافية وشديدة البياض والنقاء كالحليب، وقد تجلى جمال غير عادي في كل قطعة من وجهها، لم تضع سوى قليل من مساحيق التجميل، القدر الكافي والضروري لالتقاط الصور التذكارية، وعلى الرغم من مهاراتها الفائقة في وضع المكياج، والتي تجعلها قادرة على أن تظهر بجمال إضافي، فإنها لم تحب أن تستخدمها يومًا، وقد ارتدت فستانًا أبيض من الأورجنزا والدانتيل المطرز، اختارت تصميمًا ضيقًا بسيطًا يشبه الفساتين الملكية لأميرات وملكات بريطانيا، وقد

ارتدت طرحة طويلة تنتهي مع نهاية الفستان، لم تشعر بنبضات قلبها بتلك السرعة من قبل، وقد استشرت برودة في أوصالها لمس صداها في يديها، ربما كانت متوترة من تفاصيل الزفاف، عقد القران، تجمع الكثير من الناس لالتقاط الصور معهما ومباركات الزواج، كيف سيرى الناس إطلالتها هل ستعجبهم أم أنها قد تبدو مخفقة في بعض الاختيارات، بيد أنها لم ينتابها ذرة من الخوف أو القلق من الحياة مع لؤي، لم تفكر بتلك الطريقة التي تفكر بها معظم الفتيات في تلك اللحظة، إذ تراودهن مشاعر متداخلة من التوتر والتشتت والفرحة، وغالبًا لا يستطعن أن يمنعن سيل الأسئلة التي تصب في رؤوسهن صبًّا صبًّا، هل سيعاملني جيدًا؟ هل سيكون حنونًا؟ رقيقًا؟ رومانسيًّا ومتفاهمًا؟ ثقتها في لؤي شيدت بينها وبين هذه التساؤلات ألف سور لم تتمكن أي منها من تسللها، من الآن فصاعدًا ستمحو من قاموس مفرداتها تلك الكلمات وستمحو من ذاكرتها كل المشاعر الأليمة، هناك أحاسيس جديدة لا بد أن تحييها وكلمات جديدة لابد أن ترددها وتتعلمها، لم تعش فترة أفضل من الشهر الماضي؛ إذ كانت بجواره معظم الوقت، كيف تصبر على انقضاء تلك الساعات الطويلة حين ينتهي الزفاف ويجتمعا سويًّا بلا فرقة صباح مساء؟ كيف له أن يسعدها أكثر من ذلك، وهل خلق الله في هذه الدنيا سعادة أكبر؟ لا تعتقد، كم تمنت لو دق باب الغرفة لتجد لؤيًّا هو الطارق ثم

يدخل ويقترب منها ويعانقها عناقًا طويلاً يبث في روحها بعضًا من حنانه فيزيدها تألقًا وثقة وسحرًا، وما زالت رهف في أحلام يقظتها غارقة، إلا أن أعادتها دقات على الباب للواقع من جديد، فتهللت أسارير ليلى ثم قالت وأخيرًا جاء إبراهيم، فابتسمت رهف ولكن قلبها كان يلهج بالدعاء أن يكون لؤيًا وليس إبراهيم، حينما همت ليلى بفتح الباب لم تجد القادم إبراهيم ولا لؤيًاّ، تسمرت في مكانها وقد عقدت المفاجأة لسانها فلم تستطع أن تلفظ بأي كلمة، كيف جئت إلى الحفل؟ ولكن عينيها سألت وعاتبته كثيرًا، أخذت رهف تنادي عليها وتسألها من بالباب، لكنها لم ترد عليها، فقررت أن تذهب وترى بنفسها لكن رد فعلها كان مغايرًا تمامًا لرد فعل أمها؛ فقد قفزت من شدة فرحتها ولمعت عيناها وقد حفرت ابتسامة عريضة على وجهها ثم قالت: متخيلتش انك هتقدر تيجي يا سيف شكرا اوي وجودك كمل فرحتى بجد، ابتسم سيف رغمًا عنه، لكنها بدت ابتسامة حقيقة، أو ربما كانت مشتتة الانتباه، فلم تتمكن من ملاحظة مدى تصنعه لها، سألته عينا ليلى مئة سؤال، لماذا لم تفصح لها عن حبك، لماذا انتظرت كل هذا، ألا ترى نفسك أفضل من ذاك اللؤي؟ والله إنك أفضل، بل إنه ليس هناك مجال للمقارنة بينك وبينه، أتعلم أنني لم أتمن لابنتي زوجًا سواك يا سيف؟ لماذا تأخرت حتى فات الأوان؟ فأنا لم أعهدك جبانًا أو ضعيف الشخصية، فجاءتها إجابة واحدة

من عينيه: كنت وما زالت أحبها، كان يسمع وقع خطوات رهف وهي تقترب منه، لكن عينيه أبت أن تنظر إليها وأجبرته على ألا يرفع نظره عن الأرض، ففي رؤيته لها في ثوب الزفاف وأد لروح ما عاشت إلا عندما عشقتها، بيد أن عقله سحب مقاليد الحكم من قلبه، وصرخ يأمره بأن يملأ عينيه بمشهدها وهي عروس حتى يقنع قلبه أن حبه لها صار محرمًا، صار وباء فتاكًا لا بد أن يحاربه ويقهره، ذلك الحب لا بد أن يقتل ويكفن ويواريه الثرى في الحال؛ فعلاج الحب الفاشل دفنه، سيحضر الفرح حتى نهايته مهما بدا ذلك صعبًا أو مستحيلاً حينها فقط سيعود إلى منزل بلا أي ذكرى تحمل اسمها أو ملامحها، شق رنين هاتف الغرفة ثقل ذلك الموقف على قلب ليلى وسيف لتجد إبراهيم هو المتصل ويخبرها أن القهوة قد سكبت على بدلته ولا يعرف كيف يتصرف الآن، ثم أردف أنه تحدث مع مغسلة الفندق وأخبروه أنه لن يتسلم البدلة قبل ساعة ونصف، ولسوء الحظ لم يحضر بدلة غيرها؛ فلقد جاء في الصباح يرتدي قميصًا رياضيًا وبنطالاً من الجينز، أشعلت كلمات إبراهيم كل حرائق الغضب في قلب ليلى؛ فصارت تصرخ في سماعة الهاتف وتعاتبه بكلمات لم يتوقع أن تصدر منها، ولكنه تفهم حساسية الموقف وضيق الوقت فاعتذر وأغلق الخط، سألها سيف ما الأمر ماذا حدث، فأخبرته ما قاله إبراهيم في التو؛ فربت سيف على كتفها وطلب منها أن تهدأ من روعها،

سمعت رهف حديثهما في صمت، ماذا تفعل هل تؤجل الموعد ساعتين حتى تجهز بدلة إبراهيم؟ ستهاتف لؤيًا وتخبره بالطارئة التي وقعت؟ ولكنها لا بد أن تتحدث مع أمها أولاً؛ فدنت منها ثم قالت: متقلقيش يا ماما دايما بتحصل حاجات زي كده في الأفراح، أنا شخصيًا عمري ما سمعت عن فرح عدى بسلام كده من غير موقف أو اتنين سخاف، الحمد لله أنها جت بسيطة، استدار سيف نحوها ثم قال: لو تسمحلي يا طنط أن أحل محل عمي إبراهيم، أعتقد أن تأجيل الفرح ساعتين ممكن يلخبط الدنيا وبرنامج الحفلة كله يبوظ، حينئذ لم تستطع ليلى أن تكتم شهقة هربت من روحها ثم صرخت في وجهه: لأ طبعا مستحيل يحصل اللي بتقوله ده، احنا مش مستعجلين للدرجة دي، حدقت رهف نظرها في أمها بدت الفكرة مناسبة كثيرًا بالنسبة لها، وتوقعت أن يلاقي ذلك الاقتراح ترحيبًا من والدتها أيضًا، كان شوقها للقاء حبيبها قد بلغ حدًا لا تستطع أن تتحمله، فنظرت إلى سيف ثم قالت: يا ريت يا سيف دي حاجة هتبسيطني جدًا، أنت هتفضل طول عمرك منقذي، ماما بس بتتلكك عشان مسبهاش، فقال لها سيف: طيب أنا هروح أجهز وآجي على طول إن شاء الله، فأومأت برأسها موافقة، ثم قالت له: أنا مش عارفة ازاي ولا بأي كلام ممكن أشكرك يا سيف، وقفتك معايا النهاردة دي خلتني أديلك لقب برنس الجدعنة، مش عارفة إيه اللي كان ممكن يحصل لو مجتش

بجد كان زماني ميتة من العياط، فابتسم سيف ثم قال لها: يلا حوطي لمساتك الأخيرة مفيش وقت الناس مستنياانا، حينما ابتعد سيف عن الغرفة أخذ يركض باكيًا في رواق الفندق حتى وجد مرحاضًا فلاذ به ثم أغلق الباب بإحكام وانخرط في نوبة بكاء شديدة ارتعدت خلالها روحه، بعد دقائق ستتأبط حبيبته ذراعه لأول مرة، ولكن ليس ليزفهم الحضور إلى منزلهم بل ليزفها هو إلى حبيبها، كم حلم بذلك اليوم الذي ستسير بجواره متأبطة ذراعه أو ممسكة بكف يده، بيد أنه لم يتوقع يومًا أن يكون وليها يوم زفافها، لكن من سواه جعلها تحبه حبًّا أخويًّا، هو لم يظهر لها بصورة الحبيب قط، كان يخطط كيف يصل لقلبها فأوحت له خبرته القليلة أن تلك خطوة مهمة حتى تقع في حبه، وقد اجتازها بنجاح، ثم سجن فيها، فأضحت لا تراه سوى أخ وصديق، ولكن كيف يطلب منها أن تفهم أو تعرف مشاعر لم يفصح عنها، يا الله لماذا لم تكتبها زوجة لي في صحيفتي؟ يا الله أنا لا أقوى على فراقها، ثم أخذ يتمتم أحبك كثيرًا يا رهف، لماذا قرر أن يحل محل إبراهيم، هل سيصمد قلبه أمام مزيد من الأوجاع والآلام، أيًّا ما كان شدة الأنين الذي يهتك أحلام قلبه، لن يكترث لأمره فليساعدها الآن على أن تتم فرحتها، ثم يرى ماذا سيحدث له ولفؤاده حتى لو كان الجرح أقسى من قدرة قلبه على الخفقان من جديد، حتى لو أوقف ذلك الوجع نبضاته؛ فليمت وهو يرى وجهها باسمًا وعينيها تفيضان بسعادة وفرحة.

كانت تلك آخر مرة قابلها فيها منذ أكثر من ٤ أعوام، ولم يحاول بعدها أن يتتبع أخبارها أو يسأل نور عن حالها رغم أن صداقته معها لم تنقطع، وكانا يتقابلان من حين إلى آخر ويتبادلان أطراف الحديث في شتى الموضوعات، إلا أن فؤاده المكلوم منعه من أن يلفظ باسمها مجددًا، ظاهريًّا كانت رهف خارج دائرة حياته ومعارفه، ولكن فعليًّا كانت ساكنة في كل تفصيلة من تفاصيل يومه، كانت أساس هذه الدائرة التي بنيت لأجلها، فحينما تعرف عليها غير وجدد كثيرًا في علاقته بالأشخاص المحيطين به، فإذا به يقصي عنه كل شخص قد لا يروق له طباعه أو سلوكه، ويقرب منه كل من يشبهها في فكرها أو ثقافتها، أو من يمتلك حسن السلوك وجميل الطباع، كل شيء كان معدًا لبداية قصة حبه معها، لكنه لم يجهز أي شيء للنهاية، وكيف نعد لأمر كنا نكفر بوقوعه يومًا، عقب حفل زفافها أغلق جميع حساباته الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي وأنشأ حسابات جديدة، بيد أن كل حساباته الشخصية صارت جرداء بعد رحيلها، فهو من ناحية لا يهتم لمعرفة أخبار أي شخص من خلال حساباتهم الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي، من يرد أن يطمئن عليه يتصل به، ومن ناحية أخرى لم يعد لديه ذلك الشغف القديم لتدوين تفاصيل عن حياته، أو مشاركة أغاني وصور مع رفاقه؛ فلأجلها وحدها كان يفعل كل هذا، لا يذكر كيف تغيرت حياته رأسًا على عقب حينما عشقها لتصبح كل قطعة منه مسخرة للفت نظرها وإرضائها

فحسب، ولا يدري كيف انقضت تلك السنوات العجاف على قلبه وروحه، حينما علم بعودتها إلى مصر شعر أنها لم تلبث بعيداً عنه سوى ليلة واحدة، لم تتوقف يداه عن استخدام آلة التنبيه؛ حيث كان الطريق إلى المشفى مزدحمًا للغاية وقد هربت كل الدماء من وجهه وبدا شاحب اللون من فرط قلقه عليها، غيبوبة؟ ما الذي سبب لها هذه الغيبوبة؟ أو ربما السؤال الأوقع من الذي جعل حالتها تسوء لهذا الحد كي تصاب بغيبوبة؟ من استطاع أن يجرحك أو يؤذيك يا حبيبتي؟ وقد عشت عمرك كله لتداوي أوجاع ذويك وأصدقائك، فأنا لم أعرف أبدًا كيف لي أن أشفى من طيبتك وحنانك الخارقين للعادة، هل أذاك ذاك اللؤي؟ هل خانك وهو المعروف بعشقه للنساء وشهوته التي لا تشبع؟ والله لو كان له يد فيما أصابك لأقطع كل قطعة في جسده، وهل من هن مثلك يخانون أو يجرحون؟ لو فعلها فهذا يعني أنه لم يعرف قيمة روحك النفيسة التي اصطفاكِ بها الله ليميزك عن كثير من عباده.

حينما وصل إلى المشفى دخل في عجالة يبحث عن الاستقبال، وسرعان ما أرشدوه إلى مكان ليلى، وعندما اقترب منها ووقعت عيناها عليه شلال من الدموع فر من مقلتيها ليكوي وجنتيها الذابلة من كثرة البكاء، وإذا به يمسك بيديها، ثم عجز عن كتمان الدموع التي جاهد نفسه لسجنها داخل روحه، فإذا بنحيب بكائه

يدوي في المشفى حتى غطى على أي بكاء أو صراخ آخر، فلم يعد يسمع في جنبات المشفى سوى نواحه المتهشم، ثم تمتم: عايز أشوفها عشان خاطري، فذهبا إلى الاستقبال وطلبت منهم ليلى أن يسمحوا له بزيارتها مدعية أنه أخوها، وفي دقائق صار بجوارها، وخزة شديدة أصابت قلبه.

عندما شاهدها على هذه الشاكلة، جسد نحيل ووجهه عليل غاصت جل ملامحها بين العظام التي برزت فيه على إثر مرضها، وشعر قصير للغاية وقد قص قصًّا عشوائيًّا، رهف التي عرفها لم تكن حاضرة في تلك اللحظة، ربما وجد جثة تشبهها بيد أنها لم تكن هي، كيف غابت روح الحياة عمن وزعت البهجة والسعادة على كل المحيطين بها، اقترب منها ثم احتضنها حضنًا رحلت فيه روحه عن الأرض وحلقت بعيدًا تذكره بكل لحظة قضاها معها، بوجهها الباسم دومًا، ودعاباتها الظريفة، ذلك الإحساس بالأمان الذي استشرى في عروقه وشرايينه وهي بين أحضانه لم يشعر به من قبل، كم تمنى لو تبقى روحاهما وجسداهما متصلين هكذا بلا فرقة، بماذا يشعر الإنسان عند موته؟ سؤال راودنا كثيرًا ولم يعرف أي منا إجابته؟ لكنه أدركها الآن، مرض رهف يعني موته، جرحها، أذاها، أي مكروه يصيبها يعني موتًا محتمًا له، ثم أغلق عينيه بإحكام وأخذ يلهج بالدعاء يا الله معجزاتك لا ولم

تنته، فإني أسألك من خزائن كرمك وجودك التي لا تنضب أن تمن عليها بالشفاء العاجل التام، وألا ترينى فيها بأسًا ولا سوءًا، ثم قبل جبينها قبلة طويلة لم يرد أن ينهيها، لكن الممرضة دخلت لتطلب منه الخروج؛ إذ انتهت الدقائق المسموح له بقضائها في العناية المركزة، وحينما لمست ملامح الحزن والتأثر جلية على وجهه، ربتت على كتفيه ثم قالت: لو عزيزة عليك اتصدق بنية إن ربنا يشفيها، الصدقة بتعمل معجزات في شفا حالات صعبة كتيرة ربنا يشفيها، أومأ سيف برأسه موافقًا، ولكن عينيه لم تنظر إليها؛ فقد كانت عالقة على حبيبته الراقدة هناك، لا بد أن يكف عن البكاء، ولا بد أن يتماسك؛ فمن يساند ليلى إن هو وهن، ومن يدعمها ويوقد حماستها المحتضرة سواه، فلبيك كيفما يشاء عندما ينفرد بنفسه، أما الآن فينبغي أن يساند ليلى ويساعدها في اتخاذ القرار الصحيح وإتمامه في أقرب وقت، فانهياره وبكاؤه لن ينفعا رهفًا بشيء، على مقدار حبه لها سيسعى ويجتهد ويصول ويجول العالم من أجل شفائها، سينحي كل شيء في حياته جانبًا، ولتعد رهف لتصبح محور حياته مجددًا، لا ليس المحور فحسب فهذه المرة ستصير كل حياته.

قلبه المتيم بعشقها غفل عن سؤال ليلى عن وضعها الصحي عندما التقى بها، فعيناه كانت تتوق لرؤياها والاطمئنان عليها،

ولكنه الآن يحتاج أن يعرف كل شيء عن مرضها؛ لعله يستطيع أن يستشير أحد الأطباء المرموقين هنا أو يراسل المستشفيات المتخصصة في حالتها في أي من بلاد العالم، وبعدما نجح أخيرًا في تمالك أعصابه ورسم على وجه وفي عينيه ملامح القوة والتماسك رغمًا عن روحه الثكلى على مرض حبيبته، طلب من ليلى أن تخبره كل شيء تعلمه عن حالتها، فأخبرته بما تعرف وقالت له: أنا مش قادرة أصدق كلام الدكاترة عن حالتها يعني تختفي جزء من خلايا المخ من غير ما تعمل أي عملية؟ هي من ساعات مرجعت مفارقتيش غير كام يوم قضيتها في طوكيو، إيه اللي ممكن يكون حصل فيهم يعني؟! ولو عملتها فعلاً ليه خبت عليا؟! رئيس قسم المخ والأعصاب هنا قالي إن لازم آخدها وأسافر لندن، فرد عليها سيف قائلاً: مش مهم الكلام ده دلوقتي يا طنط مش عايزين الوقت يسرقنا ونتأخر في تخليص الإجراءات، متقلقيش يا طنط ربنا هيقف معانا ويشفي رهف، حضرتك ارتاحي، وأنا هخلص كل حاجة إن شاء الله، كفاية على حضرتك صدمة اللي حصل.

أرادت ليلى أن تشكره وأن تخبره أنها ستتمكن من إنهاء كافة الإجراءات والسفر بمفردها، بيد أن قوتها قد نضبت للغاية وروحها أضناها وجعها على مرض قرة عينها، أرسله الله ملاكًا ليعاونها ويشدد من أزرها لتقاوم طوفان الرياح العاتية الذي هز

كيانها بعد أزمة ابنتها، وهل من الممكن أن نرفض مساعدة ملاك جاء لينتشلنا من دوامة التيه والأحزان؟

في مطبخ منزله كان إبراهيم يجلس على طاولة صغيرة وضعت في أحد أركانه يحتسي كوبًا من القهوة الأمريكية وقد شرد ذهنه تمامًا؛ فقد سرق تركيزه فكرة بزغت في عقله منذ لحظات، لكنه لا يعلم مدى جدواها لمساعدة رهف، ليس ذلك فحسب، بل لا يعلم أيضًا كيف ستتقبل ليلى الأمر لو علمت برغبته في القيام بهذا الأمر، سيجري هذه المكالمة وسيبقي الأمر سرًّا لن يعلمها به؛ فهي بكل تأكيد لن تتقبل أن يذكر اسمه، فماذا عن الحديث معه، ما زال يحتفظ برقمه الأمريكي في قائمة الأسماء في هاتفه، سيتصل به ليس أمامه خيار آخر، ربما يعرف شيئًا عن تلك الجراحة التي يتحدث عنها الأطباء فيختصر الكثير من الوقت ويدركون أي طريق أو أي وسيلة هي المثلى لعلاجها، وحينما هم بالاتصال به وجد رسالة صوتية مسجلة تفيد بأن هذا الرقم مغلق أو خارج نطاق الخدمة، خاب أمله في الإمساك بخيط ما قد يساعدهم في علاج رهف، هل ما زال يحتفظ برقمه المصري؟ لا يدري ربما مسحه لأنه لم يتصل به منذ فترة زواجهما الأولى، لكنه يعتقد أنه قد رأى رقم جواله المصري مدونًا على صفحته الشخصية على فيس بوك من قبل، سريعًا فتح خدمة الإنترنت في

هاتفه ثم دخل على صفحته وتنفس الصعداء حينما وجد توقعه صحيحًا، رقم جواله مكتوب في صفحته، ربما عاد ليقضي إجازة في الإسكندرية، كون رقمه سريعًا ثم ضغط على زر إجراء مكالمة طمأنه رنين الهاتف أن احتمالية وجوده هنا صارت كبيرة، وهم في كل الأحوال قد يحتاجون لمساعدته أو سؤاله عن بعض التفاصيل، وفجأة جاءه صوت رجل كهل يبدو في عقده السادس، فقال له أريد أن أتحدث مع لؤي، فخيم صمت مطبق على المكالمة لدقائق قبل أن تخرج من ثغره كلمات كالصاعقة، ما ظن أن يسمعها منه مطلقًا؛ إذ قال: لؤي مات، شهق إبراهيم من دهشته وفرت كلمة من بين شفتيه: مات، مستحيل؟!

لم يكن والد لؤي في حالة نفسية تسمح له بالحديث مع شخص غريب أكثر من ذلك، رغم أنه في قرارة نفسه كان سعيدًا أن هناك أشخاصًا لم يعرفوا بخبر انتحاره في أحد السجون الأمريكية، فاعتذر منه ثم أنهى المكالمة، صدق حدس لؤي في توقع نهايته التي لم تختلف كثيرًا عن نهاية لينا، كلاهما مات منتحرًا، ولو اختلفت الدوافع التي دفعتهما لاتخاذ هذه الخطوة، وكلاهما لم يجد شخصًا يعزيه أو يترحم عليه أو يبكي على قبره، يشبه لينا كثيرًا، رغم نكرانه الدائم لذلك، وكلاهما تحدثت وسائل الإعلام عن خبر انتحارهما، كيف يتشابه الضعف داخل

قلب شخصين إلى هذا الحد، هو نسخة أخرى منها، يشبهها في كل أطوارها وردود أفعالها، وكلاهما لم يتركوا في هذه الدنيا سيرة حسنة، ولم يورثوا ذويهم سوى الخزي والعار، ترى هل سيجتمع بها في العالم الآخر أيضًا؟ استيقظ والد لؤي منذ شهر على اتصال من أحد أصدقائه يخبره فيه أن التلفزيون المصري ذاع خبر انتحار ابنه داخل أحد السجون الأمريكية، ثم انتشر هذا الخبر فصارت جميع الجرائد والقنوات الفضائية تسعى إلى إجراء مقابلات معه لتعرف تفاصيل عن ذاك المصري المنتحر على الأراضي الأمريكية، تكبد أبوه عناء شديدًا خلال تلك الفترة عناء فاق قدرة تحمله الضعيفة؛ فهو لم يهتم يومًا لأمره، مصرف أموال كان هو بالنسبة له، وهل يهتم البنك بالشئون الخاصة لعملائه، كل ما أشقاه صورته الاجتماعية ومكانته المرموقة التي اهتزت بفعل هذا الخبر المشين، رحيله لم يعن له الكثير؛ فهو لم يعش معه سوى أيام معدودات، لكن طريقة الموت هي ما أثقلت صدره بالهم والحزن، رفضت الولايات المتحدة الأمريكية أن تمنحه تصريحًا ليأخذ جثمان ابنه إلى الإسكندرية، وهو لم يبذل الكثير من الجهد للحصول عليه، فليواري جثته الثرى هناك أفضل حتى لا تلوث سمعته واسم العائلة أكثر من ذلك، لا بد أن يتخلص من شريحة هاتفه؛ فلم يعد لديه أدنى رغبة في الحديث عن وفاته، سيغادر مصر بلا عودة قريبة.

طلبت ليلى من سيف أن يتصل بإبراهيم ليعلمه بوجوده معها وليطمئنه أنها صارت في حالة نفسية أفضل، فلم تكن تريده أن يترك عمله ويأتي لمواساتها ومساندتها، سيف رجل حقيقيا يستطيع قلبها أن يتوكأ عليه ويستطيع عقلها أن يثق في حكمته وآرائه، سؤال حبسته في روحها لسنوات وظنت أنها لن تسأله يومًا له، لكنه انفلت من بين شفتيها دون إذنها ودون أدنى قدرة منها على أن توقفه، إذ سألته: هو انت حبيت رهف يا سيف؟ تشكلت ملامح الدهشة والخجل على قسمات وجهه، ثم قال: اه يا طنط، حبيتها ولسه بحبها، فأردفت: اومال ليه مقلتلهاش؟ ليه سكت؟ ليه سبتها تتجوز البني آدم ده اللي قرب يموتها، والله ما عارفة ازاي ممكن أعيش من غيرها يا سيف.

لم يكن لا المكان ولا الظرف يسمحان بكلام عن حبه لها، أدرك سيف جيدًا أن ليلى ليست في حالة نفسية سوية؛ فحاول أن يحتوي كل سؤال سألته وذوب أمواج قلقها الهائج بين أحضان روحه الحنونة واستوعب أن في رأسها الآن تدور فكرة واحدة، لو تزوجت رهف بسيف لما أصابها مكروه قط، فأجابها: قدرها أنها تحبه ومتشفش في الكون حد غيره، وقدري أني أتأخر ويسبقني هو ويتجوزها، اللي حصل في حبي لرهف واللي حصلها نتيجة حبها للؤي قدر وحش أو ممكن نسميه ابتلاء ربنا بيختبر بيه قوة إيماننا، مش قدامنا غير إننا

نطاطي للقدر الوحش شوية لحد ما يعدي، أقدارنا لن تجيب عن كل لماذا نسألها كلما أصابتنا مصيبة ما، وليس أمامنا سوى أن نثق في حكمة الله وأن تلهج أفئدتنا بالدعاء أن يحفظنا من نكبات القدر وسوءاته، ثم قرر أن ينهي الموضوع فقال لها: أنا هستأذن حضرتك أروح أجيب أكل وهأكلك كمان ومش هقبل أي أعذار، رهف تحتاجك بجوارها قوية مثلما اعتادت أن تراكِ دومًا، طبطبت ليلى على وجنته اليمنى ثم همست قائلة: الحمد لله إنك جيت يا سيف، المصيبة كبيرة عليا قوي.

ألقت ليلى بمسئولية إنهاء إجراءات السفر بالكامل على عاتق سيف، كانت في حاجة لمن تودعه بعضًا من الهموم والآلام التي أثقلت موازين فؤادها، ٥ أيام قضتها رهف في غرفة العناية المركزة، لم تغادر فيهم ليلى المشفى قط، ولم يفارق المصحف يمناها، وحينما كان يغالبها النعاس رغمًا عنها كانت تمتم ببعض من الآيات التي تحفظها، لسانها ظل رطبًا بالذكر والتسبيح وحده الله قادر أن يمنح ابنتها الصحة في طرفة عين، وحسن ظنها به أنه سبحانه وتعالى سيفعل، عليها فقط أن تدثر قلبها الموجوع بلباس الصبر لفترة لن تطول، وفي صباح اليوم السادس كان كل شيء جاهزًا لسفرهم، أصر إبراهيم ونور أن يسافرا معهم رافضين كل محاولات ليلى لإثنائهم عن هذا القرار، بلغ خجلها

من حسن طباعهم مبلغه، فامتلأت روحها بالامتنان والشكر لله الذي زين طريقها بأرواح نفيسة بمساندتهم لها، هان حزن كاد يرديها قتيلة، دعوة واظبت عليها في كل صلاة قيام أدتها في شهر رمضان المبارك، ويبدو أن الله استجاب لها؛ إذ كانت تردد دعوة سيدنا زكريا مع تعديل بسيط؛ إذ كانت تقول ربي لا تزرني وابنتي فرادى وأنت خير الوارثين، وقد أسبغ الله عليها بأشخاص لم تر في جمال أرواحهم ولا في حسن أخلاقهم، وحينما هموا جميعًا بمغادرة المشفى قاصدين المطار، لمحت ليلى وجهًا قد دفنته في ذاكرتها منذ زمن بعيد، وظنت أن عينها لن تتلاقى معه مجددًا، حتى عينيها تشمئز من ذلك الوجه، كم تمنت لو تنقض عليه وتسحق وجه وعظامه وتهشم كبرياءه وجبروته، لكن شخصًا آخر يبدو أنه قد سبقها وفعل، كان «علي» محمولاً على نقالة خشبية ووجهه ملطخ بالدماء، وقد بدا غائبًا عن الوعي وجسده ممتلئًا بشظايا من الزجاج والجروح الغائرة، جاء عجوزًا وحيدًا تمامًا مثلما توقعت كيف سينتهي به الحال، عادل هو الله لدرجة يصعب علينا استيعابها، ولكن عجلتنا لنرى عدله وثأره لظلمنا توسوس لنا زورًا أن الله نسي أمرنا، وحاشاه أن يفعل، فلتتألم وحدك ولتمت وحدك يا «علي»؛ فتلك وحدها النهاية التي تليق بك، لاحظ سيف أن ليلى تحملق إلى ذلك المريض بصورة ملفتة للغاية فبادر بسؤالها: هو حضرتك تعرفيه يا طنط؟ فزمت على شفتها

السفلى ثم قالت: ده بابا رهف يا سيف، شهق سيف، ثم وضع كفه اليسرى على فمه، ثم قال: تحبي أساعده، شكله جاي لوحده هنا، بصوت قاسٍ لم يسمعها تتحدث به من قبل وبحزم شديد ووجه مجهم قالت له: ربنا يساعده ويسامحه، ثم أردفت: لازم نسرع عشان الطيارة متفوتناش.

لم يقوَ أي منهم على اختيار المقعد المجاور للنافذة، فقد كان مقعد رهف المفضل؛ إذ كانت تقيم الدنيا ولا تقعدها لو اكتشفت بعد صعودها للطائرة أن مقعدها مطل على الرواق وليس على إحدى النوافذ، ويظل وجهها عابسًا كطفلة خاب أملها في أمنية ما إلى أن تصل إلى وجهتها، لم تكن ليلى من عشاق لندن؛ فقد كانت تكره ذلك الضباب الذي يلف المدينة معظم الوقت، وهي في حالة حب مستعصية مع الشمس؛ فمزاجها يسجل أسوأ معدلاته لو لم تتغنج بنورها يومًا، وكثيرًا ما كانت تتساءل عن سبب حب ابنتها لها، وكانت دائمًا تسمعها نفس الإجابة إنها ترى في أجوائها دفئًا ورومانسية لم تشعر بها في أي بقعة أخرى من بقاع الأرض، كم تمنت وهي شابة مراهقة أن يصحبها زوجها يومًا إلى لندن ويبادلها عناقًا طويلاً أمام ساعة «بيج بن» الشهيرة ويلتقطان الكثير من الصور التذكارية هناك، لكن هل توقعت أن تزورها مريضة على متن طائرة إسعاف؟ لعل حبها الكبير للندن يداوي ألم جسدها وأنين روحها.

قبل أن تهبط طائرة الإسعاف التي تحمل رهفًا في مطار «هيثرو» فوجئ أحد أفراد الطاقم الطبي المصاحب لها أن هناك حركة لبؤبؤ العين، فسرعان ما قام بإجراء فحص سريع للتأكد من الأمر؛ فإذا ببؤبؤ عينيها يتحرك من جديد، ابتسامة عريضة ارتسمت على صفحة وجهه، وإذا به يخبر باقي الطقم بما حدث، يا لها من بشرى سعيدة ونبأ مطمئن، يريد أن يطير ويزفه إلى أهلها، ما حدث الآن شق في نفوسهم جميعًا أنهارًا من الأمل؛ أن الوظائف البدائية لجسدها ما زالت تعمل، وأن احتمالية استيقاظها من الغيبوبة صارت أعلى، حزن ما خيم على قلوبهم جميعًا حينما رأوها، شابة يافعة ذات وجه بريء وملامح ملائكية وجسد صغير نحيل، ومعاناة كتبت تفاصيلها عنوة على جبينها، تمنوا لو بإمكانهم القيام بأي شيء لإيقاظها من هذه الغيبوبة اللعينة، لكن الغيبوبة وحش مفترس يكشر عن أنيابه في وجه كل من يحاول أن ينقذ أحدًا من شرها واستبدادها فكم يتمت أطفالاً، وأدمت قلوبًا قهرًا على اغتصابها لصحة أحبائهم، فالتحرر من قبضتها قد يحتاج سنوات طوالاً أو قد تنتهي أعمارنا على يديها، إرادة الله وحدها من تقهرها وتسحق شرورها فتقف أمامها مطأطاة الرأس ذليلة حينما يكتب الله لعباده أن تدب الحياة في قلوبهم من جديد، تتقهقر مستسلمة تجر وراءها أذيال الخيبة والهزيمة.

يـا رب فلتكتـب لرهـف نجـاة مـن هـذه الأزمـة ولتعيدهـا للحيـاة مـن جديـد، هـين عليـك أن تشـفيها يـا الله، فلتجـد عليهـا مـن فضلـك، ولترحمهـا مـن آلامهـا ولترحمنـا مـن فـزع يقبـع في أفئدتنـا خوفًـا مـن خسـارتها، هكـذا كان قلـب إبراهيـم يلهـج بالدعـاء طـوال رحلتـه إلـى لنـدن، حينمـا سـمع قائـد الطائـرة يعلـن هبوطهـم في مطـار هيثـرو هـدأت أوصالـه المتوتـرة وحمـد الله كثيـرًا، كان ضائعًـا في دوامـة قلقـه علـى تضـرر وضـع رهـف الصحـي مـن نقلهـا بالجـو مـن دولـة إلـى أخـرى، إذ كان يعتبرهـا مجازفـة كبـرى قـد تزيـد حالتهـا سـوءًا، معلوماتـه الطبيـة ضحلـة للغايـة، ولكـن مشـاعره فياضـة ومرهفـة لأقصـى درجـة؛ فلمسـة حنـان صادقـة مـن يـده قـادرة أن تمحـي أثـار جـروح اغتصبـت الـروح ومضـت السـنون دون التئامهـا، لمـاذا لا يسـتطع حبنـا أن يـداوي علـة محبوبينـا؟ فليضـع قنـاع القـوة والتفـاؤل الآن؛ فليلـى في حاجـة ماسـة لـكل نظـرة وكلمـة تبعـث في ثناياهـا أمـلاً أو حتـى وهمًـا بشـفاء عاجـل لابنتهـا، فليتـزود بالكثيـر مـن القـوة والهـدوء.

في قاعـة الانتظـار الملحقـة بغـرف العنايـة المركـزة كانـوا جميعًـا ينتظـرون موعـد مقابلتهـم للطبيـب، فقـد انتهـوا مـن إجـراء كافـة التحاليـل والأشـعة التـي قـد تسـهم في فـك شـفرة اختفـاء تلـك الخلايـا، كان الجـو خـارج المشـفى بـاردًا للغايـة والسـماء ملبـدة بالكثيـر مـن الغيـوم، والأمطـار لـم تنقطـع منـذ سـاعات الصبـاح الأولـى، كان

قلب ليلى يحترق خوفًا وقلقًا على ابنتها لدرجة أن هزيم الرعد كان يزيد روحها فزعًا ورعبًا، ثمة حركة غريبة لطاقم التمريض من غرفة رهف وإليها، ما الأمر؟ هل تدهورت حالتها الصحية أكثر من ذلك؟ أحست بنخر شديد في قلبها فوضعت يدها على مكان الوخزة التي أصابتها، ثم ركضت باتجاه الغرفة، ومن خلف ليلى كانوا جميعًا يجرون ليلحقوا بها، وأخيرًا وصلت إلى الغرفة، فوقفت كتمثال شمعي عند بابها، فقد تصلب جسدها من المفاجأة وعيناها صارتا متحجرتين، لا ترى لبؤبؤ العين أي حركة فيهما ولا يرمش لها جفن، يا لشدة المفاجأة ويا لروعتها، يا لعظمة لطفك يا الله، حينما تخلص في حسن ظنك بالله ويزداد إيمانك بأنه ما زال يمدد عباده بالمعجزات في كل بقعة من بقاع الأرض، ستنال نصيبك من كنوز جوده ورحمته لو صبرت وتماسكت، استيقظت رهف من غيبوبتها، إنها تجلس الآن متكئة على وسادة في سريرها الأبيض، بعينين مفتوحتين وقد لونت الحياة روحها وملامحها من جديد، وقد وقف بجوارها طبيبان و٣ ممرضات يجرون بعض الفحوصات للتأكد من استعادتها لكامل وعيها، ومن وضعها الصحي، وعمل وظائف جسدها البدائية وأعضائها، كل شيء بدا على ما يرام، ما زالت تحتفظ بقدرتها على النطق والكلام، نظرها لم يتضرر على الإطلاق، قدرتها على المشي والوقوف جيدة، قدرتها على بلع الطعام والسمع، الاتزان، كل شيء كان على ما يرام، تنفس جميع

الطاقم الطبي الصعداء؛ فقد كانوا قلقين من الضرر الذي قد يصيبها من جراء هذه الغيبوبة، لكن وضعها الصحي كان أفضل بكثير مما تمنوا، وأبعد ما يكون عن كل الشكوك والمخاوف التي راودتهم، حالتها الحالية ستسهل عليهم تلك المهمة الشاقة لمعرفة السبب وراء اختفاء تلك الخلايا، وسيتمكنون من معالجة أي أثر سلبي نتج عن هذه الجراحة، منعت ممرضة كانت تقف على مقربة من الباب ليلى والآخرين من الدخول، لسببين الأول أنها عناية مركزة، ولا يسمح لكل هذا العدد بدخولها في آن واحد، والثاني أن الأطباء لا بد من أن يجروا بعض الفحوصات قبل أن يسمحوا لأحد بزيارتها، تراجعت ليلى رغمًا عنها؛ فقد كانت تذوب شوقًا لعناق ابنتها والاطمئنان عليها، لكن الممرضة أخبرتها أن إصرارها على الدخول يعني أنها ستعطل الأطباء عن أداء وظيفتهم، الأمر الذي من شأنه أن يضر بحالة رهف، استسلمت ليلى لكلامها ثم جثت على ركبتها وسجدت لله سجدة طويلة شكر قلبها فيها الله بملايين من كلمات الشكر والثناء والعرفان بفضله، لم تبك ليلى قط في تلك اللحظة، أما جسدها فكان يرتعش من شدة السعادة والنشوة التي ملأت شراينه وعروقه، لم تقم من سجدتها إلا عندما ضمتها نور وطلبت منها أن تقف لأنهم قد طلبوا منهم أن يستريحوا في قاعة الانتظار قليلاً، كان إبراهيم يعانق سيفًا ويبكيان من شدة فرحتهما باستعادة رهف لوعيها، غسل ذلك

البكاء عن وجوههما كل آثار الحزن والألم والخيبة التي قبعت في كل قطعة من قسماتهما منذ مرضها، فابتسمت العيون الثكلى وتوردت الوجنات الشاحبة، وارتسمت ابتسامات عريضة على محياهما، ثم أطلق سيف ضحكة عالية دوى صداها في كل أرجاء المشفى حتى رمقه المحيطون به بنظرات ضيق واستياء من تصرفه؛ فكيف يضحك بهذه الطريقة وهو يجاور المرضى والموتى والأسر القلقة على ذويهم، لكنه نسي المكان والزمان ولم يتذكر سوى أمر واحد أن حبيبته أصبحت بخير، روحها لم ترد لها وحدها بل ردت إليه روحه معها بعد غياب دام سنوات طوال، معها ولأجلها كان يضحك ويمرح وها هو الآن يضحك بسببها أيضًا، محرم عليه أن يفرح سوي معها ولها، أما نور فقد صحبت ليلى إلى مكان الصلاة المخصص للنساء داخل المشفى لتصليا ركعتين شكرًا لله، كانوا جميعًا في سعادتهم غارقين، بعد ساعتين جاءت الممرضة لتخبرهم أن رهفًا تم نقلها لغرفة عادية، وبإمكانهم أن يزوروها الآن لكن من الأفضل ألا تطول الزيارة؛ فهي ما زالت مرهقة من آثار الغيبوبة، بخطوات سريعة مشوا جميعًا في اتجاه الغرفة، طلب إبراهيم من ليلى أن تدخل هي أولاً وتمكث معها لبعض الوقت، ثم يلحقوا بها بعد ١٠ دقائق؛ فقد أخبرتهم الممرضة أن إجمالي الوقت المسموح به للجلوس معها ١٥ دقيقة، فتحت ليلى الباب برفق، فوجدت رهفًا تجلس على السرير، ترتدي قميص

المشفى الوردي وبجوارها تجلس ممرضة تساعدها في تناول قطعًا صغيرة من الدجاج واحتساء شوربة الخضراوات، اقتربت ليلى منها وضمتها في عناق طويل، وأخذت تلمس كل قطعة من وجهها ثم ربتت على كتفها وشعرها، كانت الدموع تسقط على وجنتيها شديدة السخونة والغزارة، ولم ترحل عنها بعد تلك الرعشة التي أصابتها منذ رأتها مستيقظة، كان بكاؤها غزيرًا فأعاق الكلمات من أن تتحرر من محبسها في أغوارها، التف قلبها حول روحها وحلقا سويًّا في رقصة عاشقين يلهبهما الشوق وتعزف لهما الفرحة على أوتارها أعذب الألحان ليتمتعا بسعادتهما لأقصى مدى، كان عناق رهف لليلى عناقًا باردًا، لم تعهد به من قبل حتى إنها لم تلف يدها حول عنقها، لم تظهر أي علامات بسعادتها لرؤية أمها، كانت في حالة سكون غريبة، وقد بدت ملامح التيه والحيرة جلية في عينيها، بصوت ضعيف متقطع سألتها سؤالاً هو الأقسى علي الإطلاق، سؤال ذبحت فيه روحها بسكين مثلومة إذ قالت متعجبة: هو حضرتك مين، صرخة عاتية فرت من روح ليلى فزع على إثرها كل الموجودين في المشفى، صرخة حملت كل دوامات الألم والجرح والخوف التي اجتاحتها منذ سنوات منذ تلك الليلة التي غادرت فيها رهف إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكالمحموم أخذت ليلى تهذي بكلمات غير مفهومة، إلا أن دخل إبراهيم وسيف ونور إليها فوجدوها في حالة مزرية شاردة الذهن تمامًا وما زالت

تهلوس بكلمات لا معنى لها، نسيان رهف لها طامة كبرى سقطت فوق قلبها ففتك بما بقي داخله من أمل وقوة، كيف تلفظ ذاكرة وصوت من عاشت لأجلها فقط، يا جبروت وعقوق تلك الذاكرة اللعينة، من على سطح هذه الأرض يستحق أن تتذكره سواها، وأخذوا جميعًا يسألونها ما خطبها؟ لكنها كانت غائبة تمامًا، طلب إبراهيم من أحد الممرضات أن تأتي لتفحصها، فأخبرتهم أنها تعرضت لصدمة عصبية شديدة، ولا بد أن تحقن عروقها بمهدئ في الحال حتى لا تتضرر أي من أعضائها أو خلاياها العصبية، كان سيف قلقًا على ليلى كثيرًا، لكن شوقه لحبيبته فاق ذلك القلق وأسكته فلم يتمكن من أن يمنع قلبه من إلحاحه ليدنو منها ويطمئن عليها، كم اشتاق إليها، ترك إبراهيم ونور يهتمون بأمر ليلى ثم اقترب من رهف، جلس بجوارها وقد تلألأت دموع الفرح وتراقصت في عينيه، جاهد نفسه كثيرًا حتى لا يضمها إلى صدره، لكنه وهن في اللحظة الأخيرة واستسلم لأمر قلبه وضمها ثم وشوشها بكلمة لم تستوعبها مطلقًا؛ إذ قال: بحبك يا رهف بموت فيكي، أغمضت رهف عينيها وأذابت مخاوفها في عناقها له، لم تتعرف عليه لكنها توترت للغاية عندما رأت انزعاج هذه السيدة من عدم تعرفها عليها، كانت تريد أن تستر وتأمن خوفها في حضن أحدهم حتي يخمد قلقها، وقد لمست في عناقه لها حنانًا ودفئًا وسكينة، فقررت ألا تغادر حضنه حتى يرحل هؤلاء

الغرباء عن غرفتها، وكلما اشتد فزع روحها أحكمت لف يديها حول عنقه والصقت جسدها أكثر بجسده، هي لم تتعرف عليه؛ لكنها تعرفت على ذلك العطر الذى يفوح من قميصه وعنقه، بدا مألوفًا ومحببًا لقلبها، ثم همست قائلة: ممكن تخليهم يمشوا من هنا بليز، فطبطب على رأسها ثم أجاب: حاضر متقلقيش، كم حلم بمعانقتها في يقظته ونومه حتى إن جسده كان ينتفض أحيانًا من فرط النشوة التي تغزو أوصاله عندما يتخيل ذلك الإحساس الودود. حقًا كل شيء بقدر لكننا لسنا كسيدنا أيوب في عظيم صبره ويقينه في رحمة الله وحكمته، لو علم سيف أن هذه اللحظة ستأتي يومًا لما تألم قط، لما سب الزمان قط، ولما تمنى الموت كل ليلة، ثمة أنهار من السعادة تنتظرنا لنشرب منها شربة تروي طول ظمئنا، علينا فقط ألا نجزع وألا نكفر بحكمة الله، بعدما انصرف إبراهيم ونور عاد سيف ليجلس بجوار رهف، إنتي حاسة بإيه دلوقتى إنتي كويسة ؟ حاسة بوجع في أي حتة من جسمك؟ فهزت رأسها نافية، فزفر سيف في رضا، وتمتم حامدًا الله، نظرت رهف في عينيه ثم قالت: انتوا ليه بتنادوني برهف هو ده اسمي؟ رفع سيف حاجبيه في دهشة وقد عقدت المفاجأة لسانه فلم يستطع أن يرد عليها، فإذا بها تكرر السؤال على مسامعه مجددًا: حضرتك مردتش ليه مين رهف دي أنا؟! فأجاب سيف بصوت متهدج ورأس مطأطئ أيوه، الآن فقط أدرك

لماذا صرخت ليلى بهذه الطريقة، لم تكن مفاجآتها سارة على الإطلاق، بل كانت مفاجأة سامة فتاكة، ابنتها الوحيدة بلا ذاكرة، كيف لها أن تستوعب خبرًا كهذا؟ حبيبته عادت إليه جسدًا بلا ذكريات أو تاريخ، ولكن بنفس الروح الحنونة الدافئة، وهل يطمس فقدان الذاكرة جمال الروح؟ فجمال الروح خالد لا يفنى ولا يغيب حتى بعد الموت تبقى ذكراه العطرة حية في قلوب أحبابه.

في مساء ذلك اليوم اجتمعوا جميعًا بالطبيب المعالج لرهف، الذي باغتهم بحديث لم تستوعبه عقولهم المرهقة ولا قلوبهم المهيضة، كان فرحًا للغاية أن رهفًا استردت كامل وعيها وأن أيًا من أعضائها أو حواسها لم يصب بمكروه، أخبرهم أن ما حدث لها أشبه بمعجزة أو تدخل إلهي ليعيدها إلى الحياة من جديد، كان يرى أنهم لا بد أن يكونوا فرحين ومهللين وشاكرين إلى ما آلت إليه الأمور، ثم استطرد أن الطاقم الطبي الذي فحصها كان مأسورًا خلف أسوار من الشك والريبة إن كانت ستستيقظ من غيبوبتها أم لا، ولو حدث واستعادت وعيها فأي إعاقة ستصاب بها؟ هل هي إعاقة ذهنية أم عضوية أم أي علة أخرى كانت ستصيب جسدها، فقدان الذاكرة ليس أسوأ الفروض في حالتها، هو شر تمنيناه جميعًا في لحظة ضعف ما اجتاحتنا أو خيبة أمل أصابتنا، أنا لا أعلم ما المشكلة حتى لو لم تتذكر شيئًا، بالتأكيد

سنبذل أقصى جهدنا، لكن حتى لو لم نتمكن من إحداث تقدم في حالة ذاكرتها، لماذا يهمكم الماضي إلى هذا الحد؟ مع أنكم لا تملكون من أمره شيئًا، لا ترهقوها بتذكر الماضي ولكن ساعدوها وساندوها لتصنع مستقبلاً مشرقًا، وليكن لكل منكم إضافة عطرة ومثمرة في حاضرها ومستقبلها، ألم يغضبها أحد منكم يومًا ألم يظلمها، يجرحها، يحزنها، فلتعتبروها فرصة سانحة لتصلحوا ما أفسدتموه في علاقتكم بها طوال السنين الخالية، لم تستسغ ليلى أيًا من كلمات هذا الطبيب، اعتبرته طبيبًا فاشلاً يتنصل من تحمل مسئولية علاج ابنتها، ويتقمص شخصية أحد مدربي التنمية البشرية الماهرين في بيع الأوهام لمريدينهم، هي لا تريد وعظًا ولا حكمة، طمعها في أن تسترد ابنتها عافيتها كاملة لا يسكن، أما إبراهيم وسيف ونور اعتبروه شخصًا باردًا اعتاد أن ينقل للأسر مر الأخبار عن ذويهم دون أن تدمع له عين أو يهتز له رمش، معتوه هو لو ظن أنهم سيتركون رهفًا هكذا تحيا بلا ذاكرة، تحيا بين أقرب الأقربين لها غريبة مشتتة ضائعة..

فكرة حامت في رأس سيف أثناء استماعه لحديث الطبيب فقرر أن يسأله عن جدواها، فتنحنح سائلاً: كنت عايز أسألك عن حاجة، هو احنا لو دخلنا على الإيميل بتاعها ممكن نلاقي أي تفاصيل عن العملية المشؤومة دي، أقصد هل عادة المستشفيات

بتبعت رسالة على الإيميل عن حالة المريض وتفاصيل علاجه ولا ايه؟ أخذ الطبيب نفسًا عميقًا من صدره، ثم خلع نظارته الطبية عن وجهه وقام بتلميع زجاجها بمنديل قطني أخرجه من جيب أفرولـه الأيسر، ثم قال بتهكم: ممكن يساعدنا بس ده احتمال ضعيف جدًا، على حد علمي أن المستشفيات في مصر مبتبعتش إيميلات للمرضى لمتابعة حالاتهم أو شرح تفاصيل العلاج اللي لازم ياخدوه، الكلام ده في الدول المتطورة مش في دولة من دول العالم الثالث يا صديقي، فقاطعه سيف قائلاً: بس رهف مكنتش عايشة في مصر كانت في أمريكا وسافرت بلاد تانية كمان خلال الفترة دي، أشعل الطبيب غليونه بكل هدوء: خلاص يبقوا حاولوا تدخلوا على الإيميل بتاعها ممكن يوصلنا لأي خيط عن الجراحة دي، ومن نحيتنا هنبتدي العلاج من بكرة، بخطوات متثاقلة غادروا غرفة الطبيب الذي سبى كل أحلامهم ووأد فرحة ما لبثت أن تستقبلها أفئدتهم، استقلوا سيارة أجرة لتعيدهم إلى الفندق، وقد خيم الشرود على أذهانهم جميعًا وبزغ سؤال واحد في بوتقة أفكارهم: ماذا لو لم تتذكر رهف شيئًا؟

حينما وصلوا إلى الفندق ساعد سيف ليلى على الوصول إلى غرفتها، ثم دلف إلى مكتب الاستقبال وطلب منهم أن يحضروا وجبات عشاء لهم ويرسلوها إلى الغرف في أسرع وقت؛ فهم مرهقون

للغاية وقد يغالبهم النعاس سريعًا ومعداتهم خالية سوى من الماء، ثم عاد إلى غرفته وتوجه إلى الحمام ملأ حوض الاستحمام بالماء الدافئ، وأغلق أنوار الحمام بالكامل ثم غاص بكامل جسده ووجهه فيه لدقائق قبل أن يخرج رأسه ويترك جسده يسترخي في الماء، ليته يستطيع أن يخرج عقله ويضعه بجواره في الماء؛ لعله يمنحه سكونًا وهدوءًا ولو للحظات قليلة، كيف سيفتح بريد رهف الإلكتروني دون أن يعرف كلمة السر؟ يحتاج إلى شخص ما ممن يبرعون في القرصنة، بيد أنه لا يعلم فحوى الرسائل التي قد يحويها ولا خصوصيتها أو سريتها، عليه أن يجد شخصًا من معارفه يثق فيه لأداء هذه المهمة، لكن من يكون؟

حرم النعاس عين ليلى من أن تنال لحظة راحة، رغم أنها كانت تتوسل إليه أن يحررها ولو قليلاً من تخمة الأفكار السوداوية التي غزت رأسها، تجاوزت الساعة التاسعة ولم تظهر الشمس بعد في سماء لندن الملبدة بالغيوم، وكأنها قادرة على احتمال جرعة جديدة من الكآبة التي تنتشر في أوصالها حينما تترفع الشمس يومًا وتستتر خلف الغيوم، تكره أن تمر بجوار مطعم الفندق في الصباح فرائحة كعك المافن عندما تملأ أنفها تذكرها بحب رهف الشديد لها ومحاولاتها المستميتة لإعدادها لها في المنزل، رغم كل المرات التي فشلت فيها، من المؤكد أنها كانت ستفضل تناوله

كثيرًا؛ فرائحته شهية لدرجة تجعلك تحسم رأيك عن جودة مذاقه قبل أن تتناول ولو قضمة صغيرة منه، تناولت وجبة العشاء التي أرسلها سيف ليلة أمس بلا أدنى شهية؛ فقد أرغمت نفسها على أكلها حتى تستطع أن تقوم بمهام ومشقات اليوم التالي، حتى إنها كادت تتقيأ أكثر من مرة لرفض معدتها الطعام ورائحته، فكيف تشتهي طعامًا والروح في دوامة حزن معتقلة، لكن لا بد أن تتحامل على نفسها وألا تهمل صحتها؛ فمن يعتني بها الآن وكيف وأين، لأجل رهف لا بد أن تتماسك رغم تهشم قلبها وروحها إلى فتات، كم مرة تذكرت كلام الطبيب، كل حرف قاله تريد أن تقتنع به تريد أن تتقبله وترضى به، ولكن دون جدوى، ماذا لو استيقظت رهف من الغيبوبة وقد شل نصف جسدها أو كله؟ ماذا لو فقدت قدرتها علي الكلام أو السمع؟ كلها افتراضات التفكير فيها مرعب بالنسبة لها، لكنها لم تكن تعرف لماذا يجب أن تتخيل هذه الافتراضات أو تتوقع وقوعها، وقد كانت ابنتها سليمة معافاة أمام عينيها، كيف لها أن تفكر في أمور كهذه أو تخشى من حدوثها، وهي لا تعي شيئا عن حالة ابنتها، في كابوس طويل تعيش، وكم تتمنى لو كان كل ما يحدث الآن مجرد أضغاث أحلام ستستيقظ من نومها لتجد ابنتها بخير وفي كامل الصحة والعافية، على أحر من الجمر كانت تقف أمام باب المشفى تنتظر أن يشير عقرب ساعة يدها إلى العاشرة صباحًا، إذ لا يسمح لأحد بزيارة

المرضى قبل هذا الموعد، في ثنايا فؤادها ولد حلم جديد، فقد كانت تأمل أن رهفًا ستتذكر الآن وتعتذر على ما بدر منها أمس، ربما تختلف الأمور عندما يصاب شخص بغيوبة لفترة عنها لو فقد وعيه للحظات، ربما كان عقلها لم يستعد كفاءته بعد، ستقفز من سريرها عندما تراها اليوم لتضمها وتشبع وجنتيها قُبلاً، ثم تفحصت ساعة يدها مجددًا، ما زال لديها بعض الوقت الذي يكفي لأن تذهب لشراء بعض الكعك والمافن والدونتس وصندوق من الشوكولاتة البيضاء لرهف، من المؤكد أنها تحتاج لتغذية مضاعفة حتى تعوض تلك الفترة التي ما دخل جوفها فيها لقمة سوى المحاليل الطبية التي لا تسمن ولا تغني من جوع، اشترت ليلى الكثير من الأغراض من المتجر؛ فلم تستطع أن تمنع نفسها من شراء كل ما تحبه ابنتها، رقائق البطاطس، مشروب القهوة والشوكولاته المثلجة، الحلوى المخملية وغيرها، كانت تتعامل مع الموقف وكأن رهفًا عادت للتو من سفرها، وليس كمريضة بعثت فيها الحياة من جديد بمعجزة إلهية، حملت كل هذه الأغراض بين يديها وتوجهت نحو المشفى، كان الحمل ثقيلاً جدًّا عليها، حتى إن اتزانها كان يختل أحيانًا فيميل جسدها يمينًا أو يسارًا، لمحها سيف تترنح عندما كان بصحبة نور وإبراهيم يهمون بدخول المشفى كانت تبعد عن الباب حوالي ١٠٠ متر، فهرول نحوها ثم حمل الأغراض عنها، بعينين ملأها بالأسى والحسرة على حالها، سألها: حضرتك جايبة كل الحاجات دي لمين يا طنط.

نظرت إليه وقد اعتلت علامات الدهشة جبينها ثم قالت: وأنا من امتى بشتري حاجة غير لرهف؟ هربت الدموع من مقلتيه رغم عنه؛ فسالت بغزارة حتى بللت قميصه لكنه سرعان ما تمالك نفسه وجفف عبراته ثم ربت على كتفها وقال: أنا آسف يا طنط بس أنا منمتش كويس امبارح فا مش مركز خالص، تنحنحت ليلى لتجلي صوتها ثم قالت: متعتذرش يا سيف أنا اللي مدينة ليكم كلكم بألف اعتذار، قلبتلكم حياتكم وضيعتلكم وقتكم ده غير شغلكم اللي سبتوه عشانا والسفر للندن بتذكرة ذهاب بس مش محدد لها عودة، وإنتي كمان يا نور مش باقي على فرحك غير كام أسبوع مينفعش تفضلي هنا أكتر من كده، تلاقى مصطفى فكر أنه مش فارق معاكي لا هو ولا جوازكوا، أنا مش عارفة إمتى ممكن أرجع مصر بعد يوم ولا بعد سنة، ربنا وحده اللي يعلم، إنتوا مش متخيلين أد إيه انتوا هونتوا عليا المصيبة دي، إنتي بالذات يا نور مش متخيلة وجودك عمل فيا إيه، كنت زي البلسم اللي خفف وجع قلبي، أعتقد إنكم لو مكنتوش جمبي كنت في نفس الدقيقة اللي شفت رهف فيها كده هموت، بس مينفعش تفضلوا هنا أكتر من كده، خد نور وارجع إسكندرية يا إبراهيم واعمل ترتيبات الفرح، مين يعلم مش ممكن نحضره أنا ورهف معاكوا إن شاء الله، وعندما همت نور بالاعتراض وضعت ليلى كفها على فمها حتى لا تتكلم، وبعينيها الذابلتين ترجت إبراهيم أن يفعل، ثم

أردفت: ممكن ترجع بعد الفرح يا إبراهيم، أكيد هتبسط جدًا، وإنت يا سيف لازم ترجع معاهم، الإجازة مش هينفع تتمد أكتر من كده، وميرضنيش إنك تتفصل لا قدر الله، كفاية إنك غيرتلي قناعتي إن مبقاش فيه شباب اليومين دول بجدعنتك وتحملك للمسئولية، ربنا يرحم والدتك ويجازيها خير على حسن تربيتك، شكرًا ليكم وأنا هفضل ممتنة ليكم طول عمري.

بنبرة عصبية لم يستطع أن يمنعها صاح سيف: أنا مش هسافر يا طنط واسيبك إنتي ورهف هنا، وحتى الشغل لو راح يروح في ستين داهية هقدر ألاقي شغل تاني، معنديش حاجة أهم من رهف، أنا بحبها من ساعة ما أقابلتها، وعمري ما بطلت أحبها، بس اللي كان مانعني إني أتكلم معها إنها مرات رجل تاني، مش هأقدر أفارقها تاني ولو حتى فراق مؤقت، والله ماهأقدر ثم جثى على ركبتيه ودخل في نوبة بكاء شديدة حتى جاء أحد أفراد أمن المشفى وطلب منهم أن يدخلوا أو يرحلوا، فلا يمكن أن يقفوا أمام الباب هكذا، بحسم وإصرار شديدين قال إبراهيم: أنا هسافر أنا ونور يا ليلى لكن سيف هيفضل معاكوا ، كفاية كلام بقى، لو رهف لسه موحشتكوش هي وحشتني جدًا.

طلبت ليلى من سيف أن يدخل هو أولاً إلى غرفة رهف طالما أنها شعرت بالأنس والسكينة بجواره أمس ربما حسن ذلك من

استقبالها لها، كانت رهف تجلس على أريكة زرقاء مجاورة لتلفاز صغير وضع على طاولة دائرية بيضاء اللون، يبدو من هيئتها أنها قد أخذت حمامًا ساخنًا للتو، وكانت الممرضة تمسك مشطًا عاجيًّا بين يديها وتقوم بتمشيط شعرها، كان شعرها مبعثرًا في قصته، هو بكل تأكيد لم يره من قبل، لكن طريقة قصه بدت مريبة، تلك الطريقة العشوائية في القص كانت تنذر بأنها أجريت لأجل تلك الجراحة الشؤم التي يتحدثون عنها، ابتسم لها فابتسمت له ابتسامة خجولة صغيرة، ثم استأذن من الممرضة أن يقوم هو بتمشيط شعرها، ثم غمز إلى رهف بعينه اليسرى وقال: تسمحيلي أسرحلك شعرك؟ فأومأت برأسها موافقة، وضع المشط بين خصلات شعرها وبدأ يمشط برفق شديد، يمشط مرة ثم يطبطب على رأسها مرة أخرى، فإذا بها تسأله: هو انت مين بالنسبة لي، وأنا مين؟ أنا مش فاكرة حاجة خالص، ارتبك سيف من ذلك السؤال السلس كثيرًا ظاهريًّا والمعقد كثيرًا باطنيًّا، حتى إن سيلاً من العرق ملأ جبينه، كيف تقول سؤالاً بهذا التعقيد بتلك البساطة والعفوية، طريقتك المرحة لم تتغير مطلقًا يا رهف رغم مرور السنين، ورغم كل الأزمات الحالكة التي انقضت عليكِ، واغتصبت ذلك القلب الخجول، أخذ نفسًا عميقًا ثم قال: أنا مين يا ستي، أنا سيف واحنا صحاب من زمان، فقاطعته قائلة: وأنا اسمي رهف، دي حاجة كل الناس مجمعة

عليها، غصة شديدة أصابت فؤاده عندما خرجت هذه الكلمات من ثغرها، ولكنه تجاهل ذلك الألم وقال: مش مهم اسمك إيه وإذا كنتي فاكرة حاجة ولا لا أنا بأكدلك إنك لسه زي ما انتي، الروح الحلوة الشقية لسه مليا كي.

طيب هو ازاي فقدت الذاكرة تعرف؟

لا أحد يعلم بعد، كيف حدث ذلك، لكنه لا بد أن يجد إجابة ما يخبرها بها، لو أخبرها أنها خضعت لجراحة في المخ، ربما توترت أو فزعت ووضعها الصحي لن يتحمل أي ضغط عصبي جديد، فالكل يعرف أن المخ هو المتحكم في معظم وظائف الجسم، فماذا لو أخبرها أنه قد أصيب بعلة أو مرض ما، ماذا يقول إذن؟ بعد دقائق من التفكير السريع آثر أن يختار الإجابة التقليدية فقال: حصلك حادثة فقدتي بعدها الذاكرة، بس متقلقيش مكنتش حادثة خطيرة، عشان كده أنا متفائل إنها هترجعلك على طول، حتى الدكتور أكد لنا كده امبارح مع إن بيني وبين نفسي مترجعش عشان أقدر أشتغلك براحتي، فأومأت برأسها متفهمة كلامه، ثم باغتته بسؤال شوش تفكيره للحظات إذ قالت: هو احنا صحاب ولا متجوزين والدكتور قالك متقولش دلوقتي؟

كم تمنى لو كان بإمكانه أن يختار الخيار الثاني، أن يقول لها أنا زوجك وصديقك وحبيبك، إنها أصدق لحظة تمنى فيها

أن تكون زوجته، أن يمسك بيديها ويضمها إلى صدره ويوشوشها قائلاً: نعم أنا زوجك يا حبيبتي لعلمه أنها لم تحتاجه يومًا مثل حاجتها له الآن، لكن هل يمكن أن يضرها كذبه؟ أيهما أفضل لها أن يكون صديقًا أم زوجًا؟ لا يعلم.

حاولت ليلى أن تمنع نفسها من الدخول عند رهف حتى يخرج سيف أولاً، لكنها عجزت عن كبح جماح قلقها الهائج على ابنتها وشوقها المترقب لرؤياها، فنظرت إلى إبراهيم ونور ثم قالت فلندخل معًا، أشعر أن سيفًا أطال في جلسته معها، كانت جميع الممرضات منهمكات في أداء أعمالهن فلم تلتفت أي منهن لكيس المشتريات التي حملته معها، كان سيف يودع رهفًا وقد هم بالانصراف عندما فتحت ليلى باب الغرفة، لاحت سحابة من الارتباك والخوف على وجه رهف عندما رأت ثلاثة من الغرباء يدنون منها ويمطرونها بكلمات عن شوقهم لها وسعادتهم بتعافيها، سريعًا نقلت رهف عينيها من تفحصهم إلى سيف وقد ترجته في صمت أن يبقى معها، ولما خشيت أن يختلط عليه الأمر أمسكت بكف يده، كانت إشارة صريحة له منها ألا يفارقها الآن، كيف تتشبث كف يدها بكف غريب فتشعر بالطمأنينة؟ وكيف تحتمي في حضنه فيدثرها بأمان لا ينضب، لماذا تشعر أنه أقرب الغرباء إلى قلبها؟ لماذا تستأنس روحها بغريب وتستوحش آخرين وكلهم

لا تتذكرهم؟ ما عساها تكون شكل العلاقة التي جمعتها به يومًا حتى إن فؤادها أرسل إشارات لذاكراتها العليلة يتوسل إليها أن تحاول أن تتذكر أي شيء عنه، ثمة حنان يفوح من كلماته، وثمة حب يتطاير مع لمساته، ربما سأنصبك أقرب الغرباء من الآن فصاعدًا، مشاعرها تجاه نور وإبراهيم كانت مجردة، فلم يزعجها حضورهم، ولم ترغب في بقائهم بالقرب منها أيضًا، أما ليلى فقد كانت تتخبط كمن أصابه مس شيطاني عندما سألتها رهف للمرة الثانية من أنتِ؟ كيف يمكن لأم أن تجيب ابنتها عن سؤال كهذا؟ وهل من الممكن أن تُسأل أم من ابنتها سؤالاً أقسى من ذلك، حاولت أن تتجاهل أنين الغصة التي جرحت حنجرتها لتجيبها باقتضاب وبتفهم قذف الله بهما في قلبها المكلوم، أنا أمك أدعى ليلى، تلال المرارة والوجع التي بزغت في عينيها عقب اجابتها عليها زلزلت أوصال رهف؛ فحاولت أن تخفف من وطأة الموقف، هي لم تتعرف عليها لم تشعر بأي مشاعر تجاهها، بل على العكس بدت لها كلمة أمك غريبة للغاية، اعتقدت أنها والدة سيف كيف تلفظ ذاكرتنا أمهاتنا بهذا الجحود وكأننا لسنا قطعًا من أرواحهن؟ كيف تنسى أمها مثلما نست باقي الأشخاص؟ وهل عقولنا حمقاء إلى هذا الحد؟ إنها حتى لو أصابها ألف عطب وعلة فكيف تفقد قدرتها على تمييز والدتنا؟ زفرت رهف سريعًا ثم قالت مداعبة ليلى: سوري أنا عارفة إن الأولاد عادة مش

بيسألوا أهلهم أسئلة سخيفة زي دي، ثم أردفت وهي تحاول أن تتقمص دور طفلة تدعي المرض بس أنا تعبانة، ثم مثلت سعالاً اصطناعيًا ثلاث مرات متتالية، أضحكتهم رغمًا عن كل الوجع المتفشي في عروقهم، صدق حدس سيف، رهف لم ولن تتغير ما زالت تحترم مشاعر المحيطين بها وترفض أن ترى لمحة حزن في أعينهم، حتى لو كانوا بالنسبة لها مجرد غرباء.

ترك سيف ليلى في استراحة المشفى وذهب ليحضر كوبين من القهوة من مقهى مجاور للمشفى، كانت أذهانهما ناعسة ومنهكة للغاية تتوق لتناول جرعة من الكافيين، لعلها تستعيد بعضًا من نشاطها المحتضر، فالمهمة التي هما بصدد إجرائها اليوم صعبة للغاية؛ فقد أجرى اتصالاً هاتفيًا منذ عدة ساعات مع صديق له يعمل مهندس في إحدى أشهر شركات البرمجيات في لندن، وقد شرح له كل شيء عن وضع رهف وعن حاجتهما القصوى لاختراق بريدها الإلكتروني؛ لعله يخبئ بين رسائله أي إجابة عن تلك الجراحة المحيرة، لكن صديقه كان مشغولاً ولن يتمكن من مقابلته إلا في المساء؛ سينهي عمله ثم يمر عليه في المقهى المجاور للمشفى، لكنه لفت انتباهه لأمرين لم يوليهما سيف أي اهتمام، ربما لم يخطرا بباله من الأساس، أن يفحص جوالها ربما وجد عليه ضالته، صورة لشخص ما أو صورة من إيصال نقدي لمشفى،

رقم هاتف... إلخ، أكد عليه أنه لا بد أن يفحص جوالها في الحال، وثانيهما لم تكن ترتبط بعالم الاتصالات، بل بعالم المنطق، وسلوك أقصر الطرق للوصول لحقيقة هذه الجراحة؛ إذ أخبره أنه ينبغي أن يتحدث مع زوجها السابق، من يدري أي إجابات قد يحمل بين جعبته، لم يخطر بباله يومًا أن تجبره الظروف أن يتحدث مع ذاك اللؤي، قديمًا كان غريمه، لكنه الآن صار مجرمًا تسبب في تدهور وضع رهف الصحي؛ فكيف يتسنى له أن يهاتفه؟ هي مهمة شاقة تفوق قدرته على الثبات والتحكم في انفعالاته، لن يفعل، سيطلب من إبراهيم أن يتحدث معه قبل أن يسافر، سيفاتحه في الأمر في طريقهم إلى المطار ليلاً، والآن سيبدأ بفحص هاتفها.

سأل ليلى إن كانت أحضرت هاتف رهف معها أم أنها تركته في الإسكندرية، وقلبه وروحه كانتا تتمنيان أن تكون قد أحضرته معها، متشبث هو بكافة الخيوط التي قد توصله لمساعدة رهف في تعافيها واسترداد ذاكرتها، فأخبرته أنها لم تبدل حقيبة يدها منذ ذلك اليوم الذي سقطت فيه رهف مغشية عليها، وأنها لا تعلم ما الأمر الذي دفعها لأخذه معها قبل مغادرة المنزل آنذاك، أخرجت الهاتف من حقيبتها سريعًا، كانت بطاريته فارغة من الشحن تمامًا وبكل تأكيد لم تحمل الشاحن الكهربائي للهاتف معها، كان هاتفها نفس ماركة هاتف سيف؛ فقرر أن يترك ليلى في

المشفى ويذهب إلى الفندق ليحضر الشاحن ثم يعود إليها سريعًا، ولكن كيف يتركها؛ فما زال الحزن والألم يلوحان على محياها، وكأنها كانت تقرأ أفكاره في تلك اللحظة؛ إذ باغتته قائلة: روح إنت الأوتيل يا سيف هات الشاحن وتعالى، مش عايزين نضيع وقت، كده ممكن نضر رهف، ومتقلقش عليا أنا بقيت كويسة الحمد لله، عن أي خير تتحدث؛ فحمدها لله الآن ليس سوى خنوع لقدره؛ فمن سواه نحمده على مكروه يصيبنا، فاستجاب لطلبها وغادر متوجهًا إلى الفندق الذي كان قريبًا من المشفى فآثر سيف أن يسير على قدميه؛ فذلك سيكون أسرع بكثير من ركوب أحد سيارات الأجرة في وقت الظهيرة؛ إذ كانت كل شوارع لندن مكتظة بالمركبات، كانت الثلوج الصغيرة تتساقط بغزارة حتى كست كل شوارع وأشجار لندن باللون الأبيض، لم يمكن يحمل مظلة لذلك وجد صعوبة كبيرة في السير في ذلك الطقس السيئ وفي الحقيقة كان يريد أن يركض وليس أن يمشي، فؤاده كان يمد جسده بقوة تدفعه للجري بأقصى سرعة، لكن المناخ في تلك الأثناء عانده وأجبره على الانصياع له، لم يكن يرتدي سوى قميص فقد نسي معطفه حينما خرج سريعًا من المشفى، فكانت كل قطعة في جسده ترتعش وقد صار لون بشرته باهتًا للغاية وشفتاه زرقاوتين، بعد ٢٠ دقيقة وصل إلى الفندق؛ حيث دلف إلى غرفته في عجالة، كانت ملابسه مبتلة ولم تفارق الرعشة جسده بعد، لكنه فقد

الإحساس بكل شيء سوى حبه لها ولهفته على أن تطيب من كل علة أو مرض أصابها سريعًا، وضع الهاتف في الشاحن، وانتظر لعدة دقائق حتى يفتح، رهف لم تضع يومًا كلمة مرور لهاتفها، ولم تكن تعي الحكمة من وضع الناس بصمات يد أو عين أو كلمات مرور معقدة لهواتفهم، كانت دومًا تسمعه ما عساه تكون تلك المعلومات التي يحويها الجوال والتي تتطلب ذلك الكم من السرية؟ هل يعملون لصالح الموساد أو ما شابه، كما أنها كانت تفكر دومًا، ماذا لو أصيب أحدهم بمكروه ما وكان الأشخاص المحيطين به في أمس الحاجة لاستخدام هاتفه لنجدته، بنفاذ صبر وقف سيف ممسكًا بالهاتف ينتظر حتى يفتح، ولما طالت فترة الانتظار لم يستطع أن يبقى واقفًا في مكانه، بل ظل يجول في صالة الغرفة ذهابًا وإيابًا حتى أنقذه صوت الهاتف وهو يصيح معلنًا بأنه سيريحه من حيرته وتشتته، وحينما هم بتفحص قائمة الأسماء في الهاتف لم يجد سوى ٥ أرقام كان يعرف ٤ منها، وكان بدهيًا أن يجدها أيضًا، أما الرقم الخامس سجل بلا اسم برمز «@» فقط كان رقمًا دوليًا، لكنه لم يعرف مفتاح هذه الدولة، أدخل الرقم سريعًا على محرك جوجل للبحث فأدرك أنه رقم لهاتف في اليابان، تذكر أن صديقه أخبره أن يلقي نظرة على الصور الموجودة في جوالها؛ لعلها تحمل تفسيرًا أو معلومة لكنه استحى أن يتفحص صورها، ماذا لو كانت تحتفظ ببعض صور

خاصة بدون حجاب، لن يفتحها عندما يعود للمشفى سيطلب من ليلى أن تفعل، قطع رنين هاتفه حالة التركيز التي سيطرت عليه كليًّا، كان إبراهيم هو المتصل؛ إذ أخبره أن موعد الطائرة قد تقدم ٣ ساعات ولا بد أن يذهبوا إلى المطار في الحال، أخبره باقتضاب عن أمر هاتف رهف وأنه سينتظره حتى ينتهي هو نور من إعداد حقائبهم وأمتعتهم، أحضر شاحن الهاتف والجوال ثم نزل إلى رواق الفندق وجلس ينتظرهم في أحد أركانه، هاتف ليلى أخبرها بالمستجدات التي طرأت في موعد سفر إبراهيم ونور؛ فأخبرته أن إبراهيم قد سبقه وأبلغها، سألته بصوت قلق متلهف: ها لقيت حاجة على تليفون رهف؟

فأجابها: لقيت رقم تليفون في اليابان متسجل من غير اسم وحاولت أتصل بيه أكتر من مرة بس محدش رد.

ظل سيف شاردًا طوال طريقهم إلى مطار هيثرو، يحتاج لمن يصلح بين الأفكار المتصارعة في عقله، لكن إبراهيم ونور أيضًا كانا شاردين؛ فلم ينتبه أي منهم لحالة الآخر، كل كان غارقًا في ملكوته، وعندما هم بتوديعهم عند صالة المسافرين تذكر نصيحة صديقه أن يحاول أحد أقاربها الحديث مع لؤي، بصوت ضعيف خفيض قال: كنت عايز أقول لحضرتك حاجة يا عمو تفتكر لو حد فينا كلم لؤي وسأله عن حالة رهف ممكن رده يساعدنا

في حاجة، فأجاب: لا مش هينفع يا سيف، فادعى سيف ثباتًا انفعاليًا مصطنعًا ثم تنحنح وقال: احنا هنحاول نتغاضى عن المشاكل اللي حصلت بينهم محتاجين نعرف لو تعرضت لأي تعب وهما متجوزين ولا، خفض إبراهيم بصره ثم قال: لؤي مات يا سيف، فشهق سيف ونور معًا وأصبحت عيناهما تحدق في إبراهيم ثم قالت نور: ازاي عرفت يا بابا؟ وازاي مات؟ فأجابها :فكرت بالظبط زي ما سيف فكر دلوقتي قبل ما نيجي لندن ولما كلمت رقمه الأمريكي لقيته مقفول، كلمت رقمه المصري في حد رد عليا وقالي إنه مات من مدة، زم سيف شفته السفلي ثم قال: أستغفر الله العظيم، أصل احنا ناقصين ألغاز.

عندما تفحصت ليلى الصور الموجودة على جوال رهف، رفعت حاجبيها من الاستغراب ولم تنبس ببنت شفة، وقد هربت كل الدماء من وجهها، بلسان يتلعثم سألها سيف: في إيه يا طنط لقيتي إيه؟ لم ترد عليه، وبدون أن تلتفت إليه وضعت الهاتف في حجره، فإذا به يضرب جبينه بكف يده اليمنى بعدما نظر إليه، هي سايبة صورنا أنا وانتى ونور وعمو إبراهيم بس، وليه كاتبة تحت كل صورة أسماءنا وصلتنا بيها، ممكن أقدر إفهم ليه سابت صوركم انتوا عيلتها وأقرب ناس ليها، لكن أنا حطت صورتي ليه؟ هي كانت لسه بتفتكرني يا طنط؟ كان نفسها

تشوفني وتقابلني تاني، آه رأسي هتنفجر من كتر المفاجآت دي، لم تعر ليلى كلمات سيف أو أسئلته في تلك اللحظة أي اهتمام؛ فقد كانت هناك فكرة واحدة تحوم في بوتقة أفكارها، فقدان رهف للذاكرة لم يكن من قبيل الصدفة، بل كان فقدانًا مع سبق الإصرار والترصد بكامل إرادتها وترتيبها المسبق له، الطريقة التي احتفظت بها رهف بالصور لا تعني سوى أمر واحد، أنها كانت تعد نفسها للحظة التي ستستيقظ فيها بلا ذاكرة، استمع سيف إلى تفسيرها للموقف بإمعان شديد؛ فسرعان ما اقتنع بكل كلمة قالتها، لكن فؤاده كان أرحم بها من أن يعلن لها أنه يؤيد تحليلها للموقف، فتتحول الشكوك والفرضيات بداخلها إلى حقائق مسلم بها، لكن عقله خذله ولم يسعفه بإمداده بفرضية أخرى تطفئ لهيب الشك والحيرة اللذين اشتعلا في صدرها، كلاهما كان أصم عندما باح إليه الآخر بظنونه وشكوكه، فثمة أوقات نتمنى فيها أن نفقد قدرتنا على السمع، ولو سمعنا رغمًا عنا تمنينا ألا تستوعب أذهاننا أي من الكلمات التي التقطتها آذاننا، وتلك كانت حالة سيف وليلى في تلك الأثناء، كلاهما كانا في حالة نكران تامة من هول الموقف، ذهبت ليلى إلى غرفة الطبيب، ثم أخذت تدق الباب بكلتا يديها وكلما حاول سيف أن يمسك بها لينحيها جانبًا، أو أن يحاول تهدئتها ترفض ثم تعود لتدق بابه من جديد، سمعت السكرتيرة الخاصة به صوت ضوضاء ونواح خارج مكتبها، لكنها

لم تستوعب أيًّا مما قيل؛ فخرجت وأخبرتهم أن الطبيب خرج ليتناول العشاء ويستريح قليلاً ولن يعود قبل ساعتين، طلبت منها ليلى أن تعطيها رقم هاتفه لكنها أبت، وأخبرتها أنها لا تعرفه، كيف تمالكت نفسها في ذلك الوقت، إذ كان الغضب سيدها وصاحب قرارها، أرادت أن تضربها ضربًا موجعًا لعلها تشعر ببعض من الألم الذي يكوي أفئدة أهل المرضى على ذويهم عندما يتعمدوا إخفاء رقم هاتف الطبيب عنهم، أو يدعون أنه ليس هنا وهم في وحل القلق عالقون وغارقون، ووحده سرابه يلوح لهم من بعيد، أن الأمان والشفاء لن يتحققا إلا عندما يصلوا إلى شاطئه، ماذا أرادت أن تخبره؟ وماذا انتظرت أن تسمع منه؟ هل آمنت أن ما استنتجته شافٍ لعلة ابنتها لهذا الحد الذي يجعل حفيف رياح غضبها يدوي في كل ركن من أركان المشفى عندما علمت برحيل الطبيب؟ هو من أخبرها لو توصلت لشيء أن تتوجه إليه فورًا، كلمة يقولها كل الأطباء لكنها لا تعني أبدًا أنهم متاحون طول الوقت أو أنهم ينتظرون حقًّا.

عند منتصف الليل وفي المقهى الصغير المجاور للمشفى كان سيف يجلس على طاولة صغيرة وقد بلغ منه الإرهاق مبلغه، حتى صارت عيناه حمراوتين للغاية وحفرت الهالات السوداء طريقًا تحت عينيه، كان المكان خاليًا سوى من ثلاثة زبائن،

وقد تعمد نادل المقهى تخفيف الإضاءة جزءًا من روتين يومي يتبعونه ليخبروا الرواد أن موعد الإغلاق أصبح وشيكًا، احتسى سيف كوبه السادس من القهوة لليوم، وأخذ يتفحص ساعة يده كل دقيقة؛ فقد وعده صديقه أن يأتي في الحادية عشرة ونصف مساء لكنه لم يصل بعده، كان سيف يخشى أن تضعف مقاومته أمام النوم أكثر من ذلك فيغلبه النعاس قبل وصول صديقه، حتى القهوة بطل مفعولها أمام شدة تعب جسده وروحه، وأخيرًا لاح له من بعيد خيال صديقه يعبر الطريق في اتجاهه إليه، فهرول من مقعده وتوجه إليه لا يدري لماذا ذهب ليقابله خارجًا ربما أراد أن يكسر دائرة الانتظار التي سجن فيها منذ ما يقارب على ساعة عاش طوال عمره كافرًا بالصبر ولم يؤمن به سوى عندما عرف أنه لا مفر للجوء إليه لمساعدة حبيبته وعلاجها، عندما وصل إلى صديقه حياه تحية فاترة؛ فلم يكن في مزاج يسمح بأن يقول أي مجاملات أو يستعيد أي من الذكريات التي جمعتهما سويًّا، شكره فقط على قدومه وإذا به يمسك بيديه ليسرع في مشيته، كان يتمنى أن يطلب منه أن يجريا صوب المقهى، لكنه لو فعل ذلك لبدا مجنونًا أو مغيب العقل، فهل ستفرق ٥ أو ١٠ دقائق من الأمر في شيء، عندما وصلا لم يسأل صديقه أي نوع قهوة يفضل، بل أحضر له كوبًا من الإسبريسو ووضعه أمامه، وعلى الفور أخرج صديقه حاسوبه المحمول من حقيبة كان يحملها على ظهره،

ثم أخرج نظارة طبية من جيب بنطلونه الأمامي، كانت عدسات النظارة مقعرة مما يعني أن نظره قد ضعف كثيرًا عن آخر عهده به، لم يكن اختراق بريد رهف الإلكتروني بالأمر الصعب؛ إذ إنها قد اختارت كلمة مرور في غاية البساطة مما سهل عليه مهمته كثيرًا، كان البريد الإلكتروني بها متخمًا بالرسائل، ويحتاج لساعات طويلة حتى ينتهي من فحصه، أيًّا ما كانت مشقة هذه المهمة سينحني سيف أمامها وينجزها سريعًا، أول رسالة وجدوها كانت من شخص يبدو طبيبًا؛ فقد سبق اسمه تلك الحروف المختصرة لكلمة طبيب باللغة الإنجليزية، وقد كتب في آخر رسالة منه إليها أنه يريد أن تطمئنه عليها هل سافرت إلى اليابان؟ هل خضعت للجراحة؟ أم أنها تراجعت في اللحظة الأخيرة، ولو أجرتها هل نجحت؟ هل صحتها بخير؟ كتب سيف البريد الإلكتروني الخاص بهذا الشخص في محرك البحث الخاص ببريدها الإلكتروني حتى يتسنى له قراءة كافة الرسائل بينهما، كانت أول رسالة منه رسالة شكر على ثقتها في مركز الدكتور «منير حسنين» للطب النفسي، ويؤكد على سرية الجلسات والمعلومات المتداولة بينهما، ثم ينصحها بزيارته ٣ مرات أسبوعيًّا لأن حالتها النفسية تحتاج لعناية كبيرة، أما الرسالة الثانية كانت رسالة رفض وترهيب؛ ففي ثناياها تحذير صريح من الإقدام على هذه الخطوة ويحثها على المضي في تلقي العلاج النفسي، وألا تلهث وراء الأفكار الوهمية

لعالم قد يكون لديه هوس أو خلل ما، مشيرًا إلى أن كل ما كتب في الإعلان غير منطقي ولا يمكن تطبيقه في الواقع، وأن كل معلومة ذكرها لا تستند على أسس علمية، علاوة على أن الشرط الأساسي لاختيارها لإجراء العملية تعسفيًّا لأقصى حد، فلا بد أن توقع أنها ستخضع لهذه الجراحة بكامل إرادتها ورغبتها، وأن الطبيب غير مسئول عن أي فشل أو ضرر قد يصيبها من جراء هذه التجربة، كتب لها ما تقدمين عليه ليس سوى انتحار مبطن بصورة تجربة علمية، أو بالأحرى انتحار غير مباشر، ردت رهف على هذه الرسالة بكلمات مقتضبة؛ إذ قالت: اللّٰه هو من جعل عيني تلتقط هذا الإعلان لأنه أرحم من أن يتركني أموت كل لحظة من فرط وجع المصاب الذي نزل بي، اختارني هذا الإعلان ولم أختره، ثم وجد رسالة أخرى منه يخبرها أنه حادث صديقًا له في طوكيو يعمل في مجال المخ والأعصاب أيضًا، وعندما سأله عن هذا الطبيب أخبره أنه بالعلم مهووس، وأنه ليس يابانيًا بل روسي الجنسية طرد من عدة دول عقب إجرائه تجارب علمية فاشلة أودت بحياة بعض من المرضى، وسببت للباقين أضرارًا أو تشوهات جسيمة لا تعالج، وقد أرفق مع هذه الرسالة صورًا من جرائد ومجلات علمية كتبت فيها مقالات تكشف النقاب عن حقيقة هذا الطبيب وعن جرائم عدة ارتكبها تحت مسمى تجارب علمية، فإذا بها ترد عليه: لا يهم، لن أتراجع عن قراري،

وكانت هذه آخر رسالة منها إليه، دون سيف اسم الطبيب وعنوانه ورقم هاتفه في مفكرة صغيرة كانت بحوزة صديقه، أي شكر قد يقولها له، ساحر طيب هو، سخره الله لهم ليفك طلاسم التعويذة المعقدة واللعنات التي حلت بها وبهم، شكره كثيرًا وحمد الله أكثر، أمسك بين يديه بمفتاح لسبب مرضها بعدما ظن كل الظن أن الخيوط التي قد توصله للحقيقة تقطعت، وأن كل الأبواب التي لاذ بها لمساعدتها صارت مؤصدة، لا بد أن يسافر إلى الإسكندرية في أسرع وقت.

●●●

الفصل الثامن
جحيم الماضي أم جنة النسيان؟

أغرى جمال عيني رهف العسليتين أشعة الشمس لتقترب منها وتغنجها قليلاً وظلت الشمس تداعبها للحظات طوال، إذ كانت تدنو منها تارة فتغلق أحد عينيها ثم تبتعد تارة فتفتحها مجددًا، إنه أول يوم يسمح لها الطبيب بالخروج إلى حديقة المشفى، فقد بدأت البرنامج العلاجي منذ أمس وتتضمن خطة العلاج التي وضعها طاقم الأطباء جلسة لمدة ٤٥ دقيقة يوميًّا مع كل من ليلى وسيف، كل على حدة، على أن تكون هذه الجلسات في الصباح الباكر، ما بين الساعة الثامنة والعاشرة صباحًا، وألا يحاولا إجبارها على تذكر أحداث ما أو تذكيرها بذكريات حزينة أو صدمات كبرى تعرضت لها، وأن يبدأ السرد من الذكريات الأحدث إلى الأقدم وليس العكس، حينما صارحت ليلى وسيف الطبيب بمحتوى الرسائل التي عثروا عليها في بريد رهف الإلكتروني، وكذلك كتابتها لأسمائهم بجوار صورهم، تبددت الابتسامة التي كانت تزين وجهه، وبدت علامات التوتر والاستياء جلية على ملامحه، ثم قال لهما نحتاج أن نعرف كل شيء عن هذا الموضوع من ذلك الطبيب الذي أرسل إليها تلك الرسائل؛ فمفتاح كل تلك الألغاز بين يديه وحده، وأتمنى أن يتم

ذلك في أسرع وقت، ثم سألهم: بس إيه المصيبة الكبيرة اللي هو بيشير ليها؟ قصده طلاقها ولا رهف حصلها صدمات تانية؟ أومأت ليلى برأسها للطبيب وقد ترورقت العبرات في مقلتيها ثم قالت بصوت يشع انكسارًا وحزنًا: أيوه طلاق رهف مكنش أول مصيبة تحصلها، قلبها اتدبح قبل كده مرتين، والميزة الوحيدة لفقدان الذاكرة ده إنها نسيتهم، اتسعت عينا سيف من غرابة ما يسمع، فإذا به يقاطعها سائلاً: حضرتك بتتكلمي عن إيه يا طنط؟ عن باباها ولا حاجة تانية؟ فأجابت: لا مش عن باباها يا سيف، رهف حملت على طول بعد ما اتجوزت والحمل كان ماشي كويس وولدت، وفجأة البيبي مات في نفس يوم ولادته، شهقة كبرى خرجت من صدر سيف ثم قال: رهف كان عندها ابن ومات؟! فردت ليلى: لا مش ابن واحد، رهف حملت تاني بعد موت الطفل ده بكام شهر، في المرة الثانية كانت حامل في بنت بس برده ماتت على طول بعض الولادة مشفنهاش فسألها الطبيب: هو كان عندها مرض أو مشكلة في الرحم، فأجابت ليلى نافية، في المرتين كنت بسافر لها أمريكا وآخدها ونرجع إسكندرية تقعد معايا فترة لأنها كانت بتبقى مدمرة نفسيًّا، وبعد ما البنت التانية ماتت حاولت الانتحار ولحقتها بالعافية، بس أنا وديتها لأشهر دكتور نسا في إسكندرية، وقالي إن الرحم سليم وإنها معندهاش أي مشكلة صحية، وكان تفسيره الوحيد أن موتهم قضاء وقدر،

فـأردف الطبيـب: هـو إيـه اللـي كان بيكتـب في شـهادات الوفـاة عـن سـبب المـوت؟ عرفتـي تشـوفي واحـدة منهـم قبـل كـده؟ فأجابـت ليلـى: لا للأسـف أنـا أصـل محضرتـش أي ولادة منهـم، كانـت دايمـا بتولـد قيصـري وبـدري عـن معادهـا، ولـؤي كان بيدفنهـم بسـرعة قبـل مـا تفـوق لأن مكنـش بيتحمـل الصدمـة، فهـي ملمسـتش حـد فيهـم لا حـي ولا ميـت، ثـم دخلـت في نوبـة بـكاء شـديدة، قـام سـيف مـن مقعـده وغـادر مكتـب الطبيـب، ثـم توجـه إلـى غرفـة رهـف، فتـح البـاب دون أن يسـتأذن ثـم اقتـرب منهـا وعانقهـا بـكل مـا منحـه اللّه مـن حـب وقـوة وظـل يبكـي، فـإذا بهـا تربـت علـى رأسـه: متعيطـش عشـاني أنـا هكـون كويسـة، لـم تـزده كلماتهـا سـوى وجعًـا ومـرارًا وغصـة، سـمعت أحـد المرضـات صـوت نحيـب قـادم مـن غرفتهـا فدخلـت تستكشـف الأمـر، فوجـدت سـيفًا في حالـة انهيـار كاملـة وقـد بزغـت علامـات الفـزع علـى صفحـة وجـه رهـف، فدنـت مـن رهـف ولمـا حاولـت أن تبعـد سـيف عـن حضنهـا صرخـت في وجههـا ثـم قالـت: سـبيه متبعديهـوش عـن حضنـي، فاسـتطردت: لكـن مينفعـش تتعرضـي لأي ضغـط عصبـي دلوقتـي، ده فيـه خطـر عليكـي، فأجابـت: اللـي انتـي بتطلبيـه ده اللـي ممكـن يعصبنـي ويتعبنـي هـو منهـار مـن خوفـه عليـا ازاي أخرجـه دلوقتـي بـس لازم أطمـن عليـه الأول، فقالـت لهـا المرضـة: زي مـا تحبيـه بـس هرجـع بعـد ١٥ دقيقـة أخرجـه. فـردت: لا مترجعيـش غيـر لمـا أتصـل بيكـي أنـا متشـكرة جـدًا علـى اهتمامـك.

شعر سيف عندما ابتعد عن رهف أنه أصبح طفلاً صغيرًا يملأ الفزع روحه لانفصاله عن حضن أمه؛ لكن فكرة ما تخمرت في رأسه وكان لا بد أن يذهب ويسأل الطبيب عنها.

كانت ساعة بيج بن تدق ثلاث مرات معلنة الساعة الثالثة عصرًا عندما كان سيف ورهف يجلسان في مطعم هندي يقع بالقرب من نهر التيمز ومن ورائهم تظهر «عين لندن»، كان الطقس قد بدأ يسوء مجددًا وتعم البرودة في كل أرجاء المدينة، تمنى سيف لو قاما بهذه الجولة عندما كان الطقس جيدًا والجو أكثر دفئًا، بدأوا جولتهم من قصر باكنجهام؛ حيث التقطوا بعض صور السيلفي مع أحد حراسه فهيئتهم تشعرك أنك سافرت عبر آلة الزمن للوراء لآلاف السنين؛ فما زالوا يرتدون بدلة عسكرية حمراء ويعتمرون قبعات طويلة سوداء اللون مصنوعة من الفرو على رؤوسهم، وقد اعتاد زائرو لندن على أن يلتقطوا الصور معهم كنوع من الدعابة، ثم تناولا عصير البرتقال مع كعكة «باتنبرغ» في مقهى أثري في ميدان «بيكاديللي»، ثم اصطحبها سيف إلى الممشى الملحق بجسر برج لندن الزجاجي، حيث استمتعا برؤية نهر التيمز عن قرب، وقد بدا المنظر خلابًا ويحبس الأنفاس، قبل أن يتوجها لتناول طعام الغداء في مطعم يقع على مقربة منه.

اختار سيف أن يتناولا أكلاً هنديًّا لأنه وجد علامة تشير إلى أن هذا المطعم حلال، وقد كان يحتاط كثيرًا بشأن تناول الطعام عند وجوده في أي بلد غربي، ويبحث عن المطاعم الحلال قدر المستطاع، سألته رهف لماذا اخترت هذا المطعم من بين كل المطاعم الأخرى التي مررنا بها، فأجابها أنهم مسلمون وهذا المطعم هو الوحيد في تلك المنطقة الذي يقدم طعامًا مطابقًا للشريعة الإسلامية، سكتت رهف لبرهة قبل أن تسأله ماذا تعني بمسلمين؟

قلق شديد التف حول عقل ليلى كاد يخنقه من فكرة سفر سيف الآن إلى الإسكندرية وتركه لرهف بعد تعلقها الكبير به حتى ولو لأيام، ثمة انتكاسة شديدة قد تجتاحها لو غاب عنها بعدما صار أهم شخص في دنياها الجديدة، هل ينبغي عليها أن تنفذ تلك الفكرة التي تحوم في رأسها منذ أمس، أن تسافر هي للقاء الطبيب وأن يبقى هو بجوار رهف؛ فهي مع الأسف الشديد لم تتعلق بها مثلما تعلقت به، ولم تشتاقها بعد مثلما تشتاقه، وهي عن تلك الحقيقة الجلية لا يمكن أن تغمض عينيها، غريب أمر رهف للغاية، ليتني أعرف ما سر ارتياحها واطمئنانها له لهذا الحد؟ وكأن هناك رابطة أقوى من رابطة الدم تجمعهما سويًّا، رابطة سرية لا تعرف ماهيتها، ولماذا لم ينبض فؤادها بأي مشاعر تجاهي بعد، رغم أنه على يديي ولدت أول المشاعر التي ملأت جنباته، هي مسيرة في اتخاذ هذه الخطوة

وليست مخيرة فلتسافر هي، ولتتحمل نيران الشوق التي ستضرم في قلبها حتى تعود.

على مضض وافق سيف على قرار ليلى بأن تسافر هي بدلاً منه، كان يعلم أن قرارًا كهذا سيعذبها صباح مساء، سيمر اليوم عليها كسنة كبيسة والثانية كساعة طويلة، في دوامة القلق والخوف والشوق ستفقد قلبها، وسيحرم تأجج الصراع بين الأفكار المتقاتلة في رأسها عيونها بأن تهنأ بالنوم، لكن كيف له أن يثنيها عن تنفيذ ذلك القرار، وهي لم تتراجع يومًا عن قرار اتخذته منذ بداية معرفته بها، لكنه لا يستطيع أن ينكر تزايد نبضات قلبه، وأنهار السعادة الغامرة التي فاضت في أوصاله عندما علم أنه عن محبوبته لن ينفصل فهو مهما دعا وأقسم أنه سيكون بخير بعيدًا عنها فهو يكذب، يبدو أن رهفًا الجديدة ستذيبه في حبها أكثر من رهف القديمة، وهو الذي ظن أن حبه لها بلغ مداه لكن هيهات، فقد صارت تحتاجه وتشتاق إليه ربما أكثر منه، عيناها لا تسترها أبدًا في قربه، حديث سري أصبح يدور بينه وبينهما في كل مرة يتلقيان، وكلما أنهت حديثها معه وشوشته ووعدته أنه سيكون هناك المزيد من المشاعر والأحاسيس والأسرار، حبها ودلالها له شراب حلو المذاق طيب كل جرح حفر في قلبه أو قبع في روحه قديمًا كان أو حديثًا، وعاد فؤاده صفحة بيضاء لم تخدشها

قسوة الحياة أو ظلم البشر يومًا، لم يخلق الله في هذا الكون نشوة أمتع من تلك التي تهتز على إثرها كل قطعة منك عندما تعلم أن حبيبك أصبح يبادلك الحب والغرام بعدما تظن أنه صار بعيدًا عنك بعد الأرض والسماء.

بعد حوالي ١٠ دقائق من إقلاع الطائرة التي استقلتها ليلى وضعت قناع النوم بإحكام فوق عينيها، ليته يجعلها تحصل على قسط من النوم ولو قليلاً؛ إذ أصبح عصيًّا عليها منذ فترة، عند وداعها لسيف لم توصه على رهف، بل أوصته بنفسه خيرًا، فهو لم يعد يهتم بأي شيء في العالم ولم يعد يقضي أي دقيقة في يومه إلا مع رهف أو لأجلها، أصبح جوفه معظم الوقت خاويًا سوى من لقيمات صغيرة بالكاد تحميه من ألا يسقط مغشيًّا عليه من كثرة المجهود وقلة الطعام، وجهه الدائري الممتلئ صار نحيفًا، وقد أصبح لونه باهتًا دائمًا، واختفى اللون الوردي لشفتيه ليحل محله لون أبيض مع كثير من التشققات، سلامًا على فؤادك السخي الفياض بأنهار من الحنان والحب، سلامًا على روحك البريئة الوضاءة التي يحيي وفاؤها وإخلاصها أرواحًا بعد موتها، ثقل ميزان ديني إليك فكيف لي أن أسدده يومًا؟ سأسأل الله كل ليلة أن يصب عليك الخير والسعادة بلا انقطاع، وسيبقى قلبي يلهج بالدعاء لك مهما حييت.

أحكمت رهف لف حجابًا أحمر من الشيفون حول وجهها، فقد أتقنت طريقة وضعه سريعًا عندما أرسلت إليها ممرضة مسلمة باكستانية تشرف على حالتها، فيديو يحوي ١٠ طرق للف الحجاب، بدأت رهف تبحث عن تعاليم الإسلام على الإنترنت منذ ذلك اليوم الذي أخبرها فيه سيف أنهما مسلمان، وكمثل كل شيء ابتلعته ذاكرته ضاعت تعاليم الإسلام ضمن كل الذكريات والمعلومات الأخرى التي محيت من ذاكرتها، لكن فؤادها وعقلها كانا يرتاحان ويقتنعان كثيرًا بكل معلومة تقرأها عنه، فطرتها كانت تقودها إلى الطريق الصحيح لطريق الله؛ فسرعان ما شعرت أنها تريد أن تكون مسلمة، عن عهدها بالإسلام لا تتذكر شيئًا على الإطلاق، لكن هناك عهدًا جديدًا لها معه، عهدًا قائمًا على اختيار حر وقناعة كاملة وليس بالميلاد أو الوراثة، تدينها السابق كان تدينًا حقيقيًّا عن علم واطلاع وقراءة ولم يكن تدينًا ظاهريًّا أو وهميًّا، وعلى ما يبدو أن بعض آثاره ظلت عالقة في روحها وهو ما جعلها تشعر بالارتياح الشديد لهذا الدين والانتماء إليه بشكل أو بآخر، كانت تستعجل أن تنهي الممرضة عملها حيث ستصطحبها إلى المركز الإسلامي في لندن لتتلقى درسًا تعليميًّا للمسلمين الجدد؛ إذ يتعرفون من خلاله على كيفية أداء الصلاة وفهم معاني الآيات القرآنية، عندما وصلا وقفت رهف خارج المسجد تتأمل تصميمه الهندسي كثيرًا؛ فقد نال إعجابها للغاية،

قبّته الذهبية البارزة المزخرفة من الداخل بأشكال هندسية جميلة مستوحاة من التراث الإسلامي، مصابيح الإضاءة، قطع الأثاث والسجاجيد التي زينت جنباته، رائحة البخور الذكية التي تعبق المكان، سلام داخلي حل في قلبها وسكينة عرفت طريقها لتستقر في روحها منذ وطئت قدماها المسجد، حدسها يؤكد أنها لم تخطئ أبدًا عندما قررت أن تعتنق هذا الدين، وهي عن أول قرار اتخذته في حياتها الجديدة راضية كل الرضا.

كان الطقس في الإسكندرية مغايرًا تمامًا عن أجواء الشتاء التي شهدتها ليلى في لندن؛ فالشمس هنا لم تتوار خلف الغيوم بل بزغت بقوة في كبد السماء لتملأ الكون نورًا ودفئًا وحياة، أخذت ليلى نفسًا عميقًا وزفرته ببطء، اشتاقت كثيرًا لهواء الإسكندرية النقي وحده يزيح عن روحها همومها ومخاوفها، كانت تقود سيارتها في عجالة وبدون تركيز، فلم يعد يفصلها عن موعدها مع طبيب رهف سوى عشرين دقيقة وهي ما زالت بعيدة جدًا عن عيادته، وفي غمرة شرودها اصطدمت بدراجة بخارية، وإذا بشاب في أوائل العشرينيات وامرأة عجوز كانت تجلس خلفه يسقطان على الأرض، ضربت ليلى مقدمة رأسها بكفها اليمنى ثم ضربت على مقود السيارة بذات الكف ثلاثة مرات متتالية، ثم أوقفت سيارتها ونزلت لتعرف ماذا أصابهما؟ وحينما اقتربت منهما بدا لها أن أيًا منهما لم يفقد وعيه ولم يصب بإصابة خطيرة، مجرد

خدوش وكدمات سطحية وعندما حاولت أن تساعدهما لينهضا أبيا وأخبراها أنهما لن يتحركا من مكانهما قبل أن يصل رجال الشرطة، فعندما رأيا هيئتها وسيارتها الفارهة قررا دون اتفاق معلن بينهما أن يستغلا الموقف، سرعان ما أدركت ليلى فيم يفكران وماذا يريدان، فهرولت إلى سيارتها لتحضر حقيبة يدها لتسد أفواههما الجشعة ببعض النقود لكنها لم تجد أيًّا منها، لا تملك غير بطاقات الفيزا، ولم يكن لديها متسع من الوقت لتبحث عن ماكينة للصرف الآلي؛ فخلعت سلسة من الأساور تزين بها عنقها منذ ٣٠ عامًا؛ فقد كانت أول تصميم لها يخرج للنور وقد ذاع صيتها بعد نجاحه، وتهافت الزبائن على شرائها فصارت منذ ذلك الحين تميمة حظ بالنسبة لها، ثم وضعتها في كف المرأة العجوز وقالت في غضب هذه ستشفي إصابتكما، ثم انصرفت في اتجاه سيارتها، تفحصت ساعة يدها فوجدت أن ١٠ دقائق أو أقل تفصلها عن موعدها مع الطبيب كيف ستتمكن من الوصول في الميعاد؟ وماذا لو تأخرت هل سينتظرها أم سيرحل؟ لا بد أن تهدأ فهي في غنى عن التعرض لحادث جديد أو أي كارثة أخرى، ولسانها ظل يتمتم «يا رب يسر ولا تعسر» ثم ظلت تعيدها مرارًا وتكرارًا، أخرجت هاتفها من حقيبة يدها لتتصل بالعيادة لتعتذر إلى الطبيب عن تأخرها وتستأذنه أن ينتظرها قليلاً، لكن بلا جدوى؛ فالرقم ظل مشغولاً كلما حاولت الاتصال به.

أسفل العمارة التي توجد فيها عيادة الطبيب المطلة على شاطئ الإسكندرية وقف إبراهيم أمام سيارته ينتظر وصولها حتى يصعد معها إلى الطبيب، هاتفه سيف مساء أمس وأبلغه بكافة المستجدات التي توصلوا إليها خلال فترة غيابه، وعن عودة ليلى إلى الإسكندرية وترتيبها لموعد مع طبيب رهف، كان يخشى عليها من تلك المقابلة كثيرًا، فوحده الله يعلم ماذا يحمل هذا الطبيب في جعبته من خبايا، لكن المؤكد أنه يحمل أخبارًا سيئة للغاية وأسرارًا اختارت أن تبوح له بها دونًا عن سائر المقربين والمحيطين بها، عندما سافرت ليلى بمفردها أحكم القلق لف أذرعه الكثيفة حول قلبه، وقد صارت رأسه أرضًا خصبة للأفكار التشاؤمية والتوقعات السيئة وقد بلغ الوهن من ليلى مبلغه، وبمفردها لن تستطيع أن تتحمل صعوبة هذا الموقف وتبعاته أيضًا ولم يجد سيف خيرًا من إبراهيم سندًا ومعينًا لها، فبنفسه اختار أن يؤدي هذا الدور في حياتها بسعادة ومتعة كبيرتين منذ سنوات طوال وبلا انقطاع، حتى إنه لم ينتظر أن يطلب منه سيف أن يذهب معها؛ فقد سبقه وسأله عن عنوان الطبيب والموعد المحدد لزيارته لها، كان يعلم أنه لو هاتفها لينسق معها أن يذهبا سويًا كانت سترفض بشدة وستجد ألف مبرر ومبرر تخبره به، ليتها تعلم أنه لا يمل ولا يكل من القيام بأي شيء معها ولأجلها؛ فتلك هي أوقات راحته الحقيقة مهما بدت صعوبتها وقسوتها عليه من

وجهة نظرها، فقلبه المتيم لا يتوقف عن القلق عليها والتفكير بأمرها إلا إذا برفقتها وجد، اشتاق إليها كثيرًا وعاد فؤاده يتمتم بدعاء من جديد بدعوة ما ظن أنه سيعيدها يومًا، لكنه في عشقها أضحى بلا حيلة ولا قوة، فما استطاع أن يمنع نفسه من التضرع إلى الله كل ليلة بدعاء فات أوانه كثيرًا، أن يجمعه الله بها يومًا.

اصطدمت عينا ليلى بإبراهيم يقف على مقربة من العيادة، فزفرت في غضب، لماذا فعلت ذلك يا سيف أخطأ حدسك تمامًا هذه المرة؛ فأنا لا أستطيع أن أهتك سر ابنتي أمام أي شخص أيًّا ما كان، قلقنا وتوترنا المفرط على أحبائنا قد يجعلنا نتخذ قرارات خاطئة ضررها عليهم أكثر من نفعها، فعندما يعمي الحب العقول ونسير على هدي القلوب يقع أحباؤنا ضحايا لأزمات ومشكلات صنعناها نحن ظنًّا منا أن في ذلك راحة لهم وتخفيفًا عنهم، لا يمكن أن يسمع أحد ما سيدور بينها وبين الطبيب، سترفض بشتى الطرق أن يصعد إبراهيم معها، تعلم أن ذلك سيغضبه ويحزنه كثيرًا، وقد عاهدت قلبها يومًا ألا تجرحه؛ فمن حقها ألا تبادله الحب، لكن لا يحق لها أبدًا أن تؤذي فؤادًا مسخرًا لراحتها وسعادتها هي وابنتها على مدار السنين، رغم أنه علي يقين أن موقفها من حبه لها راسخًا كالجبال، ولن يتغير أبدًا.

لاذت ليلى بقناع لم ترتديه يومًا معه، قناع «القساة قلوبهم»؛ فهي لم تسلم عليه عندما دنت منه بل سألته بأسلوب فظ للغاية: انت جيت ليه يا إبراهيم؟

ولم تنتظر ليجيب بل أكملت هو انت مفكر إني طفلة صغيرة مش عارفة أنا بعمل ايه، أو إن تعب رهف جنني فمبقتش بقدر أتصرف لوحدي، لاحت آثار الصدمة والدهشة على قسمات وجهه وعيناه صارت ترمشان كثيرًا، فتلك لازمة تصاحبه دائمًا عندما يفقد أعصابه أو يفاجئ بأمر غير سار، عقدت صدمته في كلماتها القاسية لسانه؛ فلم يرد مطلقًا عليها، فاستطردت روح يا إبراهيم وشوف طلبات بنتك العروسة هي أولى بوقتك ومجهودك دول، مبقاش في حد اليومين دول بيقف مع حد في مصيبة أو يحاول يواسيه لو ملوش مصلحة معاه، ريح نفسك يا إبراهيم متشغلش بالك بينا إحنا مش عيتلك دي مجرد معرفة، خرجت كلمة آسف من شفتيه بصوت خفيض ومتهشم من الحزن ثم تركها ورحل، هو لا يعرف تلك المرأة التي تتحدث، ولم يتكلم يومًا مع الغرباء؛ فكيف له أن يرد عليها؟

سريعًا انطلق بسيارته وبقيت ليلى في مكانها تنظر إليه وهو يبتعد حتى اختفى تمامًا من أمامها، كانت تلك أول مرة تحتقر فيها نفسها؛ فلم تفعل مع غريب فعلة شنعاء كتلك، فكيف تفعلها

معه، وكيف لا تفعل ومن سواها يحمي ابنتها ويستر أسرارها، بقدمين تجرهما جرًا متثاقلاً صارت في اتجاه المصعد لم تعد تشعر بنبض قلبها فقد أصبح ضعيفًا وبطيئًا للغاية، وبدأت يداها تتعرقان كثيرًا، دوار مفاجئ أصابها، لكن لا بد أن تتحامل على نفسها لن تسقط الآن، دخلت المصعد وسجلت رقم الطابق دقائق قليلة تفصلها عن معرفة حقيقة لو خيرت لما اختارت أن تعرفها أبدًا، لكنها مضطرة وهو أسوأ أمر أقدمت على فعله رغمًا عنها، ثمة يقين يؤكد لها أن الحقيقة ستكون أبشع من كل توقعاتها، وأخذت تتذكر عندما سألت رهف عن سبب انفصالها عن لؤي، فأجابت بإجابة صادمة؛ إذ قالت لأنه يشبه «عليًا» أنهت النقاش منذ لحظة بدايته وأسدلت الستار على هذا الموضوع إلى الأبد؛ فهي لم تنس طباعه يومًا، كما أنها لم تحب لؤيًا يومًا أيضًا، رغم أنه لم يعاملها سوى بدلال واهتمام شديدين تمامًا مثلما كان يفعل «علي» مع أسرتها وأصدقائها، لطالما اعتقدت أن «عليًا» أسوأ مخلوقات الله لكن على ما يبدو أنها كانت مخطئة، يا ترى أي شر حل بابنتي بسببك يا لؤي؟ دخلت ليلى إلى مكتب الاستقبال، ثم أخبرت الممرضة عن موعدها مع الطبيب، فطلبت منها أن تنتظر قليلاً حتى ينتهي من جلسة علاجية يجريها الآن؛ فقد استبدل موعدها مع ميعاد آخر عندما أعلمته بتأخرها، سألتها متى سينتهي من الجلسة فقالت لها بعد ٣٠ دقيقة، جلست على

كرسي خشبي وردي اللون بالقرب من الشرفة من وراء زجاجها العاري من الستائر، شاهدت المطر يتساقط بغزارة وقد ابتلعت الغيوم الشمس تمامًا، ثم أخرجت هاتفها ستتحدث مع سيف قليلاً حتى يحين موعدها.

الدكتور منير حسنين طبيب متخصص في الأمراض النفسية والعصبية، مصري ألماني الجنسية؛ إذ ولد لأب مصري إسكندراني من أصول نوبية وأم ألمانية، ترعرع في الإسكندرية ودرس الطب ثم حصل على الماجستير والدكتوراة من ألمانيا، في أواخر عقده الثالث أخذ من والده لون بشرته السمراء، وشعره المجعد القصير، وقامته الطويلة، وجسده مفتول العضلات، وأخذ من أمه عينيها الزرقاوتين، غمازة صغيرة حفرت في وجنته اليسرى، لكنه تأثر أكثر بطباع أمه، حيث الهدوء والجدية المفرطة، وإعلاء صوت العقل على المشاعر دائمًا، لذلك لم يكن متوترًا على الإطلاق من مقابلة ليلى، بل على العكس؛ فقد حاول الوصول لها منذ انقطاع أخبار رهف عنه، لكن مساعيه قد باءت بالفشل، هو بكل تأكيد لم يرد أن يفتش سر مريضته بل أراد أن يحميها من شر نفسها وعواقب قرارات قد تتخذها بسب اضطراب حالتها النفسية، ودع مريضه عند باب حجرته ثم طلب من الممرضة أن تخبر ليلى أن تتفضل بالدخول، تعثرت ليلى في خطواتها نحو غرفته أكثر من

مرة؛ وكأن اتزانها خانها واختل من فرط التوتر، حياها الطبيب ثم سألها كيف تفضل قهوتها، شكرته وأخبرته أنها لا تريد تناول شيئًا فأخبرها أنه يفضل أن يتناولا القهوة معًا، فجلستنا سويًّا ستطول بعض الشيء، على مضض وافقت ليلى أن تحتسي كوبًا صغيرة من قهوة الاسبريسو، وضعها الطبيب أمامها ثم بدأ يهيئها نفسيًّا لتتحمل كلماته، فقد بذل قصارى جهده ليخفف من فزعها الذي لاحت سحبه على صفحة وجهها وبرودة يديها عندما سلم عليها، ثم تنحنح ليجلي صوته قبل أن يبدأ في سرد قصة رهف لها: من كام شهر رهف جاتلي العيادة لأول مرة وكانت بتعاني من انهيار عصبي شديد واكتئاب حاد، وضعها كان أسوأ بكتير من وضع أي واحدة انفصلت عن جوزها مهما كانت درجة حبها ليه، ورد فعلها عمومًا على المشكلة كان مبالغ فيه وبيبين أن في حاجة تانية مخبياها وهي اللي وصلتها للوضع ده، احتاجت كام جلسة على ما تاخد عليا وتثق فيا، كمان الأدوية اللي اديتهلها قدرت تهديها شوية فبدأت تحكيلي عن اللي حصلها مع لؤي، طوال ٤ سنين اللي عاشتها رهف مع لؤي كانت مقتنعة أن ابنها وبنتها ماتوا بعد ما ولدتهم على طول ابتلاء من ربنا وقدرهم اللي مقدرتش تمنعه، وفضلت تصلي وتدعي إن ربنا يصبرها ويعوضها بذرية صالحة معافاة، لكن حب لؤي الكبير ليها ودلعه واهتمامه بيها كان بيهون مصيبة موت أولادها كتير عليها، عمره ما كان

بيقسى عليها أو يعاملها بعنف عمره حتى ما كان بيخاصمها ولا بيتخانق معها، حياتهم كانت عاملة زي فيلم رومانسي جميل، مكنش بيرضى ينيمها غير في حضنه حتى في المرات القليلة اللي كانت بتزعل منه فيها كان برده بيصمم أنها متنمش بعيد عنه، عشقها ليه كان عامل زي أساطير الحب اللي بنقرأ عنها، عمرها مزهقت يوم من الحياة معاه، وكل يوم من حياتهم سوا كان دايمًا في حاجة جديدة يعملوها مع بعض، حتى شغلها فتح لها أتيليه في أمريكا وعملها دعاية على مواقع التواصل الاجتماعي وحاول يجبلها زباين كتير، كانت مفكرة أن ربنا أكرمها بيه وعوضها عن حياتها اللي عاشتها من غير أب.

حتى صعوبة بعدها عنك قدر يخففها، خلى حياتها مليانة نشاطات وأصدقاء تقدر تقضي أوقات معهم؛ لأنها كانت بتحس بالفراغ أحيانًا لما يسافر مع تامر رحلات تبع شغلهم.

وفي مرة لؤي كان قايلها إن عنده شغل في هولندا وهيقعد أسبوعين هناك، وفي اليوم اللي مفروض كان هيرجع فيه كان يوم وجوعه سمعت جرس الباب بيرن، ففكرت إنه رجع بدري وجريت تفتحله الباب، فلقت سكرتيرة تامر هي اللي على الباب، وشها كان مخطوف جدًا وأصفر وعينيها كانت حمرا أوي زي ما تكون تقلت في الشرب أو منمتش بقالها كتير، وقالتلها رهف أنا آسفة

إنـي هبلغـك الـكلام ده، أولادك ماتـوا، فـردت عليهـا رهـف وقالتلهـا إنتـي سـكرانة ولا إيـه أنـا معنديش أولاد ادخلـي أعملـك قهـوة تفوقـك عشـان تعـرفي تروحـي، بـس السـكرتيرة مردتـش عليها وسـابتلها ظرف جمـب البـاب ومشـيت، جريت رهـف وراهـا عشـان تدهيهلوهـا، لكنهـا بسـرعة ركبـت عربيتهـا ومشـيت خـدت رهـف الظـرف عشـان ترميـه بـس مقدرتـش ولقـت نفسـها لا إراديًّـا بتفتحـه،كان فيـه CD، وجزء من صفحـة حـوادث في جرنـال كتـب فيهـا عنـوان «الكوكايـين يدفـع امـرأة لقتـل طفلـين تبنتهـم.. وفي تفاصيـل الخبـر كان مكتـوب أن تعاطـي «كارولينـا مارلـي» للكوكايـين خلاهـا فضلـت تعـذب الأطفـال لحـد مـا ماتـوا، وحطـوا صـورة للطفلـين مـع نفس السـت دي وهمـا بيضحكـوا، وصـورة تانيـة ليهـم وهمـا آثـار التعذيـب علـى جسـمهم. الولـد اللـي كان في الصـورة كان شـبهك جـدًا نسـخة طبـق الأصـل منـك والبنـت الصغيـرة كانـت شـبه رهـف بالظبـط، رهـف فضلـت تقـرا في الخبـر ده ولا ١٠٠ مـرة بتحـاول تكـدب قلبهـا اللـي بيقولهـا إن دول ولادك وفي كل مـرة كانـت بتبـص كانـت بتتأكـد أكتـر إنهـم أولادهـا فعـلاً، جريـت علـى الـلاب تـوب بتاعهـا وحططـت CDعشـان تعـرف ايـه اللـي جـواه لقـت ملـف باسـم تامـر ولـؤي مكتـوب فيـه إنهـم بيتاجـروا بالأطفـال الرضـع، بيجيبـوا بنـات ويخلوهـم يحملـوا ويهتمـوا بيهـم طـول فتـرة الحمـل لحـد مـا يولـدوا يخـدوا الطفـل يبيعـوه ويدولهـا المبلـغ اللـي اتفقـوا عليـه ويمشـوها، خـلال ٤ سـنين دول همـا عملـوا كـده مـع ١٠٠

ست وكانوا بيبيعوا الأطفال دي من خلال النت، حتى ولادهم اللي خلفوهم من مراتتهم كانوا ضمن الأطفال اللي اتباعت، المكسب السهل خدر قلوبهم وعقولهم تمامًا.

أنا هوريكي رسالة رهف اديتهالي كانت كتبتها قبل ما لؤي يوصل، وكانت مخططة أنها تسيبهوله وتخد الـ «CD» وتروح تبلغ البوليس، (بسببك يا لؤي لن ترى عيناي وجه أطفالي أبدًا، لن أطلق عليهم الأسماء التي اخترتها لهم بعناية ودقة شديدتين، لن أشم رائحتهم الذكية مطلقًا، لن أضمهم لصدري حتى أتدفأ بهم ويطمئن كل منا الآخر، بسببك لن يرقصوا يومًا على صوتي، لن تلتف أيديهم الصغيرة حول أصابعي، وماذا عن شفتي، ألن تقبل وجناتهم يومًا؟ ألن تتسارع دقات قلبي عندما يهمسون لأول مرة «أمي»، بسببك لن تنعم عيناي برؤية ابتسامتهم، لن تسعد أذناي بسماع ضحكاتهم تدوي في المنزل، كيف تفرقنا رغمًا عنا؟ ومن نصبك إلها لتحدد مصير ثلاثة أشخاص؟ وما السبيل لرؤياهم بعد رحيلهم الأبدي؟ كيف مات أطفالي مرتين دون لقاء واحد يجمعني بهم ولو للحظات؟ أمسكت رهف بالحاسوب ثم رمته في اتجاه مرآة، فتهشمت المرآة وكسر الحاسوب، ثم جلست في ركن الغرفة، وأخذت تهذي «أولادي».

في كل مرة كانت رهف تعرف أن موعد وصول لؤي قد دنا، كانت تركض صوب خزانة ملابسها وتختار أحد فساتينها الناعمة القصيرة التي تجعلها صارخة الأنوثة، كانت تعشق بل تتفنن في إظهار مفاتن جسدها له، ثمة نظرة في عينيه كانت تحفزها دومًا على الاستمرار في ذلك، كانت عيناه دومًا تقول لها إنني مبهور بجمالك الأخاذ، إنني ما زلت أحبك وأشتهي قربك، مهما طالت الليالي التي جمعتني بك فما زالت أوصالي ترتعد كلما شاهدت الأنوثة تفور من كل قطعة في جسدك، أما اختيارها للعطر فكان يتوقف على مدى شوقها له؛ فكلما زاد شوقها إليه اختارت عطرًا قويًا ومركزًا يهيج شهوته منذ أن تطأ قدماه المنزل، حتى قبل أن يراها، لتعلن له بكل السبل أن روحها تصرخ من شدة شوقها له، مر أسبوعين، أو أكثر دون أن تقابله فلا بد أن ترتب كل شيء لهذا اللقاء، فقد كانت تطفئ كل مصابيح المنزل وتنثر الشموع بشكل متفرق في أرجاء البيت، ثم تذهب لغرفة نومهما وتضع زخات من زيت الياسمين على وسادتهما، وأخيرًا تذهب لتملأ حوض الاستحمام وتضع فيه بعض الورود المجففة وزيوت الاسترخاء ليستمتع لؤي بحمام ينسيه مشقة رحلته الطويلة ويصبح مهيئًا لتدليلها وقضاء ليلة يكون حبهما فيها بدرًا راقصًا متلألأ، لكن استعدادها هذه المرة سيختلف كثيرًا؛ فقد أخذت تبحث عن شيء معين في كل أرجاء المنزل، شيء اعتقدت أن شخصًا بهذا

السلوك والجرم لا بد أن يقتني أكثر من قطعة منه، لكنها لم تجد ضالتها لديه، ربما يخفيها في مكان سري يصعب الوصول إليه، بماذا ستستعيض عنه، لم تجد أمامها خيارًا سوى أن تحمل أحد السكاكين، فهي لم تجد أثرًا لأي سلاح بين أغراضه أو في مكتبه أو خزنته، كانت الصدمة قد أضعفت من قوتها كثيرًا حتى بات مجرد الوقوف أمرًا شاقًّا ومرهقًا عليها، فكانت تتمايل رغمًا عنها، وكأن تلك الطامة قد أعيت جسدها وأفقدتها تركيزها للغاية، دخل لؤي من الباب مهرولاً ينادي عليها ويجر حقيبته بيده اليمنى ويحمل هديتها بيديه اليسرى، عندما جاءت إليه اقترب منها ليضمها لكنها استحضرت عنفًا وقسوة لم يملك فؤادها ذرة منهما يومًا، فأبعدته عنها ثم طرحته أرضًا، ثم بدأت تصرخ وتهذي كالمجاذيب وتردد أين أولادي يا لؤي؟ لم يستطع لؤي أن يكذب أو أن يكرر على مسامعها قصته القديمة ماتوا فور ولادتهم، هيئتها ونبرة صوتها تؤكد أن النقاب قد كشف عن فعلته التي ظن أنها لن تكشف يومًا، فصمت ولم ينبس ببنت شفة، وقد بدأ العرق يتساقط من جبينه كسيل عات وهائج، لكن كيف عرفت بالأمر وقد أمن كل شيء، لم يترك وراءه خيطًا واحدًا قد يوصلها إليهم أو يجمعها بهم، أخرجت السكينة من وراء ظهرها ثم صرخت مجددًا في وجهه تؤكد له أنه لو لم يخبرها بالحقيقة كاملة الآن ستقتله وتقتل نفسها، وعلى الرغم من أنه كان في

ذهوله غارقًا، آثر أن يجيب عن سؤالها؛ فشظايا الشر المتطاير من عينيها كانت تنذر بأن كلامها ليس تهديدًا بل قرارًا لن يثنيها شيء عن تنفذيه، حاول أن يعتدل في جلسته أن ينفي اتهاماتها أن يختلق أي قصة جديدة لكن خوفه الشديد منها لجم لسانه فطأطأ رأسه ولم يرد.

صمته جعل الجنون يبلغ من رهف مبلغه فراحت تصوب السكينة نحوه، لكنه هم بالركوض فلم تصب سوى قدمه، في تلك اللحظة اختل اتزان رهف تمامًا فسقطت على الأرض، ثم أخذت تصيح أولادك ماتوا سكرتيرتك جت وقالتلي، ازاي قلبك فضل فيه نبض بعد ما بعت أولادك، إزاي كنت بتضحك وتأكل وترقص وتسافر، إنت مجرد من الإنسانية والرحمة، دي الحيوانات متقدرش تبيع ولادها وبتقتل اللي يقرب منهم، إنت جنسك إيه بالظبط، فكرت في يوم في تعبي وأنا حامل في أحلام كان نفسي أحققها بيهم، والله لأخسرك كل حاجة أنا مش هقتلك أنا هافضحك قدام كل العالم وخلي الدنيا كلها تعرف عن جرايمك.

كيف تستطيع ليلى أن تستوعب ما قاله الطبيب؟ كيف تصدق روايته ولا يوجد أي شاهد أو دليل يؤكد صحتها؟ وكيف تكذبه وهي لا تملك أي تفسير آخر تدحض به قوله؟ كما أنه يملك تسجيلاً صوتي لرهف تحكي فيه قصتها، كيف واجهت رهف كل

هـذا بمفردهـا؟ وكيـف اسـتطاعت أن تخفـي عنهـا كل هـذا وأن تبـوح بـه لشـخص غريـب حتـى لـو سـمي طبيبًـا نفسـيًّا، فقـد عاشـت حيـاة بطولهـا تـداوي وتطيـب جراحهـا وآلامهـا، ثمـة مشـاعر تزلـزل كياننـا ولا يجـوز حينهـا أن نسـميها صدمـة،؛ فهـي أقسـى وأشـد بأسًـا مـن ذلـك الوصـف أو تلـك الكلمـة، وهـذا مـا شـعرت بـه ليلـى في تلـك اللحظـة، كـم عـدد الأفـكار التـي حامـت في رأسـها حينهـا، لا تتذكـر، كان عـددًا لا يحصـى، حاولـت أن تحـرر صوتهـا الـذي ضـاع في خضـم الصدمـة لتسـأله قائلـة: طيـب حضرتـك تعـرف حاجـة عـن موضـوع الخلايـا اللـي اختفـت؟ كمـان رهـف فقـدت الذاكـرة، خلـع الطبيـب نظارتـه الطبيـة ثـم وضعهـا علـى مكتبـه وقـام ليمـلأ كوبـه بالقهـوة مـرة ثانيـة، ثـم سـألها إن كانـت تريـد مزيـدًا مـن القهـوة، فأخبرتـه أنهـا تريـد بعضًـا منهـا؛ فـلا بـد أن يكـون تركيزهـا في أعلـى معدلاتـه الآن ، كل تفصيلـة أو معلومـة يخبرهـا بهـا الطبيـب لا بـد أن تتذكرهـا وتسـتوعبها جيـدًا، أعطاهـا كوبًـا جديـدًا مـن القهـوة وأكبـر سـعة مـن السـابق؛ فقـد لاحـت سـحب الإرهـاق والتشـتت علـى صفحـة وجههـا وعينيهـا، وقـد أرادهـا أيضًـا يقظـة ومتنبهـة لكلامـه، أخـذ رشـفة طويلـة مـن قهوتـه ثـم تنحنـح قائـلاً: في جلسـة رهـف قالتلـي إنهـا لقـت إعـلان علـى «فيـس بـوك» عاملـه عالـم روسـي يدعـي فيـه أنـه توصـل لموقـع الخلايـا اللـي بتخـزن المشـاعر الحزينـة والأحـداث الأليمـة في الدمـاغ اللـي لـو اسـتئصلت هتتمسـح كل تفاصيلهـا وأوجاعهـا مـن

ذاكرة الناس، ويعيشوا باقي حياتهم مرتاحين البال وسعداء، بس هو كان محتاج متطوع يجري عليه التجربة، عشان يتأكد من نجاحها، مع أنه كان كاتب برده في نفس الإعلان أن الفشل غير وارد بالمرة، وانه موجود حاليا فى طوكيو وهناك هتتعمل التجربة، وهو متكفل بكل مصاريف السفر والإقامة، رهف تخيلت إن ده الحل الأوحد لمأساتها وأن ربنا ألهمها أنها تشوف الإعلان ده عشان يخفف عنها الابتلاء والمصيبة اللي هي فيهم، بس كان في شرط وحيد مقلقها شوية، أنه كتب أن الشخص اللي هيخضع للجراحة ممكن تحصل أي مشكلة في المخ كعرض جانبي للتجربة، زي فقدان الذاكرة مثلاً، عارفة رهف في الوقت ده مخفتش من فكرة فقدان الذاكرة نفسها أد خوفها من فكرة أنها تصحي يوم ناسياكي ناسية ملامحك وحبك وحنانك، كانت بتقولي أنا عادى أنسى كل الأماكن والأشخاص اللي بحبهم كل ذكرياتي الحلوة بس عايزة أفضل فاكرة ماما أكيد طالما هو عبقري كده يقدر يحمي الجزء اللي فيه ذكريات ماما، بس وجعها وخسارتها كانوا صعبين عليها أوي؛ فقررت أنها هتخضع للتجربة أيًّا ما كانت نتيجتها بالنسبة لها كانت أحسن من اللي هي فيه، حتى لو كان الموت ضمن الخيارات اللي ممكن تحصلها، وبعدين لما عرفت إني رافض الفكرة ومعترض تمامًا عليها بطلت تيجي الجلسات، حتى إيميلاتي كانت بترد عليها بالعافية رد واحد «برده هعملها»،

وبعد كده أخبارها اتقطعت تمامًا لحد ماجالي اتصالك من أيام، شكرته ليلى وألقت عليه التحية وهمت بالانصراف، تفاجأ كثيرًا برد فعلها، توقع أن تبكي، أن تصرخ، أن تنهار، أن تسقط مغشيًّا عليها، أن تقيم الدنيا ولا تقعدها أن تعترض على روايته أن تطلب منه أي دليل يؤكد كلامه، لكنها لم تفعل، فاستوقفها ثم طلب منها أن تنتظر قليلاً حتى يعطيها تسجيلاً صوتيًّا لجلساته مع ابنتها؛ ربما راودها شك ما من حديثه، فوجده صوت ابنتها سيطمئنها أن كل ما قاله صحيح، لكنها باغتته قائلة: لا شكرًا مش عايزاه، ثمة قرار اتخذته ليلى بعد معرفتها للحقيقة، وقد صار واجب النفاذ، هي لم تسمع شيئًا، ولم تزر ذلك الطبيب مطلقًا، ستتعامل وكأنها لم تعثر عليه، أو لم تتمكن من التواصل معه، ستجبر عقلها أن يمحي كل كلمة عرفتها أو سمعتها الآن، ستتقبل فقدان رهف للذاكرة، بل ستحمد الله عليه كثيرًا، وستفقد هي أيضا ذاكرتها بخصوص هذا الموضوع.

منذ أيام قليلة كانت مستعدة لتصول العالم وتجوله حتى تتعافى ابنتها وتستعيد ذاكرتها المفقودة، لكنها الآن ستمنعها من تلقي العلاج، ستقطع كل خيط قد يوصلها بالماضي أو يعيدها لمصابها القديم.

ركبت ليلى سيارتها متوجهة صوب منزل إبراهيم، لا بد أن تعتذر منه، أن تطبطب على قلبه الذي جرحته وآلَمَته بطريقتها الفظة الغليظة، ما فعلته معه غير مناسب وغير مقبول كليًّا، لكنها أصبحت تسيء التصرف كثيرًا مؤخرًا، كل شيء في حياتها انقلب رأسًا على عقب فكيف ستستقيم تصرفاتها وأقوالها إذن؟ تعلم كيف ستنسيه ما حدث بينهما اليوم، ستخبره أنها تفكر في الحب من جديد، ستمازحه وتخبره أنها تريد أن تتزوج وستطلب منه أن يبحث لها عن عريس مناسب، تلك إشارة صريحة منها إليه أنها تريده زوجًا لها، أنها تتمنى أن تكمل حياتها معه، سيطير فرحًا ولن يتذكر معاملتها السيئة له اليوم، فقد جاء اليوم الذي ينتظره منذ سنين طوال، يا لجمال ملامحه وحنان قلبه ودفء روحه ونقاء سريرته، ستبدأ معه حياة جديدة حررت من كل نكبات الماضي، على مقربة من باب العمارة التي يسكنون بها أوقفت سيارتها ثم صعدت إلى شقتهم، فتحت نور لها الباب فعانقتها ليلى وأشبعتها من قبلاتها، ثم دار بينهما حديث قصير عن ترتيبات الفرح ووضع رهف الصحي طمأنتها ليلى وأخبرتها أنهم سيعودون جميعًا إلى الإسكندرية خلال أيام، وستكمل رهف تلقي العلاج هنا، فرحبت نور بهذه الفكرة أنها ستكون قريبة منهم وسيتمكنون من الاطمئنان عليها باستمرار، ثم سألتها يعني ده معناه أن رهف ممكن تحضر فرحي، فأجابت ليلى: احتمال كبير، فتهللت أسارير نور وتلألأت

الفرحة في عينيها، استأذنتها ليلى أن تخبر إبراهيم بوجودها وأنها تريد أن تتحدث معه في أمر مهم، فدلفت نور إلى غرفته لتعلمه بوجودها، لكنه طلب منها أن تخبرها أنه نائم، تعجبت نور من هذا الطلب كثيرًا، إنها أول مرة يردها فيها، ثمة سر ما وراء تغييره المفاجئ معها، ألحت نور عليه أن يذهب ليقابلها، ربما تحتاج مساعدته في أمر ما يتعلق بمرض رهف، لكنه رفض ثم أطفأ مصابيح الغرف وتمدد على سريره وأغمض عينيه، زفرت نور في غضب وقد شعرت بسخونة شديدة تستشري في وجهها وجسدها من شدة خجلها من ليلى، ماذا ستخبرها الآن؟ أسدل الستار على حبه لها بتصرفها المتعجرف شديد السوء معه اليوم، وقد سطرت نهاية علاقته معها، أحبها أخلص لها، عشق الصبر لأنه قد يجمعها به يومًا، وصار الانتظار رفيقه الدائم طالما أنه ينتظر فاتنته الغالية، تمر السنوات ولم يلمس أي تغيير في موقفها تجاه الحب والزواج، ولكنه لم يستطع أن يكفر بقدرة حبه أن تجعلها تميل إليه وتعشقه يومًا، فابتساماته كانت لأجلها وسعادته كانت فقط بجوارها، صارع فطرته وغريزته التي تلح عليه أن يجد لنفسه امرأة تحبه وتحيا معه، لينتظرها حتى تطيب وتهيئ فؤادها للإيمان بالحب من جديد، لم يؤذها يومًا، لم يجرحها، لم يتخل عنها، لم يتوقف عن دعمها أو مساعدتها يومًا دون حتى أن تتطلب منه ذلك، لكن تصرفها معه اليوم لا يحمل إلا تفسيرًا

واحدًا، أنه لم يعن لها شيئًا يومًا، أنه غريب عنها، وسيبقى غريبًا إلى الأبد، أنه متطفل وسخيف وفضولي، أخطأ عندما اعتقد أنهم حتى أصدقاء، لن يراها مجددًا ولن يدع قلبه ينبض بحبها مرة أخرى، لا بد أن تبقى خارج دائرة حياته سيبحث عن امرأة تبادله الحب وتعوضه عن كل الوقت الذي أهدره في انتظار وهم كبير، سنعود ونبقى غرباء يا ليلى.

غادرت ليلى منزلهم صامتة شاردة كيف يرفض إبراهيم مقابلتها؟ وماذا يعني رفضه؟ خسرته؟ يا لغبائها وهل هناك بديل له؟ هي من أغرقت سفينة النجاة التي جاء يقودها لينتشلها من طوفان حزنها ووجعها، ستعود إليه مئة مرة ستعود إليه حتى يصفح ويغفر ويسامح مهما طال رفضه لمقابلتها.

كان سيف ورهف يشاهدان فيلمًا للرسوم المتحركة في غرفتها، فعقب انتهائها من جلستها العلاجية التي تتلقاها في المساء، شعرت بإرهاق وتوتر شديدين فطلبت من سيف أن يبقى بجوارها حتى تغفو، فاقترح عليها أن يشاهدا فيلمًا سويًّا، فأخبرته أنها لا تريد فيلمًا عاديًّا بل فيلمًا للرسوم المتحركة كما أنها تريد أن تتناول بعضًا من رقائق البطاطس المقلية، تركها تختار فيلمًا من موقع الفيديوهات الأشهر «يوتيوب»، ثم ذهب ليحضر رقائق البطاطس من متجر مجاور للمشفى، كان هناك أريكة كبيرة حمراء اللون صنعت من قماش القطيفة ووضعت في أحد أركان غرفتها،

فاختارت رهف فيلم «الجميلة والوحش»، ثم جلست عليها تنتظر قدومه، وعندما عاد إليها قامت وأخذت منه عبوة البطاطس ثم طلبت منه أن يجلس بجوارها، أخذها منها ثم قال لها إنه سيحمله عنها ويؤكلها حتى لا تتعب أكثر وبدأ يطعمها واحدة تلو الأخرى، وهي تبتسم وتتعالى ضحكاتها، ثم تداعبه فتغلق فمها مرة ممتنعة ثم تقضم قضمتين متتاليتين وتسأله أن يعطيها المزيد، ثم تضع منديلاً ورقيًّا في كف يده تأمره أن يمسح لها فمها، وحينما هم بإطعامها آخر رقيقة بطاطس في العبوة لم تأكل سوى نصفها ثم أطعمته النصف الآخر، ثم كست حمرة الخجل تفاح وجنتيها، فإذا بها تخبئ وجهها في صدره، مسح على شعرها ولم يرد أن يزيد من كسوفها أكثر، ثم وشوشها قائلاً: الأميرة الجميلة لازم تنام وأنا كمان لازم أمشي قبل الممرضة الرخمة تيجي تطردني، تذمرت رهف وزوت حاجبيها في استياء ثم زفرت من الغضب وأمسكت طرف معطفه، وبعينيها توسلت إليه ألا يرحل، لكنه حملها بين يديه ثم وضعها على سريرها ودثرها بغطاء وردي، ثم استأذن منها وانصرف دون أن ينظر إلى وجهها أو عينيها، فلو نظر إليها لتهاوت قوته المصطنعة، وبقي بجوارها عمرًا كاملاً وليس لتلك الليلة فقط، متى سيكتفي قلبي من عشقك؟ متى سيكف عن اشتهائك كل لحظة؟ يا الله أضنى حبي لها روحي حتى أصبحت تتعذب صباح مساء، ألهمني ما السبيل لنبقى سويًّا بلا فرقة؟

كان سيف يأخذ حمامًا ساخنًا ويدندن مقطعًا من أغنية «حافية القادمين» قائلاً: قولي لي ماذا أفعل فيكِ أنا في حالة إدمان، قولي ما الحل فأشواقي وصلت لحدود الهذيان، قبل أن يقطع عليه طرق متتابع وشديد على باب غرفته استمتاعه وانسجامه، جفف جسده سريعًا ثم ارتدى ملابسه وخرج ليعرف من الطارق، فوجدها ليلى وقبل أن يرحب بها أو أن يستفسر عن أي شيء فوجئ بها تخبره أن يحزم أمتعته فسوف يعودون إلى الإسكندرية اليوم، فسألها ورهف يا طنط؟ أنا مش هسيبها وأمشي أبدًا مهما أصريتي؛ فأردفت ليلى: احنا هنمشي كلنا يا سيف، أنا وإنت ورهف، فسألها: طيب وعلاج رهف حضرتك لقيتي مكان بديل في مصر؟ فأجابت: رهف مش هتتعالج، أنا همنع أي حد يحاول يفكرها بحاجة في الماضي، أحسنلها تعيش من غير ذاكرة، رهف لو افتكرت اللي حصلها ممكن تموت يا سيف، فسألها: هو الدكتور قالك إيه؟ وإيه الجراحة اللي كانوا بيتكلموا عنها في الإيميلات دي؟ لاذت ليلى بالصمت لعدة دقائق، ثم قالت بصوت خفيض: مش إنت بتحب رهف يا سيف؟ فأجاب طبعًا، خلاص يبقى متسألنيش عن حاجة مش عايزة أقولها، عندك اختيارين دلوقتي إنك تتقبل رهف بماضي وحاجات أنت متعرفهاش، أو إنك تشوف بنت تانية تناسبك أكتر، خفض سيف بصره، ثم أخذ يعتذر لها ويؤكد أنه لم يقصد أن يتدخل في شؤون

لا تخصه، أو أن يرهقها بأسئلته، هو فقط كان خائفًا على صحة رهف وكان يريد أن يحميها ويجنبها أن تصاب بأي شر، ربتت ليلى على كتفه ثم قالت: جهز شنطتك وحجاتك وقابلني بعد ساعة في الاستقبال.

على متن الطائرة المتجهة من مطار هيثرو إلى مطار برج العرب، جلست رهف بجوار سيف وعقب الإقلاع بدقائق أسندت رأسها على كتفه ثم همست قائلة: ينفع تتجوزني يا سيف، فرت العبرات من مقلتيه فسقطت على كف يدها، ثم ضمها وأخذ يكرر طبعًا يا رهف، أنارت ابتسامة ودودة وجه ليلى ثم قالت: معاك وبيك بس، رهف ممكن تعيش من تاني يا سيف.

تمت بحمد الله

للتواصل مع الكاتبة عبر الايميل:

Ranawsad@gmail.com

الفهرس	الصفحة

إهداء:..... ٥

الفصل الأول غيبوبة!:..... ٧

الفصل الثاني نظرتان:..... ٢٩

الفصل الثالث لعبة الأقدار!:..... ٤٥

الفصل الرابع:..... ٦٣

الفصل الخامس:..... ٨٥

الفصل السادس أحلام بريئة:..... ١١٣

الفصل السابع كابوس:..... ١٥١

الفصل الثامن جحيم الماضي أم جنة النسيان؟..... ٢٠٧

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر